

م
ل
ك
د

جامعة النجاح الوطنية

عمادة كلية الدراسات العليا

صون العرض في القرآن الكريم

إعداد الطالبة

بلسم فارس سليمان ربيع

إشراف الدكتور

خضر عبد اللطيف سوندك

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات

العليا في جامعة النجاح الوطنية .

نابلس / فلسطين

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

صون العرض في القرآن الكريم

إعداد الطالبة

بلسم فارس سليمان ربيع

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ ٢٩/٧/٢٠٠٣م وأجيزت
وكانت لجنة المناقشة مكونة من التالية أسماءهم:

التوقيع

١. الدكتور خضر عبد اللطيف سوندك/ رئيساً

٢. الدكتور أحمد فائز عزام/ عضواً

محمد حافظ الشريدة

التوقيع

٣. الدكتور محمد حافظ الشريدة/ عضواً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

- إلى والديّ الكريمين أطال الله عمرهما وأمدّهما بالصحة والعافية وجعل الجنة دار الخلود لهما.
- إلى زوجي الذي طالما حفزني لإكمال دراستي.
- إلى ابني محمد الذي ملأ الله قلبي حباً له.
- إلى أساتذتي الكرام في جامعة النجاح وجامعة القدس جزاهم الله عنّا خير الجزاء.
- إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع راجياً منهم القبول.

الشكر والتقدير

أقدم أسمى كلمات ومعاني الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل

♦ الدكتور: خضر عبد اللطيف سوندك .. الذي تكرم بالإشراف على الرسالة.

وإلى الأستاذين الفاضلين.

♦ الدكتور: أحمد فائز عزام

♦ والدكتور: محمد حافظ الشريدة

♦ على تكرمهما بقبول مناقشة هذه الرسالة وإبداء التوجيهات والملاحظات القيمة النافعة.

♦ ولأستاذي الفاضل الدكتور: محمد السيد على تقديمه النصح والعون لي أثناء كتابة الرسالة.

♦ كما أتوجه بالشكر الجزيل لكل من قدم لي النصح والمساعدة حتى أتممت رسالتي هذه.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس موضوعات الرسالة

الصفحة	الموضوع
ت	الإهداء
ث	الشكر والتقدير
ج	فهرس الموضوعات
ر	ملخص الرسالة باللغة العربية
ز	المقدمة
١	الفصل التمهيدي:
٢	المبحث الأول: تعريف صون العرض
٢	المطلب الأول: الصون لغة
٢	المطلب الثاني: العرض لغة
٣	المطلب الثالث: العرض اصطلاحاً
٤	المطلب الرابع: صون العرض
٤	المطلب الخامس: هتك العرض
٥	المبحث الثاني: نظرة الشعوب والمجتمعات القديمة للعرض
٨	المبحث الثالث: عقوبة انتهاك العرض في القوانين الوضعيّة القديمة
١٠	المبحث الرابع: نظرة المجتمعات الغربيّة الحديثة للعرض
١٢	المبحث الخامس: عقوبة الجرائم المعتدى بها على العرض في القوانين الوضعيّة
١٤	المبحث السادس: نظرة الديانة اليهودية للعرض.

الموضوع	الصفحة
المبحث السابع: نظرة الديانة النصرانية للعرض.	١٨
المبحث الثامن: نظرة الإسلام للعرض	٢٠
الفصل الأول: الوسائل الوقائية التي شرعها القرآن لصون العرض	٢٣
المبحث الأول: التربية الإسلامية	٢٤
المبحث الثاني: الاستعفاف بتقوى الله وأداء العبادات	٣٩
المبحث الثالث: الاستئذان	٤٩
المبحث الرابع: غض البصر	٦١
المبحث الخامس: نيد التبرج وفرضية الحجاب	٧٦
المطلب الأول: خطورة التبرج	٧٦
المطلب الثاني: أدلة تحريم التبرج من السنة	٧٧
المطلب الثالث: فرضية الحجاب	٨١
المطلب الرابع: شروط الحجاب الشرعي	٨٣
المبحث السادس: تحريم الخلوة وسفر المرأة بغير محرم ومصافحة الأجنبية	١٠٠
والاختلاط.	
المطلب الأول: تحريم الخلوة.	١٠٠
المطلب الثاني: سفر المرأة بغير محرم.	١٠٤
المطلب الثالث: النهي عن مصافحة غير المحارم من النساء.	١٠٥
المطلب الرابع: النهي عن الاختلاط	١٠٦
المبحث السابع: النهي عن الخضوع بالقول.	١١٠

الموضوع	الصفحة
المبحث الثامن: الحث على الزواج	١١٣
المبحث التاسع: تعدد الزوجات في الإسلام	١١٧
المبحث العاشر: النهي عن البغاء	١٢٠
المبحث الحادي عشر: أهمية الإعلام في صيانة الأعراض	١٢٣
الفصل الثاني: العقوبات المترتبة على انتهاك الأعراض	١٢٨
مدخل إلى الفصل الثاني:	١٢٩
المبحث الأول: حد الزنا	١٣٣
المطلب الأول: تعريف الزنا	١٣٤
المطلب الثاني: عقوبة جريمة الزنا	١٣٦
المطلب الثالث : حد الزاني البكر	١٣٧
المطلب الرابع: حد الثيب الزاني	١٣٨
المطلب الخامس: وقفة مع آية الجلد في سورة النور	١٤٤
المبحث الثاني: حد القذف .	١٤٦
المطلب الأول: تعريف القذف.	١٤٦
المطلب الثاني: عقوبة القذف.	١٤٨
المطلب الثالث: شرائط وجوب حد القذف.	١٥٠
المطلب الرابع: مستطات عقوبة القذف.	١٥٢
المطلب الخامس: اللعان.	١٥٢
المبحث الثالث: التعزير.	١٥٦

الصفحة	الموضوع
١٥٦	المطلب الأول: التعزير لغة واصطلاحاً
١٥٩	المطلب الثاني: ما هي الجرائم التي تطبق فيها العقوبة التعزيرية؟
١٥٩	المطلب الثالث: اللواط
١٦١	المطلب الرابع: السحاق
١٦٢	المطلب الخامس: إتيان البهيمة
١٦٢	المطلب السادس: الاستمنااء
١٦٥	الفصل الثالث: نماذج قرآنية لأعراض افتري عليها وبرأها القرآن الكريم
١٦٦	المبحث الأول: مريم ابنت عمران
١٧٣	المبحث الثاني: يوسف عليه الصلاة والسلام
١٧٨	المبحث الثالث: عائشة زوج رسول الله ﷺ
١٨٦	الفصل الرابع: أثر صون الأعراض على مستوى الأفراد والجماعات
١٨٧	المبحث الأول: أثر صون الأعراض على مستوى الأفراد
١٨٧	المطلب الأول: سلامة الأفراد من الناحية الصحية والنفسيّة والماديّة والاجتماعية.
١٩٣	المطلب الثاني: الفوز برضوان الله تعالى والنجاة من العذاب.
١٩٤	المبحث الثاني: أثر صون الأعراض على مستوى الجماعات.
١٩٤	الأثر الأول: انتشار الأمن والطمأنينة في المجتمع
١٩٥	الأثر الثاني: قوة المجتمع من خلال إرساء قاعدة العفة والطهارة
١٩٥	الأثر الثالث: حفظ النسل والأسر

الصفحة	الموضوع
١٩٧	الأثر الرابع: تقدم وازدهار المجتمع
١٩٨	الخاتمة
٢٠٠	فهرس الآيات القرآنية الكريمة
٢٠٥	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
٢١٢	فهرس الأعلام
٢٢٦	فهرس المصادر والمراجع
B	ملخص باللغة الإنجليزية

ملخص الرسالة باللغة العربية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

كل المجتمعات على الإطلاق تحارب الزنا وتُجمع على أنه رذيلة لأنه لا يثمر خيراً بل شراً، ففيه كل العواقب الوخيمة على الفرد والجماعة، وهو أسوأ الفواحش التي يُعتدى بها على العرض.

إلا أن القوانين الوضعية اختلفت في كيفية معالجة الزنا ووضع العقوبة المناسبة له بين الإفراط والتفريط. فقد أفرط القنماء في تعاملهم مع الزناة.

أما القوانين الحديثة لجأت إلى التفريط في العقوبة حيث ميزوا بين الفاحشة التي تعتبر زنا فكانت قاصرة على ما كان بالإكراه، أو بعد الزواج لأن في ذلك خيانة للحياة الزوجية، أما سوى ذلك من الزنا فاعتبروه من قبيل الحرية الشخصية،

ولكن الإسلام عدّ كل علاقة جنسية فيما سوى الزواج فاحشة ويستحق مرتكبها العقوبة إذ أن العرض أحد الضروريات الخمس التي يسعى الإسلام في تشريعاته لصونها.

من أجل ذلك شرع الإسلام الأسباب الوقائية التي تحول دون الوقوع في الفاحشة، أما هؤلاء الذين يصرون على تلبية شهواتهم غير مكترئين بالمبادئ والقيم، فقد شرع الإسلام لهم الحدود الرادعة وفق ما يتناسب مع جرائمهم وخطورتها.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا تجد له ولياً مرشداً، والصلاة والسلام على خير الأنام متمم مكارم الأخلاق سيد الخلق والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد: - نحمد الله الذي أتم علينا نعمة الإسلام ورضيه لنا ديناً، وشرّع لنا فيه كل ما يتناول جوانب الحياة فينظمها ويكفل تحقيق سعادة البشرية إن اتبعوه ولم يحدوا إلى سواه.

إن من ضمن أهداف المنهج الإسلامي الحكيم حفظ الضرورات الخمس وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل وسميت بالضروريات أو الكليات لأنها أمور أساسية لصالح الفرد والمجتمع.

ولما كان النسل هو أحد هذه الضرورات حرص الإسلام على تشريع الإجراءات الوقائية التي تكفل منع الفاحشة وتضمن نقاء النسل وسلامته بتنظيم العلاقة بين الجنسين في إطار العفة والطهارة وتحمل المسؤولية.

فالشريعة الغراء ترسخ في أحكامها الفضيلة المطلقة - حيث تقطع كل الأسباب وتسد كل الطرق من أدناها إلى أقصاها التي تدعو للجريمة، فتغلق أبواب الحرام وتفتح أبواب الحلال لتجعل من الحياة أمناً وسكناً، وتكوّن مجتمعاً نظيفاً قوياً لا تُضعفه عوامل التفكك والانهيار الخلقي.

وتحقيق ذلك لا يكون إلا عن طريق الزواج الشرعي الذي أقره الإسلام وأي سبيل
عداه يُعتبر لوثةً أخلاقيةً إذ يسبب مشاكل اجتماعية خطيرة تهدد الفرد والمجتمع .. وتعيق التقدم
والتطور الحضاري في المجتمع.

أما هؤلاء الذين لا تخضع نفوسهم وأهواءهم لتعاليم القرآن وأنظمة الشريعة الإسلامية
فقد شرع لهم الإسلام الحدود الرادعة ليحفظ للأفراد حقوقهم، ويطهر المجتمع من الفساد
والفوضى والعبث في أمنه، ويحفظه من التردّي في بؤرة الفساد أو التهلك والإباحية. كما ويقطع
الطريق على هؤلاء الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في المجتمع المؤمن. كما أراد من هذه
التشريعات العادلة الوقائية أو العقوبة أن يُحصّن المجتمع من تلك الموجات الخطيرة الجارفة
التي تنادي بالإباحية وتسعى لهدم كل فضيلة، تلك الإباحية التي يعمل لأجلها هؤلاء المفسدون
الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في
قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا
يحب الفساد﴾^(١) إن هذا الدين دين رحمة وهدى ونور للعباد: قال تعالى: ﴿ولكن جعلناه نوراً
نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم﴾^(٢)

فما أحل الإسلام أمراً إلا وفيه كل الخير، وما حرّم شيئاً إلاّ دفعاً للشر قال تعالى:
﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿قل إنما حرّم ربي الفواحش ما
ظهر منها وما بطن﴾^(٤)

(١) سورة البقرة: (٢٠٤ - ٢٠٥).

(٢) سورة الشورى: (٥٢).

(٣) سورة الأعراف: (١٥٧).

(٤) سورة الأعراف: (٢٣).

ويا ليت هؤلاء الذين يلهثون خلف شهواتهم يفهمون ذلك . إن مما يتميز به المجتمع الإسلامي عن المجتمعات الغربية هو الاستقرار الأسري وسلامة النسل وخلوه من الفواحش والأمراض الجنسيّة السارية وما هذا التميز إلا لتمسك أفراده ببقية يسيرة من الدين ولو اتبعوه كله لوجدوا فيه كل السعادة ولكنهم هجروا أغلب ما فيه من تشريعات وتطبيق حدود .. قال تعالى: ﴿ وقال الرسول يا ربّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾^(٥)

- سبب اختياري لهذا الموضوع:

١. التأكيد والتذكير بأهمية العرض من الناحية الشرعيّة والعقليّة وتفنيد كل ما تنادي به الحضارة الغربية مما يُغرر الأجيال ويمهد لها الوقوع في الفاحشة قال تعالى: ﴿ وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾^(٦)
٢. عدم وجود بحث مستقل في هذا الموضوع يتناول جميع جوانبه ويلم أشداته يبرز دور الشريعة في الحد بل والقضاء على فواحش هتك العرض بشتى الأساليب الوقائيّة والعلاجيّة.

- وقد قمت بتقسيم بحثي إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة:

الفصل التمهيدي:- يتضمن ثمانية مباحث:

المبحث الأول: تعريف صون العرض

المبحث الثاني: نظرة الشعوب والمجتمعات القديمة للعرض.

^(٥) سورة الفرقان: (٣٠).

^(٦) سورة الذاريات: (٥٥).

المبحث الثالث: عقوبة انتهاك العرض في القوانين الوضعيّة القديمة.

المبحث الرابع: نظرة المجتمعات الغربيّة الحديثة للعرض.

المبحث الخامس: عقوبة الجرائم المعتدى بها على العرض في القوانين الوضعيّة.

المبحث السادس: نظرة الديانة اليهودية للعرض.

المبحث السابع: نظرة الديانة النصرانية للعرض.

المبحث الثامن: نظرة الإسلام للعرض.

الفصل الأول:- الوسائل الوقائيّة التي شرعها القرآن لصون الأعراض.

المبحث الأول: التربية الإسلاميّة.

المبحث الثاني: الاستعفاف بتقوى الله وأداء العبادات.

المبحث الثالث: الاستئذان.

المبحث الرابع: غض البصر.

المبحث الخامس: نذ التبرج وفرضيّة الحجاب.

المبحث السادس: تحريم الخلوة وسفر المرأة بغير محرم ومصافحة الأجنبية

والاختلاط.

المبحث السابع: النهي عن الخضوع بالقول.

المبحث الثامن: الحث على الزواج.

المبحث التاسع: تعدد الزوجات في الإسلام

المبحث العاشر: النهي عن البغاء

المبحث الحادي عشر: أهمية الإعلام في صيانة الأعراض

الفصل الثاني: العقوبات المترتبة على انتهاك العرض:

المبحث الأول: حد الزنا.

المبحث الثاني: حد القذف.

المبحث الثالث: التعزير.

الفصل الثالث: نماذج قرآنية لأعراض افتري عليها برأها القرآن الكريم.

المبحث الأول: مريم ابنت عمران.

المبحث الثاني: يوسف عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: عائشة زوج رسول الله ﷺ.

الفصل الرابع: أثر صون العرض على مستوى الأفراد والمجتمع.

المبحث الأول: أثر صون الأعرض على مستوى الأفراد.

المبحث الثاني: أثر صون الأعرض على مستوى الجماعات.

الجهود السابقة: -

في حدود اطلاعي لم أجد كتاباً مستقلاً جمع شتات الموضوع وجوانبه في نطاق كتاب واحد، إذ تناولت الكتب الفقهية الحدود فقط أما كتب الدراسات الإسلامية ذكرت بعض الأسباب الوقائية أو ركزت على جانب واحد بدراسة أحكامه وفوائده ومنها: -

- كتاب ولا تقربوا الزنا للشيخ حسن مكي الخويلدي.

- كتاب دستور الأسرة في ظلال القرآن لأحمد فائز.

- وكتاب وسائل الإسلام في المحافظة على كرامة المرأة/ لصلاح عبد الغني محمد.

منهج البحث: اقتضت طبيعة دراستي لموضوع صون العرض في القرآن الكريم أن أتأوله من

الناحية المنهجية وفق الآتي: -

١. التركيز على نصوص القرآن الكريم بالاستقراء والجمع والانطلاق منها بالإشارة إلى اللفظات والفوائد مستعينة بكتب التفسير.

٢. التحليل القائم على الفهم والتقصي والاستنباط وإيجاد العلاقة التي تربط بين الأدلة ومجريات الحاضر ووقائعه لأتوصل للحكم والفوائد من تشريعات القرآن وشأنها في تأسيس قواعد صون العرض.

٣. دعمت الموضوعات بالأحاديث النبوية والتخصص الواقعية والإحصائيات الحاضرة ثم عزوت المعلومات إلى مصادرها.

وإني أتوجه إلى الله تعالى أن يوفقني في كتابتي ويُسدد خطايي ويجعل عملي خالصاً لوجهة العظيم، فإن أصبت فهذا بفضل ربي وإن قصرت فهو مني، فما الكمال إلا لرب العباد.

-والله الهادي والموفق إلى سواء السبيل-

الفصل التمهيدي

- يتضمن ثمانية مباحث -

المبحث الأول: تعريف صون العرض

المطلب الأول: الصون لغة.

المطلب الثاني: العرض لغة.

المطلب الثالث: العرض اصطلاحاً.

المطلب الرابع: صون العرض.

المطلب الخامس: هتك العرض.

المبحث الثاني: نظرة الشعوب والمجتمعات القديمة للعرض.

المبحث الثالث: عقوبة انتهاك العرض في القوانين الوضعيّة القديمة.

المبحث الرابع: نظرة المجتمعات الغربيّة الحديثة للعرض.

المبحث الخامس: عقوبة الجرائم المعتدى بها على العرض في القوانين

الوضعيّة.

المبحث السادس: نظرة الديانة اليهودية للعرض.

المبحث السابع: نظرة الديانة النصرانية للعرض.

المبحث الثامن: نظرة الإسلام للعرض.

المبحث الأول: تعريف صون العرض

المطلب الأول: الصون لغة

الصون هو: أن تقي شيئاً أو ثوباً، ويقال: صُنْتُ الشيء أصونه، ولا تقل أصننته،

وصان عرضه صيانة وصوناً على المثل. قال أوس بن حجر:

فإننا رأينا العِرضَ أحوجَ ساعةٍ إلى الصون من رِيْطٍ^(١) يمانٍ مُسهِّمٍ
والحرُّ يصون عرضه كما يصون الإنسان ثوبه.^(٢)

المطلب الثاني: العِرض لغة

بكسر المهملة وسكون الراء "النفس" يُقال "أكرمت عنه عرضي" أي صُنْتُ نفسي

والعِرض: الخليفة المحمودة وجانب الرجل الذي يصونه من نفسه وما يفتخر به من حسب

وشرف، وقد يُراد به الآباء والأجداد^(٣). وقيل العِرض: البدن والنفس وما يمدح ويُتم به

الإنسان^(٤). وقيل: العِرض ليس بالنفس ولا البدن ودليله عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ:

"كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"^(٥) فلو كان العِرض هو النفس لكان دمه كافياً

عن قوله وعرضه، ويدل على ذلك قول عمر للحطيئة: فاندفعت تُغنيُّ بأعراض المسلمين. معناه:

(١) رِيْطٌ: كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري/ لسان العرب/ دار صادر، بيروت/

ط ١/١٩٩٧م / ٤م / ص ٢٦٨.

(٣) الزاوي، الطاهر أحمد/ مختار القاموس/ الدار العربية للكتاب - ليبيا، تونس/ ص ٤١٦.

(٤) مصطفى، إبراهيم مصطفى ورفاقه/ المعجم الوسيط/ المكتبة العلمية - طهران/ ج ٢/ ص ٦٠٠.

(٥) مسلم/ كتاب البر والصله/ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه/ ج ٤/ ص ١٩٨٦/ رقم ٢٥٦٣ سنن

ابن ماجة/ كتاب الفتن/ باب الكف عن قال لا إله إلا الله / ج ٢/ ١٢٩٨/ رقم ٣٩٣٣.

بأفعالهم وأفعال أسلافهم وكذلك يُطلق على الرائحة طيبة أو خبيثة، ويُطلق على الجماعة من الطرفاء والأئيل وعلى جو الأرض وناحيته،، ويُطلق العِرض أيضاً على السحاب العظيم.^(١)

المطلب الثالث: العِرض اصطلاحاً

هو ما يجب على الإنسان صيانتته وحفظه وحمايته من الأذى والانتقاص سواء في النفس أو القرابة القريبة.^(٢)

أو هو فرع عن النفس الإنسانية وأحد الصفات المعنوية الأساسية للإنسان والتي تميّزه عن الحيوان، وهو ما حرص عليه العرب وجاء الإسلام فأقره واعتبره من الضرورات، والقصد من حفظه حفظ النسل والنسب بأرقى وأشرف الطرق، والحفاظ على العِرض مقصود لذاته من جهة وهو وسيلة لحفظ النسل والذرية حتى لا تختلط الأنساب وتضيع الذرية، ويتشرد الأطفال ولذلك شرع الإسلام للحفاظ على العِرض أحكاماً كثيرة.^(٣)

والمراد به هنا محل الوطاء، فالواجب على الإنسان الحفاظ على عرضه بعدم تمكين أحد من النيل منه بغير حق وبعدم الوقوف به مواقف التهم.^(٤)

(١) ابن منظور/ لسان العرب/ م/٤/ ص ٣٠٣.

(٢) عقلة، د. محمد عقلة /الإسلام مقاصده وخصائصه/ مكتبة الرسالة الحديثة/ ط٢/ ١٩٩١م ١٤١١هـ / ص ١٩٨.

(٣) الزحيلي، د. محمد /حقوق الإنسان في الإسلام/ دار الكلم الطيب- بيروت، دمشق / ط٢/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م / ص ٩٠ - ٩١.

(٤) قلعة جي، أ. د. محمد رؤاس قلعة جي/ الموسوعة الفقهية المسيرة/ دار النفائس - بيروت/ ط١/ ٢٠٠٠م/ م/٢/ ص ١٣٨٧.

المطلب الرابع: صون العرض

وهكذا يتبين لنا أن صون العرض: - هو وقاية الإنسان لسمعة شرفه وطهارة جسده من أن تلوكها الألسنة بالبعد عن مواطن الريب وبحفظ فرجه من الفواحش.

ولم يرد مصطلح "صون العرض" في القرآن الكريم بل عبّر عنه "بحفظ الفرج" - ففي معرض ثناء الله على عباده المؤمنين جاء قوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فاتهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾^(١).

المطلب الخامس: هتك العرض

مصطلح مضاد لصون ويعني: الإخلال العمدي بالجسيم بحياء المجني عليه، بفعل يُرتكب على جسمه ويمس غالباً عورة فيه^(٢) ويتناول ما هو دون الوقاع أو الاغتصاب بأن يمارس الجاني على المجني عليه فعلاً مباشراً مخالفاً للأداب وخاصة إذا كان يشكل تعدياً على العرض.^(٣)

(١) سورة المؤمنون (٥-٧).

(٢) كحيل، عبد الوهاب كحيل/ الجريمة والجنس/ مكتبة التراث الإسلامي/ ط١/ ١٤١٢هـ - ١٩٩١م/ ص١٦٦.

(٣) فوده، د. عبد الحكم فوده/ جرائم العرض في قانون العقوبات/ دار المطبوعات الجامعية - الإسكندرية/ ١٩٩٧م/

المبحث الثاني: نظرة الشعوب والمجتمعات القديمة للعرض

إن من يقرأ تاريخ الشعوب الغربية يجدُ أن الزنا هو أحد العادات الجنسية المتأصلة في المجتمعات آنذاك. إذ يُنظر إليه كسلوك جنسي عادي يمارسه الرجال وتمارسه النساء صراحة وخفية، بل كان أحد الطقوس الأساسية في عبادة الله الخصب، إذ تتذر النساء أجسادهن لممارسته في المعابد وغيرها! أو كانوا يمارسونه علناً في احتفالاتهم الدينية! فهو من الحرية الشخصية. ولم يعد حكراً على الحكام وعلية التوم فقط، فالإغريقي في زمن "اسبرطه" يدعو الرجال ليزنوا بزوجته من أجل الحصول على نسل قوي، وكان الاخوة يشتركون في زوجة واحدة أو عدة زوجات.⁽¹⁾

أما عند الرومان: فلم ينتشر الزنا في القرون الأولى من عهد روما لمئاته أخلاق الناس وانشغالهم في الحروب، وكان لا يمكن تصور جنائية في ذلك الوقت أشد شناعة من زنى الزوجة لأنه يُدخل أنجالاً غير شرعيين في العائلة وذلك ناشئ من القاعدة الأساسية التي بُني عليها نظام الأسرة عندهم من تقديس عاداتهم، وأن القبر يجب ألا يضم سوى أفراد الأسرة وابن السفاح حين يموت سيُدفن مع الأبناء الشرعيين الأمر الذي يترتب عليه أن الحرمات تكون قد انتهكت بالزنا. وكل قربان يقدم للقبر الذي يضم ابن السفاح يكون كفراً، ولذلك كان قانونهم يقرر للزوج إذا تفاجأ بالزوجة متلبسة بجريمة الزنا قتلها بغير حكم ولا عقاب عليه، فكان الزنا جريمة عائلية، ولكن لما فقدت الأسرة سلطانها شيئاً فشيئاً، صار الزوج يلجأ إلى المحاكم العامة، لأن العقوبات

⁽¹⁾ المجذوب، د. أحمد علي/ العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية/ الدار المصرية اللبنانية ط1/ 1991م - 1411هـ/

التي تُتخذ بحقها أخف بكثير مما كان يصدره مجلس العائلة إذ كانت لا تزيد بحال ما على النفي خارج روما أو الحكم بغرامة كبيرة.^(١)

ويقول جيبون عن نبلاء روما "ولكن نبلاء روما الفاسدين الكثيرين اغتبطوا لكل رذيلة اقتبسوها من التدفق الجارف للأمم والعادات، وطالما كانوا بمأمن من العقاب، لا يابهون للوم أو لتوبيخ فقد عاشوا دون حدود ولا قيود في المجتمع الدليل.^(٢)

• أما في اليونان: فقد كان عفاف الفتاة محافظاً عليه فلأهل الفتاة التي خسرت فضيلتها أن يقتلوا الباطي والغاوي دون أن يلحق بهم أي عقاب. بل قامت شرائع اليونان بوصم المومسات بما يدل على الضعة والذل ولكن تلك الشرائع لم تنفذ طويلاً إذ تبعها تهتك عظيم حيث عدّل قانون المومسات وجُعِلت منزلتهن مماثلة للأمهات المصونات واستبدل الإعدام بجزاء نقدي^(٣). حتى وصل الأمر إلى إنشاء دور العهر المرخصة من قبل الحكومة، وكانت بعض العجائز العاهرات يدرأن عن أنفسهن شر الفاقة بإنشاء مدارس لتعليم فن الجنس والإغراء والحب. وقد نفّست دور الخنا وانتشرت بكثرة عجيبة في أثينا حتى أصبحت طبقات ومراتب .. وسقطت أثينا تبعاً لذلك.^(٤)

أما فيما يتعلق بالشعوب الأخرى التي ظهرت بعد سقوط الرومان كالألمان والإنجليز والفرنسيين، فإن ما ذكره المؤرخون الغربيون عن عاداتهم لا يدع مجالاً للشك فيما هم عليه من انحلال خلقي الدافع إليه الشهوانية المفرطة.

(١) الدسوقي، عزت مصطفى/ أحكام جريمة الزنا في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية/ المكتب الفني للإصدارات القانونية/ ط٢/ ١٩٩٩م/ ص١٤-١٦.

(٢) د. المجذوب، أحمد علي/ العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية/ ص١٨١.

(٣) كحالة، عمر رضا/ الزنا ومكافحته/ مؤسسة الرسالة - سوريا/ ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م/ ص٣٣-٣٤.

(٤) ذياب، أحمد ذياب/ نظرات في التشريع الأخلاقي في سورة النور/ بيت المقدس/ ط١/ ١٤٠٤هـ/ ص١٨.

ويصف القديس "بونيفاس" الإنجليز فيقول "إن النصارى والوثنيين على السواء يأبون أن تكون لهم زوجات شرعيات ولا يزالون يعيشون عيشة الدعارة والزنى كما تعيش الخيل الصاهلة والحمير الناهقة". وكتب إلى أحد ملوك الإنجليز قائلاً: "إذا كانت أمة الإنجليز تحتقر الزواج المشروع وتسارع إلى الزنا إذ تهجرون الزوجات وترتكبون الفحشاء مع الزانيات والراهبات فلا بد أن يجر هذا الخراب والدمار على البلاد بسبب التهتك وهذه الأخلاق المرذولة".^(١)

• أما عند الشعوب الشرقية القديمة كالآشوريين والبابليين والفينيقيين وقدماء المصريين فكانت المرأة تتزوج لتعيش في خضوع تام لزوجها، لهذا كان زنى الزوجة يعتبر اعتداءً على حق الملكية المقدر للزوج، ومع تطور العادات صار زنا الزوجة اعتداءً على العرض الذي هو حق مقرر للزوج، أما زنا الزوج فلم يُنظر إليه على أنه جريمة مطلقاً لأن شعوب بلاد الشرق القديم لم يكن عندها أية مساواة بين الرجل والمرأة حيث سمحت بوجود عدة خليات بجانب الزوجة الشرعية بل ويدخلن المنزل بعلم الزوجة ولا سيما العاقر لأن ما سيلدنه من أطفال حسب نظامهم يكون مملوكاً للزوجة الشرعية ولما كان غرضهم الأول من الزواج هو الإكثار من النسل فقد وضعوا نظاماً آخر هو نظام الإعارة المؤقتة، ومعناه أن يعير الزوج العقيم زوجته إلى أحد أقاربه، ولم يكن هذا في نظرهم زنى بل عمل مشروع يجيزه الزوج ويقره القانون.^(٢)

(١) المجذوب/ العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية/ص ١٩٧، ١٩٨.

(٢) التسوقي/ أحكام جريمة الزنا/ ص ٨-١٠.

المبحث الثالث: عقوبة انتهاك العرض في القوانين الوضعيّة القديمة

نصت قوانين الشعوب الشرقية القديمة على أقصى العقوبات للزناة، إذ تصل إلى الإعدام رجماً أو حرقاً بالنار، وإذا طبقت عقوبة أخف فكانت تصل إلى قطع أعضاء حساسة من الجسم.

ف عند الآشوريين إذا ثبتت جريمة الزنا على الزوجة أعدمت حرقاً بالنار ولا عقاب على الزوج، وعند قدماء المصريين يعاقبون الزوجة بقطع أنفها لتثويه وجهها وإضاعة جمالها الذي أساءت استعماله.^(١)

أما في الصين فكانوا يعاقبون الزاني بالسم، وعند الهند فكانوا يعاقبون المرأة الزانية بأن يتركوها للكلاب الجائعة تنهشها وتأكل لحمها حتى تموت، أما الرجل الزاني فإنه كان يوضع على سرير محمى بالنار المشتعلة حوله.^(٢)

أما دولة الفرس فهي الوحيدة بين الدول الشرقية القديمة التي لم تعرف العقاب على الزنا ويرجع ذلك إلى ما يتمتع به الزوج من سلطة استبدادية إذ يحجز النساء في المنزل تحت حراسة قوية لا يمكن معها أن تحصل جريمة الزنا وإن تراءى له ذلك له أن يطردهن.^(٣)

أما قدماء الإنجليز فكانوا يُعَرِّون المرأة من ثيابها إلى وسطها، ثم تطوف من بلد إلى آخر وتضرب حتى تموت.^(٤)

(١) الدسوقي/ أحكام جريمة الزنا في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية /ص ٨-١١.

(٢) ذياب، أحمد ذياب/ نظرات في سورة النور/ ص ١٩.

(٣) الدسوقي/ أحكام جريمة الزنا في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية /ص ١٣.

(٤) ذياب، أحمد ذياب/ نظرات في سورة النور/ ص ٢٠.

وعند قدماء الأوروبيين كان عقاب الزنا قاسياً جداً أفضع من عقاب قتل النفس خصوصاً عند الجرمان، فإنهم كانوا يشهرون الزانية عارية الجسد ويضربونها بالسياط الضرب المبرح حتى تموت ثم خففوا العقاب وجعلوا عقاب الزاني التغريب وعقاب الزانية قطع الأنف والأذنين وهي نفس العقوبة عند قدماء الإنجليز. (١)

وبنظرة فاحصة إلى تلك العقوبات يتبين للقارئ أنها عقوبات غير جدية إذ أنها قابلة للتبديل أو التخفيف أو المساومة بالمال فهي غير مجدية في بتر الفاحشة أو التخفيف من انتشارها في المجتمع ويدل على هذا الانتشار الفظيع للفواحش في تلك المجتمعات بل سيطر التدهور الأخلاقي السائد في المجتمعات على القوانين التي كانت تنادي بالعفة حتى رضخت وسايرت أهواء الناس، حيث صارت تنتظر لتلك الأفعال المشينة بأنها حرية شخصية، وبعضها ينظر إلى تلك الأفعال بأنها جزء من الطقوس الدينية التي تمارس في المعابد، وحتى في دولة الفرس التي ذكرنا أنها لا تعرف عقوبة للزنا لأنه لا يمكن تصور وقوعه جراء السلطة الاستبدادية التي يملكها الزوج على زوجته ولاتباعهم الديانة الزرادشتية التي تنادي بالحفاظ على الفضائل والعفة، إلا أنهم انحرفوا في نهاية الأمر عن تلك المبادئ واتبعوا ما تمليه عليهم المزدكية .. يقول الشهرستاني "كان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك إنما بسبب النساء والأموال فأحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيه كاشتراكهم في الماء والكلأ والنار". (٢)

(١) كحالة/ الزنا ومكافحته /ص٤٨.

(٢) ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد/ الفصل في الملل والأهواء والنحل - وبهامشه الملل والنحل للإمام الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم/ مكتبة الخانجي بالقاهرة ج٢/ص٦٩ .

المبحث الرابع: نظرة المجتمعات الغربية الحديثة للعرض

كانت أوروبا في القرون الوسطى منغمسة في الإباحة الجنسية، فكان كل من الطرفين منغمساً في الفسق والفجور، وساهم في ذلك استمرار الحروب مما سبب نقصاً في عدد الرجال، حتى ظهر كثير من النساء اللاتي لا معيل لهن ولا رقيب عليهن، مما جعلهن يعاشرن الجنود ويعشن عيشة مخزية لا أخلاقية يسلكن مسلك الدعارة والفسوق.

أما في القرن العشرين فقد أصبح البغاء من المعضلات التي تعنى بها جميع الدول على السواء. ففي أغلب الدول الأوروبية ذات النظام الرأسمالي يباح فيها البغاء العلني وفتح الدور الخاصة له، كما يباح الزنا بشرط أن يكون الاتصال الجنسي برضاها. ففي فرنسا وضع قانون لتنظيم البغاء وممارسة الفاحشة فقسمت مرتكبات الفاحشة إلى قسمين قسم يرتكبن الفاحشة دون أن يكن مومسات يمتهن الفاحشة، والقسم الثاني اللاتي يحترفن البغاء. والغرض من هذا القانون إيقاف تيار المومسات السريات، وكان من جراء ذلك أن أصبحت الشوارع غاصة بالمومسات المحترفات اللاتي يتعاطين مهنة البغاء العلني حتى ألغيت جميع القوانين التي تتعلق بالبغاء، وأصبحت ممارسة الحياة الجنسية تجارة علنية وحرّة.⁽¹⁾

وفي أمريكا تطور الزنا في العقود الأخيرة بحيث لم يعد قاصراً على الطريقة التقليدية التي يتخذ فيها كل واحد من الزوجين عشيقاً دون علم الآخر، بل أصبح زنى الزوجين يتم باتفاق بينهما وبحضورهما أثناء الممارسة الجنسية الجماعية.

(1) كحالة/ الزنا ومكافئته /ص ١٨١-١٩٢.

ولا تقتصر الممارسة الجماعية على ما يجري بين الذكور والإناث، وإنما ثمة علاقات بين أفراد الجنس الواحد. وهناك إجماع بين المشاركين في الممارسة الجنسية الجماعية على أن موقفهم أصبح أصح وأكثر غنى وتنوعاً وأضبط في العلاقة، وحالت دون حدوث الطلاق في حالات كثيرة.^(١) أما في السوفيت لما زاد عدد النساء على عدد الرجال بمقدار خمسة عشر مليون امرأة أصدر "ستالين" آنذاك القرار الشهير المعروف بقرار ١٩٤٤م، الذي يشجع على إنجاب الأطفال غير الشرعيين. ولم تكد تنقضي خمس سنوات على صدور هذا القرار الذي يبيح الزنا حتى بلغ عدد الأطفال غير الشرعيين ثمانية عشر مليون طفلاً دون الثامنة عشرة عام ١٩٤٩م. وهذا يعني أن الزنا كان متفشياً قبل صدور القرار بمدة تزيد على العشر سنوات.^(٢) وهكذا نرى أن الغرب سباقاً إلى كل غريب وشاذ في مجال السلوك الجنسي.

(١) المجذوب/ العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية/ص ٢٧٠.

(٢) المصدر السابق/ص ٢٧٠.

المبحث الخامس: عقوبة الجرائم المعتدى بها على العرض في القوانين الوضعيّة

انقسمت القوانين الوضعيّة في معالجتها لجريمة الزنا إلى قسمين:

قوانين لا تعاقب على جريمة الزنا إطلاقاً بل تبيحها كالقانون الإنجليزي، بل يبيح

المثلية الجنسيّة ويسايره في ذلك بعض الدول الأوروبيّة.

وقوانين أخرى تعاقب على الجريمة ولكن تفرّق بين الزوج والزوجة كالقانون الفرنسي

وهو الذي تسير عليه القوانين الحاليّة في محاكم مصر...^(١) وهذه بعض النصوص لعقوبة الزنا.

• تنص المادة رقم ٢٧٤ من قانون العقوبات المصري رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ على أن: "المرأة

المتزوجة التي ثبت زناها يُحكم عليها بالحبس مدة لا تزيد على سنتين لكن لزوجها أن

يوقف تنفيذ هذا الحكم برضائه معاشرته لها.

• ونصت المادة ٢٧٥ على أن يعاقب الزاني بتلك المرأة بنفس العقوبة".

• وتنص المادة ٢٧٧ على أن "كل زوج زنى في منزل الزوجية أو ثبت عليه الأمر بدعوى

الزوجة يجازى بالحبس مدة لا تزيد على ستة شهور".^(٢)

ومن نصوص العقوبات الوضعيّة كذلك "إن الاعتقاد على ممارسة الزنا أو الدعارة بكل

أشكالها ووسائلها عقابه الحبس أو الغرامة، وكذلك التحريض على ارتكاب الفجور وإدارة

محللات الدعارة، كل هذا عقابه الحبس أو الغرامة".^(٣)

(١) بركة، وعبد المنعم أحمد/ في أساسيات التشريع الجنائي الإسلامي/ مركز الإسكندرية للكتاب/ ص ٨٥.

(٢) النسوقي/ أحكام جريمة الزنا ../ص ٢٣٦.

(٣) جاد، د. الحسيني سليمان جاد/ العقوبة البدنية في الفقه الإسلامي دستورها وعلاقتها بالدفاع الشرعي/ دار الشروق/

ط ١/ ١٤١١هـ - ١٩٩١م/ ص ١٣٩.

- ويلاحظ عيوب وقصور القانون الوضعي في معالجة تلك الجرائم بأمر عدة ومنها:
١. العقاب على جريمة الزنا يكون على المرتبطين بعلاقة زوجية ولم ترتب أي عقوبة على الزناة غير المتزوجين واعتبر الزنا مباحاً لهم.
 ٢. التمييز وعدم المساواة بين الرجل والمرأة في العقوبة إذ يقرر عقوبة الحبس لمدة سنتين للمرأة وستة أشهر للرجل.
 ٣. لا يُعد الزوج زانياً إلا إذا ارتكب الزنا في منزل الزوجية، أما تصرفاته خارج المنزل فلا حساب عليها.
 ٤. جعل القانون الوضعي من مفاجأة الزوج لزوجته أثناء تلبسها بالزنا عذراً مخففاً لجناية قتله إياها فينزل بها إلى (جنحة)^(١) وهو ما يسميه فقهاء القانون عذر الاستفزاز ولم يشرع هذا للمرأة.

(١) جنحة: - هي الجريمة التي يعاقب عليها القانون أساساً بالحبس أو الغرامة- انظر المعجم الوسيط/ ص ١٣٩. وتكون أقل من (الجناية) التي هي: كل فعل محظور يتضمن ضرراً على النفس أو غيرها. انظر الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف/ التعريفات/ تحقيق: د. عبد المنعم الحنفي/ دار الرشاد/ ص ٨٩.

المبحث السادس: نظرة الديانة اليهودية للعرض

وجّه رجال الدين اليهودي كل ما أوتوا من علم لامتداح نظام الزواج لديهم ورفض أي علاقة بين الرجل والمرأة خلافه، فهم تبعاً لذلك ومنعاً للفاحشة يشيدون بالزواج المبكر، فقد أباحوا زواج البنت إذا بلغت اثنتي عشرة سنة وستة أشهر والولد إذا بلغ الثالثة عشرة، بل وأباحوا تعدد الزوجات ومن أقوال الأحرار في هذا "يستطيع الرجل أن يتزوج أي عدد من النساء يشاء".

وبعد أن يسّروا للرجل إشباع غريزته الجنسيّة على هذا النحو جعلوا الزنا من الجرائم التي يعاقب مرتكبها^(١) ومن النصوص التي توضح عقوبة الزناة ما يلي: -

جاء في التوراة "وإذا زنى رجل مع امرأة قريبة فإنه يقتل الزاني والزانية، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه أنهما يقتلان كلاهما دمهما عليهما وإذا اضطجع رجل مع كنته فإنهما يقتلان كلاهما قد فعلا فاحشة دمهما عليهما" "وإذا تدنست ابنة كاهن بالزنا، فقد دنست أباهما بالنار تحرق"^(٢) ووردت عقوبة الرجم في التوراة فقد جاء في سفر التثنية ما نصه:

"إذا وُجد رجلٌ مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان، الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة". "وإذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل بالمدينة فاضطجع معها فأخرجوها كليهما من المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا"^(٣).

(١) ذياب، أحمد ذياب/ نظرات في التشريع الأخلاقي في سورة النور/ بيت المقدس/ ط١/ ١٤٠٤هـ/ ص ٢٢-٢٣.

(٢) الكتاب المقدس/ الإصحاح العشرون/ لاويين ١٩.

(٣) الكتاب المقدس/ الإصحاح الثاني والعشرون/ تثنية (٢١).

"وإذا اضطجع رجل مع طامث وكشف عورتها، يقطعان كلاهما من شعبهما، وإذا اضطجع رجل مع امرأة عمه فقد كشف عورة عمه، يموتان عقيمين، وإذا أخذ رجل امرأة أخيه فذلك نجاسة، قد كشف عورة أخيه، يكونان عقيمين"^(١) بل ورتبت نصوص التوراة القتل لمن فعل اللواط أو الفاحشة بداية فجاء فيها ما نصه: "لا تجعل مع امرأة صاحبك مضجعك فتتجس بها، ولا تضجع ذكراً مضاجعه امرأة إنه رجس، ولا تجعل مع بهيمة مضجعك فتتجس بها، ولا تنف امرأة أمام بهيمة لنزاتها إنها فاحشة، بل كل من عمل شيئاً من هذه الرجسات تقطع الأنفس التي عملها من شعبها".^(٢)

وقرر التلمود^(٣) الجلد كعقوبة بدنية في نص يقول فيه: " يجلد الفاجر الهاتك للأعراض واللوطي وفاعل فعل أونان بن يهودا وهو الاستمناء باليد، وقاطع الذكر ومن شاركهم في هذه الأفعال الشنيعة".^(٤)

وفي الشريعة اليهودية ما يسمونه "اختبار ماء اللعنة المر" فإذا زاغت المرأة وخانت زوجها ولم يكن شاهد عليها إلا أن زوجها شك بها بدافع الغيرة يأتي بها إلى الكاهن، فيأخذ الكاهن ماء مقدساً في إناء خزف ثم يضع فيه من الغبار الذي في أرض المسكن ويجعل في الماء ويوقف الكاهن المرأة أمام الرب ويكشف رأسها، وفي يده يكون ماء اللعنة المر. ويستحلف المرأة ويقول لها: إن كان لم يضطجع معك رجل وإن كنت لم تزيغي إلى نجاسة من تحت رجلك فكوني بريئة من ماء اللعنة المر.

(١) الكتاب المقدس/ سفر لاويين الإصحاح العشرين/ ٢٠.

(٢) الكتاب المقدس/ سفر لاويين الإصحاح الثامن عشر/ ٢٣، ٢٤.

(٣) التلمود: هو الشريعة الشفهية عند اليهود التي زعموا أن موسى عليه السلام كان يقولها.

(٤) نقلا عن كتاب جاد، د. الحسيني سليمان جاد/ العقوبة البدنية في الفقه الإسلامي دستوريتها وعلاقتها بالنفاذ الشرعي/

دار الشروق/ ط١/ ١٤١١هـ - ١٩٩١م/ ص ١٤٤.

وإن كنت قد زغت من تحت رجلك وتتجست يجعلك الرب لعنة بين شعبك ويجعل
فخذك ساقطة وبطنك وارماً. ويدخل ماء اللعنة هذا في أحشائك لورم البطن ولإسقاط الفخذ فنقول
المرأة "أمين أمين". ويكتب الكاهن هذه اللعنات في الكتاب ثم يحوها في الماء المر ويسقي
المرأة ماء اللعنة المر فإن كانت المرأة زائغة ورم بطنها وسقطت فخذها .. هذه شريعة الغيرة
إذا زاغت المرأة من تحت زوجها.^(١)

والذي نلاحظه من استعراض نصوص التوراة في عقوبة الزنا، عدم التساهل في هذه
الجريمة وأن القتل جزاء للزناة، وهم يعتقدون أيضاً أن هنالك عقوبات من الرب بتسليط العقم
على الزناة الذين صَعَب اكتشاف جريمتهم.

وقال موسى عليه الصلاة والسلام: لا تشته امرأة قريبك فمن يزني بامرأة قريبه
يستحق الموت. ولكن التلمود لا يعتبر القريب إلا اليهودي فقط، فإتيان زوجات الأجانب جائز.
واستنتج من ذلك الحاخام رشي أن اليهودي لا يخطئ إذا تعدى على عرض الأجنبي،
لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد فالمرأة التي ليست من بني إسرائيل كبهيمة والعقد لا يوجد
في البهائم وما شاكلها. وقد أجمع على هذا الرأي الحاخامات بشاي وليفي وجرسون.

وقال الرابي كرونر: أن التلمود يصرح للإنسان اليهودي أن يُسلم نفسه للشهوات إذا لم
يمكنه أن يقاومها، ولكن يلزم أن يفعل ذلك سراً لعدم الضرر بالديانة.

ثم يصرح في قول آخر أنه لا يوجد بين اليهود أولاد غير شرعيين كما في باقي الأمم
لقلة الزنا بينهم، ولكن التعداد والإحصائيات أثبتت وجود المومسات من اليهود في
المدن الكبيرة بأوروبا أكبر منهن في النساء المسيحيات.^(٢)

(١) نقلا عن شريف، هاشم السعيد شريف/ المرأة المسلمة بين حقيقة الشريعة وزيف الأباطيل / ص ٦٣-٦٤ باختصار.

(٢) المصدر السابق/ ص ٦٤-٦٧.

نلاحظ في نصوص التلمود الدليل الواضح على أنه مكتوب بأيدي يهودية تملئها عليهم عقولهم الضالّة إذ لا يمكن لشريعة الله أن تبيح الزنا وانتهاك العرض وأن تسم غير اليهود بأنهم حيوانات وإنما أنزل الله تعالى التوراة لتكون هدىً ونوراً قال تعالى: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾^(١) ولا يمكن أن تكون أقوال موسى عليه السلام الشفهية مخالفة لما في التوراة- وإنما هي افتراءات اليهود إذ كتب الفريسيون التلمود بزعمهم أنهم فقهاء في الديانة اليهودية. وفي الحقيقة أنهم يخالفون روح النصوص التوراتية (غير المحرفة) ويبتدعون من الأحكام ما شاءوا ليحققوا بها أغراضهم وشهواتهم المنحرفة. ومن النصوص التي كتبوها في التلمود التي تدل بشكل قطعي على عظم افتراءهم ما يلي: -

" لليهود الحق في اغتصاب النساء غير اليهوديات".

"ليس للمرأة اليهودية أن تبدي أية شكوى إذا زنى زوجها بأجنبية في المسكن المقيم فيه

مع زوجته لأنه لم يزن إلا بحيوان لا كرامة له".^(٢)

(١) سورة المائدة: (٤٤).

(٢) نصر الله، يوسف نصر الله/ الكنز المرصود في عقائد التلمود - نقلاً عن كحالة/ الزنا ومكافحته/ ص ٥٨.

المبحث السابع: نظرة الديانة النصرانية للمعرض

المتأمل في نصوص الإنجيل لا يجد أية عقوبة للزاني والزانية، لأن النصرانية تجنح إلى الروحانيات وترى أن فاعله يستحق لعنة الرب في الدنيا والعذاب في الآخرة حيث أنهم يعزفون عن الزنا ويرهبون منه والنصوص في تنقيح الزنا كثيرة منها: -

جاء في رسالة بولس الرسول قوله: قال يسوع: "أما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يُسمح بينكم كما لا يليق بقديسين، ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التي لا تليق، فإنكم تعلمون هذا، إن كل زان أو نجس أو طماع هو عابد للأوثان، ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله"^(١) وجاء فيها أيضاً: -

"لأن هذه هي إرادة الله قداستكم أن تمتنعوا عن الزنا، أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني نساءه بقداسة وكرامة لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله."^(٢)

وقال مخاطباً أهل كورنتوس: - "أو لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله، لا تضلوا، لا زناة وعبداء أوثان، ولا فاسقون، ولا مضاجعو ذكور، ولا سارقون ولا طماعون ولا سيكبرون، ولا شتامون، ولا خاطئون يرثون ملكوت الله."^(٣)

هذا بعض ما جاء من نصوص وتعاليم في الديانة النصرانية في تحريم الزنا والدعوة إلى اجتنابه، لا سيما أن الرهبان والراهبات يدعون إلى التبتل والامتناع عن ممارسة الحياة الزوجية المباحة شرعاً، مما جعلهم يخالفون دواعي الفطرة البشرية، حتى طغت عند بعضهم

(١) رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس، الإصحاح الخامس / ٥،٤.

(٢) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي، الإصحاح الرابع / ٤،٣.

(٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنتوس، الإصحاح السادس / ٧،٦.

الشهوة الجنسية فاستباحوا ما كان محرماً وانغمسوا في الرذيلة والفحشاء حتى صارت الكنيسة والماخورة في رومية مفتوحتين جنباً إلى جنب، وكذلك الحال في فرنسا.

فقد كان يقتني معظم المطارنة والآباء في فرنسا خلال القرن الثامن للميلاد، حواجب أو سراري يمارسون معهن الحياة الجنسية وذلك بسبب عدم زواجهم واستمر هذا الحال حتى القرن السادس عشر عندما قامت الحركة الإصلاحية الدينية فشنت حملة عظيمة على عزوبة الكهنة وعدم زواجهم واتخاذهم الأخدان وقرر مجمع "ميلان" أن يكون للبغايا زي خاص يتميز به، كما حرم عليهن ارتياد الفنادق والمؤسسات العامة، وقامت الكنيسة بعمل خيري لإنقاذ البغايا التائبات فأنشأت أدياراً وملاجئ خاصة بهن ومنحت أكثرهن مبلغاً من المال لتزويجهن.

ومن القوانين التي صدرت منشور البابا علامات الثاني" الذي يقضي على كل امرأة ارتكبت جريمة الفحشاء أن يودع نصف ممتلكاتها عند موتها في أملاك الدير.

وأما عقوبة الزنا التي كان يُعاقب بها في العالم النصراني الموت للرجل والمرأة في حالة إغواء كل منهما الآخر وتراضيهما. وتصيب العقوبة أقاربهما الأبرياء بحرمانهم بعض حقوقهم المدنية كالاحترام والاعتبار من قبل الكنيسة والدولة وكذلك عقوبة الإعدام بصب الرصاص في حلق تجار البغاء والقوادين والوسطاء والمتسببين للزنا^(١)

غير أن الواقع يثبت عكس هذه الشدة في تحريم الزنا، فكانت الدعارة والحرية الجنسية على قدم وساق في القرون الوسطى ولا زالت مما يدل على وجود الخلاف وعدم التسيق بين المعتقد النصراني والرأي العام في البلاد التي تدين بالنصرانية.

(١) كحالة/ الزنا ومكافحته/ ص ٦٤-٦٨.

المبحث الثامن: نظرة الإسلام للعرض

يقول المولى عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً ﴾^(١). فالنسب من النعم التي من الله بها على الإنسان إذ به يُعرف بين الناس، وبه يتواصل الناس فيما بينهم ويتراحمون، ومعرفته ضرورة لقيام الأسرة ونشوتها، وضرورة لتوزيع التركة للورثة. فضياع الأنساب أو اختلاطها يؤدي إلى مفاسد اجتماعية وأخلاقية كبيرة. ولذلك حرص الإسلام على الأنساب وشرع كل ما يؤدي إلى صيانتها والمحافظة عليها وحرّم كل ما يؤدي إلى اختلاطها وضياعها. كما أن جرائم العرض في الإسلام لا يمكن التسامح فيها فهي غير قابلة للتراضي بعوض مالي أو غيره ولا مجال للعفو فيها حتى من قبل المجني عليه. جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن ابني كان عسيفاً^(٢) عند هذا فزني بامرأته، فافتديته منه بوليدة^(٣) ومائه شاة. ثم أخبرني أهل العلم أن علي ابنه جلد مائة وتغريب عام. وأن علي امرأة هذا الرجم. فاقض بيننا بكتاب الله فقال النبي ﷺ "والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله الغنم والوليدة رد عليك. وأما ابنك فإن عليه جلد مائة وتغريب عام"^(٤) فالعرض إذا نيل منه لم يعد صاحبه عند ذلك يحس حياءً أو خوفاً من إتيان أي منكر صغر عنه أو كبر عليه. ولم يعد يفكر أو يقدر فيما يجنيه بعد جنائته على نفسه وعلى أسرته بما يعطي من قدوة سيئة تتناقلها العيون والأذان".^(٥)

(١) سورة الفرقان (٥٤).

(٢) عسيفاً: أجيراً.

(٣) وليدة: جارية.

(٤) البخاري/ كتاب المحارِبين/ باب من أمر الإمام بإقامة الحد غائباً عنه/ ج٦/ ص٢٥٠٨/ رقم ٦٤٤٦.

(٥) جمال/ عمر حمد محمد جمال/ على مائدة القرآن دين ودولة/ دار الكتاب اللبناني، بيروت/ ط٢/ ١٣٩٣هـ/ ص٢٩٠.

فصون العرض في الإسلام أمر عظيم الشأن إذ رفع من قدر صائنه ورتب أقسى العقوبات البدنية والأدبية على منتهكه بالفاحشة أو بالتدفع. فقد امتدح الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾^(١) وقال تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين* فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾^(٢). وحرّم الإسلام الزنا وكل سبيل قد يؤدي إليه قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾^(٣).

والسنة النبوية حافلة بالأحاديث التي تعظم من شأن العرض وتصف عقوبة منتهكه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ يوماً لأصحابه: "أتدرون ما أربى الربا عند الله، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال" فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم"^(٤). ثم قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾^(٥). كما أنه ﷺ نفى الإيمان عن الزاني فقال رسول الله ﷺ: - "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"^(٦). وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم، شيخ زان، ومك كذاب وعائل مستكبر"^(٧). وحرمة المؤمن تتمثل في حرمة عرضه، وماله، ودمه. فالعرض أحد الضروريات أو الكليات الخمس التي

(١) سورة الفرقان (٦٨).

(٢) سورة المؤمنون (٥-٧).

(٣) سورة الإسراء (٣٢).

(٤) البيهقي/ شعب الإيمان/ باب تحريم أعراض الناس/ ج٥/ ص٢٩٨/ رقم ٦٧١١.

(٥) سورة الأحزاب (٥٨).

(٦) صحيح البخاري/ كتاب المحارِبين/ باب إثم الزناة/ ج٦/ ص٢٤٩٧/ رقم ٦٤٢٤. صحيح مسلم/ كتاب الإيمان/ باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي/ ج١/ ص٧٦/ رقم ٥٧.

(٧) صحيح مسلم/ كتاب الإيمان/ باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار/ ج١/ ص١٠٢/ رقم ١٠٦.

تتوقف عليها حياة الناس الدينية والدنيوية بحيث إذا فقدت اختلت الحياة في الدنيا وضاع النعيم

وحل العقاب في الآخرة. هذا، وروعي العِرضُ في الإسلام من ناحيتين: -

الأولى: تحقيقه بمشروعية الزواج والحث عليه.

الثانية: المحافظة على بقائه بتقرير عقوبة الزنا.

إن سلامة النسل وحفظ العِرض والكرامة يجعلان المجتمع قوياً نقيماً منسجماً لا شذوذ فيه ولا أحقاد ولا شحناء في ربوعه^(١) ولأجل هذا لم يجعل الإسلام على المدافع عن عِرضه أي تبعة أو ضمان لأن النبي ﷺ جعل المدافع عنه شهيداً فعن سعيد بن زيد قال قال رسول الله ﷺ: "من قُتل دون دينه فهو شهيد ومن قُتل دون دمه فهو شهيد ومن قُتل دون ماله فهو شهيد ومن قُتل دون أهله فهو شهيد"^(٢) كما أنه حق لجميع الناس وليس خاصاً بالزوج كما في القوانين الوضعية فللوالد والأخ والابن وغيرهم الدفاع عن أعراضهم دون أن يلحق بهم أية مسؤولية وتكريساً لهذه الأهمية والمكانة للحفاظ على سلامة الأعراض فقد وضعت الشريعة الإسلامية جملة من الآداب والأحكام والضوابط الأمنية التي تُعد باباً مؤصداً في وجه الفاحشة أو أي عمل يُنال به من الأعراض. ولم تغفل عن تلك النفوس الحائذة عن شرع الله تعالى، المتبعة لهاها المفرط وغرائزها الجائعة التي لا تروى إلا بالحرام وعلى حساب تدنيس أعراض الناس وتلويث أنسابهم، ففرضت الحدود والعقوبات الزاجرة التي تطبق على مثل هؤلاء دون هواده أو محاباة للحفاظ على استقرار المجتمع المسلم وعلى سلامة عِرض أفراده.

(١) الزحيلي، وهبه/ نظرية الضرورة الشرعية مقارنة مع القانون الوضعي/ مؤسسة الرسالة/ ط٢/ ١٩٧٩م-١٣٩٩هـ/ ص٥٢-٥٤.

(٢) سنن الترمذي/ كتاب النيات/ باب ما جاء فيمن قُتل دون ماله فهو شهيد/ ج٤/ ص٣٠/ رقم ١٤٢١.

الفصل الأول

"الوسائل الوقائية التي شرعها القرآن الكريم لصون العرض"

المبحث الأول: التربية الإسلامية

المبحث الثاني: الاستعفاف بتقوى الله وأداء العبادات

المبحث الثالث: الاستئذان

٥٨٧٧٨٧

المبحث الرابع: غض البصر

المبحث الخامس: نبذ التبرج وفرضية الحجاب

المبحث السادس: تحريم الخلوة وسفر المرأة بغير محرم ومصافحة الأجنبية

والاختلاط

المبحث السابع: النهي عن الخضوع بالقول

المبحث الثامن: الحث على الزواج

المبحث التاسع: تعدد الزوجات في الإسلام

المبحث العاشر: النهي عن البغاء

المبحث الحادي عشر: أهمية الإعلام في صيانة الأعراض

المبحث الأول: التربية الإسلامية

يرجع أصل كلمة التربية إلى (ربا) وربيت فلاناً أربيته تربية. ورب الشيء إذا أصلحه. قال الجوهري: ربيته أي غذوته والتربية: بمعنى الحفظ والرعاية والتنمية.^(١) ورباً الصبي: رباه حتى أدرك.^(٢)

أما التربية الإسلامية:

هي إنشاء الإنسان على تربية كاملة متوازنة عقلية بالمعرفة وجسمانية بالرياضة ونفسية بالإيمان وهي جامعة من حيث أنها تغرس القيم الخلقية والاجتماعية التي تحمي الإنسان من أخطاء الاضطراب والتمزق.^(٣)

أو هي عملية مقصودة تستضيء بنور الشريعة تهدف إلى تنشئة جوانب الشخصية الإنسانية جميعها لتحقيق العبودية لله ويقوم فيها أفراد ذوو كفاءة عالية بتوجيه تعلم أفراد آخرين وفق طرق ملائمة.^(٤)

ومنطلق التربية الإسلامية ومنبعها الصافي "العقيدة" إذ أن القيم الخلقية السلوكية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعقيدة المسلم التي من شأنها تزكية الروح وترقية النفس " ولقد فطن علماء التربية والأخلاق الآن إلى أهمية التربية الإسلامية الدينية الروحية وأثرها في إصلاح سلوك

(١) ابن منظور الأفرقي المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم/ لسان العرب/ دار صادر - بيروت/ ط١/ ١٩٩٧م/ ج٢ / ص١٢٦.

(٢) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب/ القاموس المحيط باب الهاء فصل الرءاء/ ج١/ ص٧٣٠.

(٣) أبو سمك، أحمد عبد العزيز/ التربية الترويقية في الإسلام احكامها وضوابطها الشرعية/ دار النفائس - الأردن/ ط١/ ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م/ ص٢٩.

(٤) المصدر السابق/ ص٣٠.

الأفراد وتقوم اعوجاج النفوس بعد التجربة المريرة التي خاضوها حين نشروا العلمانية والإلحاد".^(١)

فمسئولية التربية بجميع نواحيها إيمانية وخالقية وعقلية ونفسية أمانة عظيمة لمقاة على عاتق الوالدين نحو أبنائهم يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾^(٢) ووقاية الإنسان لنفسه من عذاب الله تكون بحسن فعله، ووقايته لأهله تكون بنصحهم وحثهم على فعل الخير. وفي قوله تعالى: (قوا أنفسكم) دخل فيه الأولاد لأن الولد بعض منه وساق القرطبي^(٣) في تفسيره لهذه الآية الكثير من الأحاديث التي تحث على تربية الولد وتهذيبه. ويؤكد المصطفى ﷺ شأن مسئولية التربية عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: "والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته"^(٤) وعن علي بن أبي طالب قال قال عليه الصلاة والسلام: "أدبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم"^(٥) وعن جابر بن سمرة قال قال عليه الصلاة والسلام: "لأن يودب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع"^(٦) وعن عمرو بن سعيد بن العاص قال قال رسول الله ﷺ: "ما نحل والدٌ ولدًا أفضل من وضوء حسن"^(٧) وقد بين القرآن الكريم الطريقة الموصلة إلى التربية الإيمانية

(١) العك، خالد عبد الرحمن العك/ بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة/ دار المعرفة بيروت/ ط١/ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م/ ص ١٩٢.

(٢) سورة التحريم آية (٦).

(٣) القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ص ١٢٧.

(٤) صحيح البخاري/ كتاب الجمعة/ باب الجمعة في القرى والمدن/ ج ١/ ص ٣٠٤/ رقم (٨٥٣).

(٥) ابن ماجه/ كتاب الأنب/ باب بر الوالدين والإحسان إلى البنات/ ج ٢/ ص ١٢١١/ رقم ٣٦٧١.

(٦) سنن الترمذي/ كتاب البر والصله عن رسول الله - باب ما جاء في وضوء الولد/ ج ٤/ ص ٣٣٧/ رقم ١٩٥١.

(٧) الترمذي/ كتاب البر والصله عن رسول الله/ باب ما جاء في وضوء الولد/ ج ٤/ ص ٣٣٨/ رقم ١٩٥٢. سنن البيهقي/

باب وجوب تعلم ما المسجد به الصلاة من التكبير ... / ج ٢/ ص ١٨/ رقم ٢١٠٦.

الصحيحة في منهج تربية لقمان لابنه - وهي عظة الوالد لولده لا يريد له منها إلا الخير - إذ بدأ بعرض عقيدة التوحيد بنهيهِ عن الشرك ووصفه بالظلم العظيم: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لِقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾^(١) وينتقل إلى تعريفه بصفات خالقه من قوة وقدرة وشمول وعلم وإحاطة فقال: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾^(٢) ثم يوجهه إلى جملة الآداب والفضائل والعبادات ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾^(٣) فالتربية حينما تكون بعيدة عن العقيدة ومجردة من التوجيه الديني والصلة بالله فإن الولد بلا شك سيتزعزع على الانحلال ويسير خلف نوازع النفس ووساوس الشيطان - فالدين أساس للأخلاق ينميها ويغذيها. كما أن الماء أساس للحياة. (وقد دعا رسول الله ﷺ إلى غرس القيم والمبادئ والمثل والفضائل الدينية والخلقية منذ السنوات الأولى من عمر الولد حتى تصبح حالاً راسخة في نفسه يصعب انتزاع جذورها وهز قواعدها مهما لاقى في حياته بعد ذلك من تيارات الإغراء وحبائل الإغواء)^(٤) فالتنشئة الصحيحة تكون منذ الصغر بتعليم الطفل أمور العقيدة أولاً ثم الأخلاق التي تناسب سنه ثانياً .. ولا غرو أن تتقدم الأخلاق الفرائض فما هو القرآن في تربيته ينزل على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً لا يعلمهم سوى العقيدة والأخلاق

(١) سورة لقمان آية (١٣).

(٢) سورة لقمان آية (١٦).

(٣) سورة لقمان آية (١٧-١٩).

(٤) الزنداني، عبد الحميد العيد/ فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة/ الدار العربية للكتاب/ ط١/ ١٩٩٣م/ ص٣٦٩.

ولا يفرض عليهم شيئاً من أمور العبادات أو المعاملات أو الحدود سوى "الصلاة" التي فرضت قبل الهجرة عام الإسراء والمعراج.

فتمام الأخلاق هي غاية الإسلام قال رسول الله ﷺ "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"^(١) وقال " إن الرجل ليبليغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم"^(٢) وقد قدم الله في ثنائه على عباده المؤمنين الأخلاق على العبادات في بعض السور القرآنية كما في سورة "المؤمنون" إذ قدم في موضع من السورة حفظ الفروج وحفظ الأمانات على المحافظة على الصلاة فقال تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾.^(٣)

والحفاظ على العرض في أصله خلق ينبع من تقوى وإيمان وإن ساعد قيام الحد على الحفاظ عليه.

أساليب التربية الإسلامية

إن الأساليب في التربية الإسلامية متعددة كثيرة وسأذكر بعضها مدعمة أهميتها بفعل قدوتنا محمد ﷺ وتوجيهاته.

١. التربية بالقوة: فالطفل بارع في التقليد والمحاكاة لما يراه من الكبار وخاصة الوالدين أو الأخوة والزملاء. ولذلك يجب على الأم والأب أن تكون قدوة صالحة ذات سلوك مستقيم ليقتدي الطفل بها- وذات عقيدة صحيحة متمسكة بالأخلاق الحميدة عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: دعيتي أُمِّي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا. فقالت: هاك تعال

(١) سنن البيهقي الكبرى/ كتاب آداب القاضي/ باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها/ ج ١٠/ ص ١٩١.

(٢) الحاكم/ كتاب الإيمان/ ج ١/ ص ١٢٨/ رقم ١٩٩.

(٣) سورة المؤمنون: الآية (٥-٩).

أعطيك! فقال رسول الله ﷺ: وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمراً. فقال لها رسول الله ﷺ "أما أنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة"^(١) فقد سأل النبي ﷺ الأم ليتأكد من صدقها لعلمه بما سيترك ذلك من أثر في نفسية الطفل البيضاء وأنه سيتعلم الكذب بالتقليد - فالبون شاسع في التربية بين أم سليمة العقيدة مهذبة الأخلاق، وأخرى منحرفة العقيدة سيئة الأخلاق. (والملاحظ أن من أول الأسباب الفتاكة بأخلاق الطفل وتصرفاته عندما يشب في بيئة وأسرة يضعف فيها الوازع الديني - ولذا لقي موضوع الحضانة من الشارع اهتماماً خاصاً إذ بين في ترتيب واضح أحقية الكفالة للصغير مراعيًا الأصلح والأفنع والأسفق وقدم صاحب الخلق على الفاسق).^(٢)

٢. التربية بالتوجيه المباشر: وهذا التوجيه إما أن يكون لتصويب خطأ أو تعليم أمر لم يسبق للطفل عمله فيوجه إلى التصرف الحسن فيه. فعن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحيفة فقال لي رسول الله ﷺ (يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك)^(٣) فما زالت تلك طعمتي بعد.

٣. التربية بالنصيحة والإرشاد وتوخي الوقت المناسب لذلك وبأسلوب يناسب السن ومستوى الإدراك. عن عبد الله بن عباس رضي الله عنها قال: - " كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا

(١) سنن أبي داود/كتاب الديات/ باب في التشديد في الكذب/ج٤/ ص٢٩٨/ رقم الحديث ٤٩٩١.

(٢) أبو زعرور - محمد سعيد بن سهو/ جَنَاحُ الْأَحْدَاثِ وَرِعَايَتِهِمْ فِي دَوْلَةِ الْخَلِيفَةِ/ دار البيارق/ ط١/ ١٩٩٦م/ ١٤١٦هـ/ ص١١٨ بتصرف.

(٣) صحيح البخاري/كتاب الأطعمة/ باب التسمية على الطعام والأكل باليمين/ رقم الحديث/٥٠٦١/ ج٥/ ص٢٠٥٦، مسلم/ كتاب الأشربة/ باب آداب الطعام والشراب وأحكامها/ج٣/ص١٥٩٩/ رقم ٢٠٢٢.

بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه
الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف".^(١)

إن التربية في وقتها المناسب وبطريقتها الصحيحة عملية شاقة تشبه فلاح الأرض بما
تحتاجه من صبر ومشقة إلا أنها ذات نتائج طيبة وفي ذلك يقول الإمام الغزالي (واعلم أنه ينبغي
للسالك مربى ليخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته ويجعل مكانها خلقاً حسناً ومعنى التربية يشبه
فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل
ريعه).^(٢)

وقد حازت الطفولة على اهتمامات خاصة في التشريعات الإسلامية حتى غدت التربية
تشكل حالة وقائية للخلاص من التبعات السلبية.

(فغريزة النوع إن تركت دون تهذيب أدت إلى الانحراف، فالشهوة الجامحة تدفع
بصاحبها وبدون تعقل إلى مواطن الزلل والهلاك. بل إن هذا التهذيب يجب أن يكون من طبيعة
ما ينبغي أن يستأثر باهتمام ذوي الشأن حفاظاً على الأعراض وحفاظاً على سلامة النسل
وطهارة النسب).^(٣)

وسائل التهذيب الجنسي:

١. وهذا التهذيب يبدأ كما ذكرت بتثنيته دينياً وعقائدياً عن طريق التوعية والتوجيه كي يتأكد من
أن الله قد نظم للبشر شؤون حياتهم بإنزال التشريعات السماوية ليختبرهم في الدنيا من حيث
طاعتهم وعصيانهم، ثم يحاسبهم في الآخرة على حسب أعمالهم. فبذلك يكون المربي قد زرع

^(١) سنن الترمذي/ كتاب صفة القيامة الرقائق والورع/ باب في القيامة/ ج٤/ ص٦٦٧/ رقم ٢٥١٦. مسند أحمد/ حديث عبد

الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه/ ج١/ ص٢٩٣/ رقم ٢٦٦٩.

^(٢) الغزالي/ رسالة "أيها الولد" دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ ط١/ ١٤١٦، ١٩٩٦م/ ص٢٦٢.

^(٣) أبو زعور/ جناح الأحداث/ ص١١٩.

في نفس الطفل الخوف من الله وترك المعاصي خشية من الله ومن عذابه لا خوفاً ولا رهبة من شخص أو سلطة فيكون رقيباً على نفسه ممتعاً عن المعصية حتى في خلوته بموجب الإيمان (وبذلك يكون المربي قد وصل إلى تكوين عاطفة قوية دافعة إلى السلوك بموجب الإيمان ومن أهمها عاطفة الحب وعاطفة الخوف: والعاطفة: توجه وجداني نحو موضوع بعينه وتكون مكتسبة بالخبرة والتعلم ولذا يجب أن نجعل الطفل يحب الله ويحب المبادئ الأخلاقية باعتبارها أوامر إلهية ونجعله في الوقت نفسه يخاف من أن يعصيه في ترك أوامره واجتناب نواهيه).^(١)

٢. تعويد الطفل على العبادات الملائمة لسنه وقدرته ومن أهمها الصلاة: - روى عمر بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: - "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع"^(٢) فالصلاة يؤمر بها ابن السابعة ليتدرب على الفريضة فإذا قارب البلوغ وصار في العاشرة ألزم بها وضرب على تركها حتى تتأصل تأدية الفريضة في نفسه فالصلاة الدور البارز في اعفاف النفس عن المنكرات والفواحش. قال تعالى: ﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾^(٣) فالصلاة تغرس في القلب خشية الله وتقوي المرء على فعل الطاعات واجتناب النواهي كما أن في ترك الصلاة دليلاً واضحاً على الضعف أمام الشهوات والانقياد لها ومن انقاد لشهواته وقع في المنهيات لا محالة قال تعالى: ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون

(١) يالجن، مقدار والجن/ التربية الأخلاقية الإسلامية/ مكتبة الخانجي بمصر/ ط١/ ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م/ ص ٢١٠-٢١١ بتصرف.

(٢) سنن أبي داود/ كتاب الطهارة/ باب متى يؤمر الغلام بالصلاة/ ج ١/ ص ١٣٣/ رقم الحديث ٤٩٥، سنن البيهقي الكبرى/ باب ما على الآباء والأمهات من أمر الطهارة والصلاة/ ج ٣/ ص ٨٤/ رقم ٤٨٧١.

(٣) سورة العنكبوت آية (٤٥).

غَيًّا^(١) وكذلك من الأفضل تعليمه الصيام في السن التي يطيق ليعتاد ذلك عند بلوغه، ولأنه سيكون نعم المعين في إعفائه عن الشهوات إن لم يتيسر له الزواج في شبابه. وفي دور العبادات في التربية يقول (محمد أمين المصري): - "ولا بد أن نلاحظ في دروس العبادات أن الغرض منها أن تؤدي إلى صدور العبادة عن أسبابها لتنتهي إلى أغراضها وثمراتها من زيادة في الإيمان وتركيزه للنفس وسمو في الخلق وحفز على التضحية في سبيل الجماعة".^(٢)

٣. تربية الطفل على الآداب الإسلامية العملية التي شرعت لتكون أسباب وقاية وتحصين للمجتمع من الفساد والانحلال ومنها: -

أ. الاستئذان: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(٣) ففي هذا النص القرآني يرشد الله عباده المؤمنين المربين إلى أصول التربية في الاستئذان من قبل الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم في الأوقات الثلاث التي وصفها الآية الكريمة بـ "ثلاث عورات" لانكشاف العورات فيها عادة. ويقول (سيد قطب) معلقاً على هذه الآية: وعلى الخدم والصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم الاستئذان في هذه الأوقات كي لا تقع أنظارهم على عورات أهلهم وهو أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية. مستهينين بأثاره النفسية

(١) سورة مريم آية (٥٩).

(٢) المصري. محمد أمين/ لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها/ دار الفكر للطباعة والنشر/ ط٤/ ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م/ ص ٢٤٢.

(٣) سورة النور (٥٨-٥٩).

والعصبية والخلقية ظانين أن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر، بينما يقرر النفسيون اليوم أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في حياتهم كلها وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها^(١) أما حين يدرك الصغار سن البلوغ فعليهم أن يستأذنوا في كل وقت مراعين آداب الاستئذان التي نصت عليها آية سورة النور.^(٢) وعند تعليم الطفل آداب الاستئذان لا بد من توضيح الحكمة من مشروعيته، وأنه جعل خوفاً من النظر إلى داخل البيوت دون علم أصحابها - أو استراقه من خلال نافذة أو باب" فيكشف عوراتهم ويسبب لهم المضايقة والإحراج" فيربي الطفل على الحياء منذ الصغر ويقدّر مشاعر الناس وأحاسيسهم فيتجنب كل ما يؤذيهم.

ب. خلق الحياء: إن تربية الطفل على الحياء منذ صغره وتعريفه الأمر الحرام الذميمة من الحلال الطيب خير وقاية له من الوقوع في المعاصي، وقد اتفقت الشرائع السماوية جميعاً للدعوة إليه فقد حذر الأنبياء السابقون من كسر حاجز الحياء كي لا يقع المرء في القباح. كما جاء في حديث أبي مسعود عقبة الأنصاري عن رسول الله ﷺ قال: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت"^(٣) وفي معناه قولان: أحدهما: أنه ليس بمعنى الأمر أن يصنع ما شاء، ولكنه على معنى الذم والنهي عنه وفيه توبيخ وتهديد، والمعنى إذا لم يكن حياء فاعمل ما شئت فإله يجازيك عليه فهو إشعار بأن الذي يردع الإنسان عن موافقة سوء هو الحياء.

(١) سيد قطب/ في ظلال القرآن/ دار الشروق - بيروت/ ط٤٤ / ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م/ ٤م/ ص٢٥٣٢.

(٢) للاستزادة انظر مبحث الاستئذان في رسالتي هذه. (المبحث الثالث).

(٣) صحيح البخاري/ كتاب الأئب/ باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت/ ج٥/ ص٢٢٦٨/ رقم ٥٧٦٩.

والثاني: أنه أمر ومعناه الخبر، والمعنى أن من لم يستحي صنع ما شاء فإن المانع من فعل القبائح هو الحياء. فمن لم يكن له حياء انهمك في كل فحشاء ومنكر^(١) وقد امتدح الله في كتابه الكريم حياء بنت شعيب عليه السلام إذ قال: ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء﴾^(٢) [أي جاءته تمشي مشية العفيفة الطاهرة النظيفة من غير تبذل ولا تبرج ولا إغواء لتبلغه ما تريد في أقصر لفظ وأدب]^(٣) وعن ابن عمر أن أحد الصحابة كان يعاتب أخاه على حيائه وكأنما يقول له قد أضرب بك الحياء فقال رسول الله ﷺ "دعه فإن الحياء من الإيمان"^(٤) ووصفه رسول الله ﷺ بأنه زينة للسلوك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ قال "ما كان الفحش في شيء قط إلا شأنه ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه"^(٥) وعن زيد بن طلحة قال قال رسول الله ﷺ "إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء".^(٦)

ج. التربية على الستر والعفة: عن أبي برزة الأسلمي قال قال الرسول ﷺ: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته"^(٧) فإنه لا طاقة للإنسان بمثل هذا الوعيد فحري بالوالدين تعليم أبنائهم عدم التجسس على البيوت منذ صغرهم وتعريفهم عند البلوغ بعقوبة هتك أعراض المسلمين بالألسنة.

(١) ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن الجزري/ النهاية في غريب الحديث والأثر/ تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطنجاوي/ دار إحياء الكتب العربية/ ج ١/ ص ٤٧٠.

(٢) سورة القصص (٢٥).

(٣) سيد قطب/ في ظلال القرآن/ ج ٥/ ٢٦٨٦.

(٤) صحيح البخاري/ كتاب الإيمان/ باب الحياء من الإيمان/ ج ١/ ص ١٧/ رقم ٢٤.

(٥) سنن الترمذي/ كتاب البر والصله عن رسول الله/ باب ما جاء في الفحش والستفحش/ ج ٤/ ص ٣٤٩/ رقم ١٩٧٤.

سنن ابن ماجه/ كتاب الزهد/ باب الحياء/ ج ٢/ ص ١٤٠٠/ رقم ٤١٨٥.

(٦) سنن ابن ماجه/ كتاب الزهد/ باب الحياء/ ج ٢/ ص ١٣٩٩/ رقم ٤١٨٢.

(٧) سنن أبي داود/ كتاب النديات/ باب في الغيبة/ ج ٤/ ٢٧٠/ رقم ٤٨٨٠.

قال تعالى: ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾^(١) أما العفة فهي من شروط المروءة وتنقسم على نوعين ضبط الفرج عن الحرام وكف اللسان عن الأعراض.

- لذا يجب تربية الأولاد على غض البصر عن المحرمات، كما ينبغي مراقبتهم أثناء شغلهم وقت فراغهم والتتبع إلى أخلاق رفاقهم.

د. (تربية الطفل منذ سن التمييز ما بين (سبع إلى عشر) سنين على ألا يدخل على النساء الأجنبية فيقبلهن ويصافحهن وكذلك تمنع البنت من هذه السن من مصافحة وتقبيل الرجال الأجانب لتربي على الحشمة والوقار).^(٢)

هـ. التفريق بين الصبيان والبنات في المضاجع، قال رسول ﷺ "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع"^(٣) ويأتي أمر الرسول ﷺ بالتفريق بين الأبناء في المضاجع خشية من غوائل الشهوة ونزوات النفس وقد جاءت أوامره عليه الصلاة والسلام موافقة للدراسات النفسية الحديثة ففي كتاب (صالح طفلك عن الجنس) يقول " يجب ألا يشترك الأطفال في فراش واحد ومن المستحسن أن لا يشتركوا في غرفة نوم لأن الالتصاق الجسدي قد يغريهم بالمداعبات ويمكننا أن نعزوا كثيراً من حالات الانحراف الجنسي المبكر في الأولاد إلى إهمال التفريق بينهم في المضاجع، وإلى النوم في غرفة الأبوين".^(٤)

(١) سورة النور آية (١٩).

(٢) القطان، أحمد القطان/ واجبات الآباء نحو الأبناء/ إعداد محمد الزين/ مكتبة السنديس/ ط٢/ ١٩٨٥م/ ص٤٧.

(٣) سبق تخريجه ص٣٠.

(٤) نقلاً عن كتاب مبيض، محمد سعيد/ إلى غير المحجبات أولاً/ ص١٤٣.

٣. التحذير من رفقة السوء: يتأثر الناس في كثير من الحالات برفاقهم وأصدقائهم الذين تربطهم معهم صلوات قوية فمجالسة الأخيار لها التأثير الطيب في السلوك والخلق وعلى العكس من ذلك مجالسة الأشرار يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً* يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً* لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾^(١) وقال تعالى: ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد﴾^(٢) وحذرنا القرآن الكريم من قرين السوء في حوار قرآني أجراه على لسان أهل الجنة يوم القيامة. قال تعالى: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون* قال قائل منهم إني كان لي قرين* يقول أنك لمن الصادقين* أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أننا لمدينون* قال هل أنتم مطلعون* فاطلع فرآه في سواء الجحيم* قال تالله إن كدت لتردين* ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾^(٣) وعن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ: "مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير. فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن يتباع منه. وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً منتنة"^(٤) وعن أنس بن مالك قال قال عليه الصلاة والسلام "المرء مع من أحب وله ما اكتسب".^(٥) وعن أبي هريرة قال قال عليه الصلاة والسلام "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل".^(٦) وعن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "لا تصاحب إلا"

(١) سورة الفرقان آية (٢٨-٣٠).

(٢) سورة ق آية (٢٧).

(٣) سورة الصافات آية (٥٠-٥٧).

(٤) صحيح مسلم/ كتاب البر والصلة والآداب/ باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء/ ج٤/ ص٢٠٢٦/ رقم ٢٦٢٨.

(٥) سنن الترمذي/ كتاب الزهد/ باب ما جاء أن المرء مع من أحب/ ج٤/ ص٥٩٥/ رقم ٢٣٨٦.

(٦) سنن أبي داود / كتاب الديات/ باب من يؤمر أن يجالس/ ج٤/ ص٢٥٩/ رقم ٤٨٣٣. الحاكم/ كتاب البر والصلة/ ج٤/ ص١٨٨/ رقم ٧٣١٩.

مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي"^(١) ونخلص من النصوص السابقة إلى أنه لا يكفي الاعتماد على المجتمع الذي يحيط بالناشئ عادة، بل يجب تحذيره من جليس السوء وأن نختار له مجالس الصالحين والرفقة المؤمنة، والأتراب والأنداد الذين ربوا تربية صالحة، مع اشغال مجالسهم بما يرضي الله أو يحقق فائدة علمية أو كسباً دنيوياً حلالاً.^(٢) يقول (عبد الله علوان) في ذلك: - "ومن العوامل التي تؤدي إلى انحراف الولد رفاق السوء وخاصة إذا كان ضعيف العقيدة متميع الخلق فسرعان ما يتأثر بمصاحبتهم ويكتسب منهم أخط العادات وأقبحها حتى يصير الإجرام طبعاً من طباعه والانحراف عادة متأصلة من عاداته".^(٣)

٤. شغل وقت الفراغ بالأمر النافعة: من نعم الله على عباده الفراغ إن استغل فيما يرضي الله تعالى عن ابن عباس قال قال الرسول ﷺ "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ".^(٤)

قال (ابن بطال): معنى الحديث أن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً صحيح البدن، فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يغبن، بأن لا يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو المغبون وفي قوله (كثير من الناس) إشارة إلى أن الذي يُوفق لشكر النعمة القليل.

(١) صحيح ابن حبان/ باب الصحة والمجالسة/ ج ٢/ ص ٣١٤/ رقم الحديث ٥٥٤ . سنن الترمذي/ كتاب الزهد/ باب ما جاء في تقوى المؤمن/ ج ٤/ ص ١٠٠/ رقم ٢٣٩٥.

(٢) أبو مغلي، د. سميح، د. عبد الحافظ سلامة، محمد الشناوي/ تربية الطفل في الإسلام/ دار اليازوري العلمية للنشر/ عمان/ ط ١/ ٢٠٠١م/ ص ٩٠.

(٣) علوان، عبد الله ناصح/ تربية الأولاد في الإسلام/ دار السلام للطباعة والنشر/ ط ٢١/ ١٤١٢-١٩٩٢م/ ج ١/ ص ١٣٣.

(٤) صحيح البخاري/ كتاب الرقاق/ باب ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش إلا عيش الآخرة/ ج ٥/ ص ٢٣٥٧/ رقم الحديث ٦٠٤٩.

وقال (ابن الجوزي): قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش. وقد

يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً فإذا اجتمعاً فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون. (١)

وفي وقتنا الحاضر زاد وقت الفراغ بالتقدم التقني وزادت معه وسائل الشر والفساد وخاصة وسائل الإعلام المختلفة، ولأجل هذا صارت مسؤولية الوالدين والمربين أعظم في تعبئة أوقات الفراغ لدى الناشئة وخاصة المراهقين بما ينفع، وعدم ترك هذا الفراغ لشياطين الإنس ورفقاء السوء ليملؤوه بما يوافق أهواءهم ورغباتهم المضللة. والإسلام بتوجيهاته السامية أرشدنا إلى كيفية معالجة أوقات الفراغ لدى الناشئة وذلك بعدة أمور: -

أ. تعويدهم على العبادات وخاصة الصلاة لما فيها من منافع روحية وجسدية وأخلاقية والأفضل تعويد الطفل على صلاة الجماعة ليسهل الأمر عليه عند بلوغه.

ب. تغذيتهم فكرياً عن طريق تنمية مهاراتهم وقدراتهم العقلية بقراءة القرآن الكريم والقصة النافعة كقصص الأنبياء وسير الصحابة ... الخ. " وحينما يبلغ الولد سن المراهقة لا بد من تثقيفه جنسياً ضمن قواعد معينة لتجنيبه الإثارات الجنسية.

عن طريق التحذير: بإظهار حقيقة المفاسد للولد والأخطار التي تلحق به إن أقدم على الفاحشة ومنها الخطر الصحي مثل مرض السيلان والزهري والإيدز .. والخطر النفسي والخلقي مثل ميل هذا الشهواني إلى الشذوذ الجنسي. وأهم من ذلك خطر الابتعاد عن الدين وسخط الله عليه" (٢) وتعد وسيلة التحذير من أعظم الوسائل الإيجابية عن كف الولد من المفاسد وزجره عن الفاحشة.

(١) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر/ فتح الباريء شرح صحيح البخاري/ تحقيق عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ ط١/ ١٤١٠ - ١٩٨٩م/ ١١م / ص ٢٧٦.

(٢) أبو مغلي، سميح أبو مغلي ورفاقه/ تربية الطفل في الإسلام/ ص٥٨ بتصرف.

ج. تعليمهم الرياضة وفنون الحرب والفروسية: فلا يكون جند الله إلا ذلك النشيء الصالح الذي تربي منذ نعومة أظفاره على القوة والشجاعة ونصرة دين الله. وقد روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال للحبشة حينما أخذوا يلعبون بحرابهم في المسجد "دونكم يا بني أرفده، لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة"^(١) وعن عقبه قال قال رسول الله ﷺ: " كل شيء ليس من ذكر الله فيه لغو أو لهو أو سهو إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعلمه السباحة"^(٢) فهذا من شأنه حفظ القوة البدنية والصحية للأولاد وقضاء وقت فراغهم بالنافع وإعدادهم جنداً مغاوير للإسلام.

د. توفير المكان المناسب لتسليةهم ببعض الألعاب النافعة المباحة للترويح عن نفوسهم وإدخال السرور عليهم وشحذهممهم وتجديد نشاطهم للعودة إلى واجباتهم بإقبال ذاتي، وقدوتنا في ذلك رسول الله ﷺ حيث كان يلعب أبناء الصحابة ويشجعهم على اللعب البريء ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد بإسناد حسن عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يَصْفُ عبد الله وعبيد الله وكثير بن العباس رضي الله عنهم ثم يقول: "من سبق إليّ فله كذا وكذا) قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدرة فيقبلهم ويلتزمهم."^(٣)

(١) صحيح البخاري/ كتاب العيدين/ باب الحراب والدرق يوم العيد/ ج ١/ ص ٣٢٣/ رقم ٩٠٧. صحيح مسلم/ كتاب صلاة العيدين/ باب ما يقرأ به في صلاة العيدين/ ج ٢/ ص ٦٠٩/ رقم ٨٩٢. مسند أحمد/ حديث امرأة كعب بن مالك رضي الله عنهما/ ج ٦/ ص ٢٣٣/ رقم ٢٦٠٠٤.

(٢) السنن الكبرى/ كتاب عشرة النساء/ باب ملاعبة الرجل زوجته/ ج ٥/ ص ٣٠٣/ رقم الحديث ٨٩٤٠.

(٣) مسند أحمد/ حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه/ ج ١/ ص ٢١٤/ رقم الحديث ١٨٣٦.

المبحث الثاني: الاستغفار بتقوى الله وأداء العبادات

قال تعالى: ﴿ وليستغف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ﴾^(١)

أمر من الله تعالى لمن لم يقدر على تحصين نفسه بالزواج أن يحصنها بالعفة فهي الطريق الوحيد لإصلاح النفس والتسامي والترفع عن مطالب النفس الأمارة بالسوء وهي الطريق الأفلح في دحض وسوسة شياطين الإنس والجن. (وهذه الدعوة القرآنية إلى العفة تربية نفسية كريمة تُقوي في نفوس الشباب الإرادة وترسخ في قلوبهم العزيمة وتجعل منهم أناساً كالملائكة. وتمنحهم دائماً الطمأنينة والاستقرار).^(٢)

الاستغفار لغة:

أصل الاستغفار (عَف) - والعفة: الكف عما لا يحل ولا يجمل، وعَفُّ عن المحارم والأطماع الدنية - ويقال تعفف واستغف: وهو الصبر والنزاهة عن الشيء وامرأة عفيفة: عَفَّة الفرج.^(٣)

والعفة: ترك الشهوات من كل شيء وغُلَبَ في حفظ الفرج مما لا يحل.^(٤)

الاستغفار اصطلاحاً: -

هو كف النفس عن ارتكاب جريمة الزنا تسامياً بالنفس واستعلاء على الرغبات الشهوية الدنيئة وحباً للفضيلة.^(٥)

(١) سورة النور آية (٣٣).

(٢) عبد الله علوان/ تربية الأولاد في الإسلام/ ج ٢/ ص ٥٧٩.

(٣) ابن منظور/ لسان العرب/ ص ٨٤٢.

(٤) إبراهيم مصطفى ورفاقه/ المعجم الوسيط/ مجمع اللغة العربية/ المكتبة العلمية طهرن/ ج ٢/ ص ٦١٧.

(٥) العك- خالد عبد الرحمن/ بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة/ دار المعرفة بيروت/ ١٤١٨هـ -

١٩٩٨م/ ط ١/ ص ٣٤٤.

قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وليستغف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله﴾ (١) أي ليجتهد في العفة وقمع الشهوة من لم تتيسر لهم سبل الزواج حتى يوسع الله عليهم ويسهل عليهم أمر الزواج، فكان المتعفف طالب من نفسه العفاف. (٢)

الأسباب المعينة للوصول إلى العفة: -

أولاً: تقوى الله: إن الامتناع عن ارتكاب الفواحش والمنهيات من ذات الإنسان يحتاج إلى صلاح عظيم في باطنه، ولا يبني هذا الصلاح ولا ترسخ جذوره في النفس إلا بسبب الإيمان فالذي يؤمن بالله واليوم الآخر ويعظم تشريعات الله حلالها وحرامها هو المكلف في الحقيقة بأوامر الشرع ونواهيه، فحينما يعلم أن الله ينهاه عن الفحشاء والمنكر فإنه يتجنب ذلك بمقتضى الإيمان والعقيدة الراسخة في قلبه إذ علمته الخوف من الله والمهابة منه وخشية عقابه فيصل بعقيدته إلى درجة التقوى [التي تجعل منه ذلك الإنسان الرباني المتحرر من العبودية للكأانية والشهوات ومن الخضوع والاستسلام لمطالبه المادية ورغباته الشخصية. بل يقف منطلقاً من إيمانه بالله واليوم الآخر موقف الموازنة بين رغبات نفسه ومتطلبات دينه بين ما تدفعه إليه شهوته وما يأمر به ربه، بين لذة عاجلة في دنياه وحساب عسير ينتظره في أخراه، وهذه المسألة والموازنة جدية أن تخلع عنه نير العبودية للهوى والشهوات وأن ترتفع به إلى أفق أعلى ... أفق الإنسانية المتحررة المتصرفة بوحيا وإراداتها لا بوحى غريزة الحيوانية]. (٣)

(١) سورة النور آية (٣٣).

(٢) الشوكاني، محمد علي/ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/ دار الفكر للطباعة والنشر/ م٤/ ص٢٨، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري/ الجامع لأحكام القرآن/ دار الكتب العلمية - بيروت/ ط٥/ ١٩٩٦م، ١٤١٧هـ/ ج١٢/ ص١٦١، ابن جزى الكلبي، الحافظ محمد بن أحمد/ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل/ دار الكتاب العربي/ بيروت لبنان/ ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م/ ط٢/ ج٣/ ص٦٦.

(٣) مرسي، سيد عبد الحميد/ النفس المطمئنة/ دار التوفيق النموذجية للطباعة/ مكتبة وهبة/ ط١ / ١٩٨٣م، ١٤٠٣/ ص٢٢.

إن المنبع والحارس للأخلاق الحميدة والسلوك الحسن هو العقيدة. نعم، [لقد أراد الماديون أن يؤسسوا نظاماً للأخلاق مبنياً على العقل البحت فلم ينجحوا، إن الأخلاق إذا كان يحميها القانون أو الرأي العام لم تكن أخلاقاً محصنة. لأن هذه الوسائل لا تمنع الإجرام. إن الالتزام الحقيقي يكمن في نظر المسلم في الدين، لأنه إذا كان الخوف من المجتمع أو القانون الوضعي أمكن التحايل عليه. أما عندما يكون مصدر الالتزام هو الدين فإن الشخص يلتزم ولو كان في حجرة مغلقة لأن التزامه ليس لمحمدة أو مغنم يناله أو خوفاً من عقاب أو أذى إنما هو اتباع رضوان الله".^(١)

* ولا ننسى كذلك فرق التأثير النفسي إذا كان الامتناع عن الفاحشة خوفاً من السلطة دون امتناع بالحرمة، أو استعلاءً بسبب الخوف من الله والامتناع بحرمة الفاحشة حيث أن الترك خوفاً من السلطة يؤدي إلى الكبت أما إذا كان بسبب الاستعلاء أي عن طريق النظرة إلى أنه أمر قبيح لا يليق به ففي هذه الحالة لم يبق مشكلة نفسية، إضافة إلى النتائج العظيمة التي تحققها العفة في حياة الإنسان إذا وُجِهت تلك الطاقة الشهوية إلى الخير. فالتقوى حصن منيع وسياج متين للقلب يواجه بها تيار الشهوات والفتن ووساوس الشيطان بكل صلابة لا يتزعزع ولا يلين. قال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾^(٢) فالتقوى سبب لحماية الإنسان من وسوسة الشيطان. وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾^(٣) والتقوى سبب في القدرة على إدراك الحق والتمييز بين ما يجب فعله من الخير

(١) الشيباني، عمر محمد التومي/ فلسفة التربية الإسلامية/ المنشأة العامة للنشر والإعلان/ طرابلس- ليبيا/ ط٥/ ١٩٨٥م-

١٣٩٤هـ/ ص ٢٥٤.

(٢) سورة الأعراف آية (٢٠١).

(٣) سورة الأنفال آية (٢٩).

وما يجب تركه من الشر. إن التقوى هي الأساس في القدرة على التسامي والاستعلاء عن جميع نزوات النفس ومغريات الدنيا ففي حديث السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه .. ذكر الرسول ﷺ منهم "ورجل دعت امرأه ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله" [نلاحظ عظمة التعبير في وصف المرأة بالمنصب والجمال، إغراء نفسي وتسلط قهري. فالجمال يغري الناظر إليه ويدفعه إلى التمتع به، وإذا لم يفلح الجمال في إغراء الرجل، فإن السلطان يقهر هذه الإرادة ... إن هؤلاء السبعة تجمعهم صفة ألا وهي خشية الله النابعة من حرصهم على طاعة الله وإرضائه".^(١)

ثانياً: أداء العبادات واستشعار المسؤولية الدينية: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"^(٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الأداء والغازي في سبيل الله".^(٣)

أ. فالزواج هو أنجع علاج لمشكلة الشباب لمن تيسرت لهم الأسباب المادية المعينة عليه، وهو الطريق الأسمى لتحقيق مطالب النظرة البشرية وبدون أية آثار سلبية، فالزواج يحقق المنافع والفوائد في مجالات شتى .. خلقية واجتماعية ونفسية وصحية، فمن ابتغى وسلك

(١) مرسي، سيد مرسي/ النفس المطمئنة/ ص ١٢٣ بتصرف.

(٢) صحيح البخاري/ كتاب الصوم/ الصوم لمن خاف على نفسه العزوبه/ ج ٢/ ص ١٧٣/ رقم الحديث/ ١٨٠٦. صحيح مسلم/ كتاب النكاح / باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه/ ج ٢/ ص ١٠١٨ / رقم ح ١٤٠٠ / كتاب النكاح.

(٣) سنن الترمذي/ كتاب فضائل الجهاد / باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب/ ج ٤/ ص ١٨٤ / رقم ١٦٥٥. سنن البيهقي الكبرى/ باب لن يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة/ ج ٧/ ص ٧٨ / حديث رقم ١٣٢٣٤. السنن الكبرى/ كتاب الجهاد / ثواب من أغبرت قدماء في سبيل الله/ ج ٣/ ص ١٢ / رقم ٤٣٢٨.

السبيل المشروع ليعف نفسه ويحصن فرجه كان حقاً على الله إعانته وتحقيق هذا العفاف له وتيسير الرزق له.

ب. والصلاة عبادة هامة ولها الدور الفعال في استقامة الإنسان وابتعاده عن المحرمات وإعانته على الثبات والرسوخ أمام الفتن والمغريات وخاصة إذا أقيمت بأركانها وسننها بالخشوع المطلوب .. فإنها تؤدي إلى تطهير النفس، وإعفاف الجوارح. والأعضاء، لا محالة (وهي اتصال بالله يخجل صاحبه ويستحي أن يصطحب معه كبائر الذنوب وفواحشها ليلقى بها الله) ^(١) يقول الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾ ^(٢) ويقول: ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ ^(٣)

ج. والصيام: يقول السيد سابق في أثر الصيام وأسراره على الإنسان "إن الصائم يترك شهواته وأحب الأشياء إليه مع قدرته عليها امتثالاً لأمر الله ومساعدة إلى مرضاته، وهذا من شأنه أن يورث خشية الله وينمي ملكة المراقبة ويوقظ الضمير، والصيام ليس مجرد الإمساك عن المفطرات، وإنما هو هجر جميع المعاصي. وإلى ذلك يشير رسول الله ﷺ في قوله: "الصيام جنة". ^(٤) أي وقاية من المنكرات والشرور، وبذلك يكون الصيام درساً عملياً في أخذ النفس بالفضائل وحملها على الاتصاف بكل ما هو حسن. وبذلك تزكو وتطهر نفس الإنسان، ويصبح مأمول الخير مأمون الشر". ^(٥) فالصوم من أهم عوامل

(١) سيد قطب/ في ظلال القرآن/ دار الشروق/ ط ١٦٠/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م/ ج ٥/ ص ٢٠٠/ ٢٧٣٨.

(٢) سورة البقرة آية (١٥٣).

(٣) سورة المنكوت آية (٤٥).

(٤) صحيح البخاري/ كتاب الصوم/ باب فضل الصوم/ ج ٢/ ص ١٧٠/ رقم ١٧٩٥. صحيح مسلم/ كتاب الصيام/ باب فضل الصيام/ ج ٢/ ص ٨٠٦/ رقم ١١٥١.

(٥) السيد سابق/ إسلامنا/ دار الكتاب العربي للنشر - بيروت لبنان/ ص ١٢٣-١٢٤ بتصرف.

تركيز النفس والوصول بها إلى العفة. لأن فيه تعويداً للنفس على التحكم بشهوتي البطن والفرج، وقد جعله الله وسيلة لإدراك درجة التقوى. قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾^(١) إضافة إلى أنه جزء لا يتجزأ من الصبر على الطاعات ومقاومة الشهوات قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾^(٢).

د. الاستعانة بالعبادات الأخرى كتلاوة القرآن الكريم، والذكر، والتهدج، وحضور مجالس العلم وذكر الموت وما بعده فكل هذا يقوي في المؤمن جانب الخشية من الله واستشعار عظمته ويساعد في التسامي^(٣) بالغريزة الجنسية "وهذا الذي ذكره علماء النفس في أن الغريزة الجنسية في الإنسان يمكن تصعيدها وترقيتها وذلك بأن يُنفس الإنسان عن نفسه بجهد روحي كالصلاة، والصوم، وقراءة القرآن، والحديث النبوي، والسيرة العطرة، والتاريخ الإسلامي، وقصص الصالحين، أو الانقطاع إلى العمل، والانغماس في البحث والإقبال على الرياضة". مع توفر الإرادة والعزم والاستعانة بالله واللجوء إليه، حتى لا يقع الإنسان في الفاحشة ويكون بالمدامومة على ذكر الله والمراقبة له قال تعالى: ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾^(٤) وقال ابن عباس في هذه الآية: "ولذكر الله لعباده إذا ذكروه أكبر من ذكرهم إياه"^(٥) فمن ذكر الله في

(١) سورة البقرة آية (١٨٣).

(٢) سورة البقرة آية (١٥٣).

(٣) التسامي: هو استنفاد القوة المخزنة والطاقة المحبوسة بأن ينفس الإنسان عن نفسه بجهد روحي أو عقلي أو جسدي .. انظر تربية الأولاد في الإسلام - عبد الله علوان/ ج ٢/ ص ٥٩٠.

(٤) سورة العنكبوت آية (٤٥).

(٥) الشوكاني/فتح القدير/ م ٤/ ص ٢٠٦.

الرخاء ذكره الله في الشدة ونجّاه من المصائب والفتن ولنا في قصة يوسف عليه السلام مع (زليخا) أكبر برهان.

ثالثاً: الالتزام بتشريعات الإسلام الوقائية: يقول الإمام (الشنقيطي) في تفسير قوله تعالى: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً﴾^(١) هذا الاستعفاف المأمور به في هذه الآية الكريمة هو المذكور في قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾^(٢) وقوله: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾^(٣)^(٤) قد شرع الله آداباً لتحقيق العفاف في النفوس، ولها أثرها البارز في التخفيف من الحدة التي يجدها الإنسان في غريزته ومن ذلك: أمر الله بغض البصر لما في إرساله من زرع الشهوة في القلب - والإسلام الذي يحث على غض البصر فإنه بالتالي يأبى كل الإباء هذه الثياب المثيرة للفتنة المحركة للشهوة - ولتحقيق العفاف أمر الإسلام النساء بالقرار في البيوت إلا لضرورة تقتضي الخروج وتسوغه وبدون تبرج، ولتحقيق العفاف لا تجوز الخلوة بالأجنبية سداً للسبل المؤدية إلى الفساد وإغلاقاً لباب الإثم وحسماً لمادة الشر. ومنع الدين مصافحة المرأة الأجنبية - ولتحقيق العفاف في النفوس منع الدين أن تسافر المرأة وحدها لأنها في سفرها عرضة لأن تفتن أو يفتن الناس بها وقد يغويها الشيطان لعدم الرقابة عليها. وكل هذا أسيجة أحاط الشرع بها العرض وصانه عن الابتدال وغرس بها بذرة العفاف في النفوس وأحمد بها اشتعال الشهوة وكبح جماحها، فالقى مسكنات على الاهتياج الخلقي إلى أن يتيسر للإنسان السكون التام بالزواج. كما فرض الحجاب على النساء، وشرع آداب الاستئذان على البيوت حتى

(١) سورة النور آية (٣٣).

(٢) سورة النور آية (٣٠).

(٣) سورة الإسراء آية (٣٢).

(٤) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار/ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت. لبنان/ ط١/ ١٩٩٦م - ١٤١٧هـ/ ج٤/ ص١١٢.

بين أفراد البيت الواحد، ونهي عن الخضوع بالقول، ونهى المرأة أن تخرج متعطرة، ونهى عن إكراه الجوارى على الزنا، وحث المجتمع على تزويج الأيامي، بل واعتبر كل حركة مغرضة من نظر أو استماع أو لمس أو خطى [طالما أنها مقدمة للفاحشة] زنا فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لما سأله جابر عن نظرة الفجاء "إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا مدرك ذلك لا محالة. فالعينان تزنيان وزناهما النظر. والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش والرجل زناها الخطى والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه"^(١). ويقول الأستاذ علي شواخ في قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾^(٢) "أطلق صيغة الجمع وإن كانت تخص فاحشة الزنا لأنها جريمة ذات ملابسات ومقدمات كلها فاحشة مثلها. فالتزني والتبرج والاستئثار والضحكات الفاجرة كلها فواحش تحيط بالفاحشة الأخيرة، ولأن هذه الفواحش ذات إغراء وجاذبية كان التعبير بقوله: "لا تقربوا" للنهي عن مجرد الاقتراب واتقاء للجاذبية التي تضعف معها الإرادة فهذا الدين لما حرم هذه الأمور كان غرضه أن لا يعرض الناس للفتنة ثم يكلف أعصابهم عنثاً في المقاومة فهو دين وقاية قبل أن يقيم الحدود"^(٣).

- ومن الأسباب الوقائية للحيلولة دون الوقوع في الفاحشة وانتهاك الأعراض تلك الآيات والأحاديث الكثيرة التي حذرت من رفقة السوء وحثت على الرفقة الصالحة. فإن أهل الفسوق لا يقودون صاحب إلا للضلال ولا يدفعونه إلا للغواية، بل ويفتحون ذهنه إلى كل وسيلة

(١) صحيح مسلم/ كتاب القدر/ باب قدر علي بن آدم حظه من الزنا وغيره/ ج٤/ص٢٠٤٧/ رقم ٢٦٥٧.

(٢) سورة الأنعام آية (١٥١).

(٣) الشعبي، على شواخ إسحاق/ وصايا تربوية قرآنية ونبوية/ دار الراية - الرياض/ ط١/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م/ ص١٩ - ٢٠ بتصرف.

ضارة، وما أكثر هذه الوسائل التي غزانا الاستعمار بها لتقويض الأخلاق والقضاء على مكانة العرض وشرفه في النفوس.

• كما أن استشعار العبادة والمسؤولية الدينية لدى المؤمن لهما أمتن أساس يقوم عليه الالتزام الأخلاقي وأقوى عامل يضبط سلوك البشر. فإذا انبعث من طبع الغريزة البشرية - داعي الشهوة الذي يحرك الإنسان إلى ركوب الشر، تعرّض له الشيطان يزين له الباطل ويمنيه انبعث داعٍ آخر من فطرته التي زكت بالإيمان، يصور له المتاع ابتلاء ويوجهه إلى ابتغاء وجه الله. (١)

• المؤمن الواعي يجد نفسه وقافاً عند حدود الله بدافع تقواه وخشيته لله مغلباً ومُحكماً عقله على هواه قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾. (٢)

- ويقول (ابن الجوزي) في خطر تغليب الهوى على العقل وضرورة الأخذ بأسباب الوقاية: - " لو ميّز العاقل بين قضاء وطره لحظة وانقضاء باقي العمر بالحسرة على قضاء ذلك الوطر لما اقترب منه ولو أعطي الدنيا، غير أن سكرة الهوى تحول بين الفكر وذلك. والطريق الأعظم في الحذر ألاّ يتعرض لسبب فتنة ولا يقاربه فمن فهم ذلك وبالغ في الاحتراز كان إلى السلامة أقرب". (٣) أمّا ما يدّعيه البعض من مروجي ومزيني الفاحشة في نظر الشباب بإصابتهم بالكبت الجنسي عند عدم ممارسة الجنس .. فإنها فكرة تسفها أقوال الأطباء المختصين من المسلمين ومن غيرهم. يقول الدكتور (بريه): - "إعفاف الشباب يقي صحتهم

(١) الترايبي، حسن الترايبي/ الإيمان أثره في حياة الإنسان/ دار القلم- بيروت/ ط٢/ ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م/ ص١٧٢-١٧٣ بتصرف.

(٢) سورة النازعات آية (٤٠-٤١).

(٣) ابن الجوزي البغدادي - جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن/ صيد الخاطر/ تحقيق عبد القادر أحمد عطا/ دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان / ص٢٠٤-٢٠٥ بتصرف.

وعقلهم وقد دلت التجارب على أن ضبط النفس في الإنسان والحيوان عن الشهوات عامل قوي للنماء والصحة". وفي المؤتمر الدولي العام في (بروكسل) والذي حضره مائة وطبيباً لدراسة أساليب الوقاية الصحية تقرر فيه ما يلي: - "يجب أن يفهم الشباب بالخصوص عن العفة والطهارة انهما ليسا فقط لا يضران بل إن هاتين الفضيلتين من أنفع ما يكون للصحة طبيياً.. ويقول الطبيب "ابن سلمون":- "ليس من الصعب على الرجل أن يخالف نفسه عن المباشرة الجنسية إلى أن يتزوج ولا عبرة قط بما يقوله بعض مثيري سوء الذين يدعون بلا حياء أن إشباع الشهوة البهيمية وإرضاء النزعة الجنسية ضروريان لحفظ الصحة فهو زعم باطل من الوجهة الطبية".^(١)

(١) مبيض، محمد سعيد/ إلى غير المحجبات أولاً وإلى المحجبات ثانياً/ مؤسسة الريان للطباعة والنشر/ بيروت- لبنان/
١٤١٥هـ، ١٩٩٤م/ ص ٨٤.

المبحث الثالث: الاستئذان

إن تشريعات الإسلام الهادفة لإنشاء مجتمع نظيف تعتمد أسلوب الوقاية أولاً قبل إيقاع العقوبة فحينما يحرم الإسلام الجريمة يحرم معها أسبابها ودواعيها ووسائلها ويشرع من التدابير التعليميّة والخلقية والاجتماعية ما يحول دون وقوع الجريمة. ويسعى إلى تنظيم الدوافع الفطرية، بتضييق فرص الغواية، والحث على إشباع هذه الدوافع بالوسائل المشروعة، ونجد هذا جلياً في تشريعات الإسلام الوقائية الحائلة دون هتك الأعراض وليبقى المجتمع الإسلامي مجتمعاً نظيفاً متميزاً بأدابه السامية. ومن هذه التشريعات الاستئذان.

فبعد أن بيّن الله في سورة النور ضرر الزنا وخطره، ولما كان طريقه الأول النظر والإطلاع على العورات والتلذذ بالمحاسن (أرشد الله عباده إلى الطريقة الحكيمة التي يجب أن يتبعوها إذا أرادوا دخول البيوت حتى لا يقعوا في ذلك الشر الوبيل والخطر الجسيم الذي يقضي على أوامر المجتمع) ^(١) لذلك يأتي الأمر الرباني الذي ينهاهم عن الدخول إلى بيوت الآخرين إلا بعد الاستئذان. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنتسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون* فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم* ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾. ^(٢)

^(١) الصابوني، محمد علي/ روائع البيان تفسير آيات الأحكام/ دار إحياء التراث العربي/ ط٣/ ١٤٠١هـ، ١٩٨١م/ ج٢/ ص١٢٩.

^(٢) سورة النور آيات (٢٧-٢٩).

سبب النزول:

جاء في سبب نزول قوله هذه الآيات أن امرأة جاءت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله "إني أكون في بيتي على الحالة التي لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتيني أت فيدخل عليّ فكيف أصنع؟ فنزلت الآيات^(١) وقد أشكل على كثير من أهل العلم التعبير بلفظ "الاستئناس" في الآية. هل يعني الاستئذان أم يخالفه.

فالاستئذان: طلب الإذن لرفع الحرج^(٢)

أما الاستئناس: هو الأنس الحاصل من جهة المجالسة^(٣) لقوله تعالى: ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾^(٤) وفي تفسير لفظ "الاستئناس" بما يناسب لفظها وجهان ولكل منهما شاهد من كتاب الله تعالى: -

الوجه الأول: أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو ضد الاستيحاش لأن الذي يقرع باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه. ولما كان الاستئناس لازماً للإذن أطلق اللزوم وأريد ملزومه. ويشهد لهذا المعنى من كتاب الله قوله: ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾^(٥) وقوله: ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾^(٦).

(١) النيسابوري. أبو الحسن علي بن أحمد/ أسباب النزول/ تحقيق أيمن صالح شعبان/ دار الحديث - القاهرة/ ط٣/ ١٩٩٦م، ١٤٢١٦هـ/ ص ٢٧١. الطبري، محمد بن جرير/ جامع البيان في تفسير القرآن/ ج ١٨/ ص ١١. الأوسى.

محمود شكري/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ قراءة وصححه محمد حسين العرب/ دار الفكر للطباعة والنشر/ المكتبة التجارية. مصطفى الباز/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ج/ ١٨/ ص ١٣٣.

(٢) الراغب الأصفهاني/ معجم مفردات ألفاظ القرآن/ ص ٢١. عبد السميع المصري/ منهج القرآن في الحياة/ مكتبة وهبة/ ط ١/ ١٩٩٨/ ص ١٩.

(٣) الفخر الرازي، محمد ضياء الدين/ التفسير الكبير/ دار الكتب العلمية - طهران/ ط ٢/ ج ٢٤/ ص ١٩٦.

(٤) سورة الأحزاب آية (٥٣).

(٥) سورة الأحزاب آية (٥٣).

(٦) سورة النور آية (٢٨).

الوجه الثاني: أنه بمعنى الاستعلام والاستكشاف، والمراد في الآية: حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يؤذن لكم أم لا؟ قال تعالى: ﴿فإن أنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم﴾^(١) أي علمتم رشدهم وظهر لكم. وقوله عن موسى: ﴿إني أنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس﴾^(٢) أي رأيته مكشوفة^(٣) ويقول المرحوم سيد قطب: عبّر عن الاستئذان بالاستئناس: وهو تعبير يوحي بلطف الاستئذان ولطف الطريقة التي يجيئ بها الطارق فتحدث في نفوس أهل البيت أنساً به واستعداداً لاستقباله، وهي لفتة لطيفة لرعاية أحوال النفوس وتقدير ظروف الناس في بيوتهم.^(٤)

وقال المودودي: قد يخطئ الناس إذ يجعلون كلمة "الاستئناس" بمعنى الاستئذان فقط مع أن الكلمتين بينهما فرق لطيف لا ينبغي أن ينصرف عنه النظر فكلمة "الاستئناس" أعم وأشمل من الاستئذان كما لا يخفى بأدنى تأمل والمعنى "حتى تعرفوا أنس أهل البيت بدخولكم عليهم".^(٥) وقال مجاهد: الاستئناس: أن تستعلموا من في البيت بالتحنح أو بأي وجه أمكن ويتأني قدر ما يعلم أنه قد شعر به.^(٦)

وقال قتاده: "الاستئناس" هو الاستئذان ثلاثاً.^(٧) ومن خلال ما استعرضت من أقوال المفسرين يتضح لي أن الأصح - والله أعلم - أن الاستئناس فيه معنى أدق، والمراد: استشعار

(١) سورة النساء آية (٦).

(٢) سورة طه آية (١٠).

(٣) الشنقيطي/ أضواء البيان/ ج٤/ ٨٦.

(٤) قطب، سيد قطب/ في ظلال القرآن/ م٤/ ج١٨/ ص٢٥٠٨.

(٥) المودودي/ تفسير سورة النور/ ص١٦٦.

(٦) القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج١٢/ ص١٤٢.

(٧) الشنقيطي/ أضواء البيان/ م٤/ ص٨٨.

الأنس والطمانينة ورحابة الصدر من قبل أهل الدار باستعدادهم لاستقبال الزائر وحصول الأنس به تهيؤهم للجلوس معه.^(١)

وفي هذا التشريع الحكيم الخير لأصحاب البيوت وللمستأذنين من الدخول بغتة. قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾.^(٢) فالرجوع عند عدم الإذن أفضل وأطهر من التندس بالمشاحة على الدخول لما في ذلك من سلامة الصدر والبعد من الريبة والفرار من الدناءة.^(٣)

ويقول الزمخشري: فإذا نُهي الزائر عن الإلحاح لأنه يؤدي إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس.^(٤)

وقد تأدب الصحابة رضوان عليهم بأدب القرآن ووجهوا أنفسهم بتوجيهاته يقول ابن كثير في تفسيره: "قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كله في هذه الآية فما أدركتها .. أن استأذن على بعض إخواني فيقول لي ارجع، فأرجع وأنا مغتبط لقوله تعالى "وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم".^(٥)

(١) الشوكاني/ فتح القدير/ ج٤/ ص١٩.

(٢) سورة النور آية (٢٨).

(٣) الشوكاني - فتح القدير/ ج٤/ ص٢٠.

(٤) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ دار الفكر للطباعة والنشر/ م٣/ ص٢٢٨.

(٥) ابن كثير/ مختصر تفسير ابن كثير/ تحقيق محمد علي الصابوني/ دار الفكر للطباعة/ ط٢/ ١٩٩٩م/ ج٢/ ص٥٩٥.

الحكمة في وجوب الاستئذان:

تتضح حكمة مشروعية الاستئذان جلية في تحقيقه للبيوت حرمتها .. فقد يكون المرء على حالة لا يحب أن يراه أحد عليها " كذلك فإنه يوفر على أهلها الحرج من المفاجأة والضييق بالمباغثة والتأذي بانكشاف العورات وهي عورات كثيرة: عورة البدن وعورة الطعام وعورة اللباس وعورة الأثاث التي قد لا يحب أهلها أن يفاجئهم عليها الناس دون تهيو وتجميل وإعداد، وهي عورات المشاعر والحالات النفسية فكم منّا لا يحب أن يراه الناس ضعيفاً يبكي أو مريضاً يتألم يخفي مرضه عن الغرباء"^(١) والأهم من هذا حتى لا يقع البصر على العورات التي طالما أيقظت في النفوس كامن الشهوات والرغبات فأنت إلى ما لا يحمد عقباه"^(٢).

آداب الاستئذان: -

١. للاستئذان آداب كثيرة أهمها: - ثلاثاً فإن لم يؤذن له فعليه الانصراف وهو المأثور من فعل رسول الله ﷺ مع سعد بن عبادَةَ "إذا سلّم سلّم ثلاثاً وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً"^(٣) وروى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع"^(٤) والغالب من الكلام أنه إذا كرر ثلاثاً سُمع وفُهم فإن لم يؤذن له بعد الثلاث ظهر أن رب المنزل لا يريد الإذن فينبغي للمستأذن أن ينصرف حتى لا يقلق صاحب المنزل أو يضطره الإلحاح أن ينقطع عما كان مشغولاً به. أخرج أبو داود من حديث أبي عمر الأوزاعي عن "قيس بن سعد ابن عبادَةَ" قال: زارنا رسول الله ﷺ في منزلنا فقال "السلام عليكم ورحمة الله" فرد سعد رداً خفياً. قال قيس فقلت: ألا تأذن لرسول الله ﷺ؟ فقال: دعه

(١) قطب، سيد قطب/ في ظلال القرآن/ م/ ٤/ ج ١٨/ ص ٢٥٠٩.

(٢) البيهقي، محمد سالم حسين الكدادي/ إصلاح المجتمع شرح مائة حديث مما اتفق عليه البخاري ومسلم/ مكتبة أسامة ابن زيد/ بيروت/ ط ٢/ ١٩٧٢م/ ص ١٦٨.

(٣) صحيح البخاري/ كتاب العلم/ باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه/ ج ١/ ص ٤٨/ رقم ٩٤.

(٤) صحيح مسلم/ كتاب الآداب/ باب الاستئذان/ ج ٣/ ص ١٦٩٤/ رقم ٢١٥٣.

يكثر علينا من السلام فقال رسول الله ﷺ "السلام عليكم ورحمة الله" فرد سعد رداً خفياً، ثم قال رسول الله ﷺ "السلام عليكم ورحمة الله" ثم رجع رسول الله ﷺ وأتبعه سعد، فقال: - يا رسول الله إني كنت أسمع تسليماً وأرد عليك رداً خفياً لتكثر علينا من السلام فأنصرف معه رسول الله ﷺ وأمر له سعد بغسل فاغتسل ثم ناوله خميصة مصبوغة بزعفران أو ورس. فاشتمل بها ثم رفع يديه وهو يقول "اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة"^(١) وثبت في الصحيحين أن أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاثاً، فلم يؤذن له انصرف، ثم قال عمر: ألم تسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن؟ انذنوا له، فطلبوه فوجدوه قد ذهب فلما جاء بعد ذلك قال: ما أرجعك؟ قال: إني استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي، وإني سمعت النبي ﷺ يقول "إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فلينصرف" فقال عمر لتأتيني على هذا بيينة وإلا أوجعتك ضرباً، فذهب إلى ملأ من الأنصار فذكر لهم ما قال عمر، فقالوا: لا يشهد لك إلا أصغرنا، فقام معه أبو سعيد الخدري فأخبر عمر بذلك، فقال: ألهانني عنه الصفق بالأسواق."^(٢)

٢. قرن الاستئذان بالسلام: كان رسول الله ﷺ يشدد في أمر الاستئذان، فإذا وجد رجلاً لا يحسن الاستئذان رده وعلمه كيف يستأذن، فعن صفوان بن أمية رضي الله عنه قال أتى رجل من بني عامر يستأذن على رسول الله ﷺ وهو في بيته، فقال: أألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه، "اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له: قل السلام عليكم. أأدخل؟" فسمعها الرجل، فقال: السلام عليكم أدخل، فأذن له النبي ﷺ فدخل."^(٣)

(١) أبو داود/ كتاب الديات/ باب ما جاء في المملوك إذا نصح/ ج٤/ ص٣٤٧/ رقم ٥١٨٥.
(٢) صحيح البخاري/ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب الحجة على من قال إن أحكام النبي كانت ظاهرة/ ج٦/ ص٢٦٧٦/ رقم ٦٩٢٠. صحيح مسلم/ كتاب الآداب/ باب الاستئذان/ ج٣/ ص١٦٩٥/ رقم ٢١٥٣.
(٣) مسند أحمد/ حديث عباد بن الصامت رضي الله عنه/ ج٥/ ص٣٦٨/ رقم ٢٣١٧٦. سنن البيهقي/ باب الرجل يستأذن على دار فلا يستقبل الباب/ ج٨/ ص٣٣٩.

٣. ذكر المستأذن لاسمه وعدم قول "أنا. أنا": إن على المستأذن أن يفصح عن اسمه إذا سألته صاحب الدار عن اسمه فهو أدعى للطمأنينة، لما روى البخاري عن جابر قال: أتيت النبي ﷺ في دِينِ كان على أبي فدققت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت: أنا، فقال: أنا! أنا! كأنه كرهها".^(١)

٤. الوقوف بجانب الباب: وعلى المستأذن أن يقف جانب الباب حتى لا ينظر إلى ما بداخل البيت ولا يطلع على العورات كما جاء في الصحيحين عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ أنه قال "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر"^(٢) وروى أبو داود عن هذيل قال: جاء رجل فوقف على باب النبي ﷺ يستأذن فقام على الباب. فقال النبي ﷺ "هكذا عنك أو هكذا فإنما الاستئذان من النظر"^(٣) وعن عبد الله بن بشر قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر"^(٤) وفي الصحيحين عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: "لو أن امرأ أطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقت عينه ما كان عليك من جناح"^(٥) وعن سهل بن سعد قال: "اطلع رجل من جحر"^(٦) في حجرة النبي ﷺ ومعه مِذْرَى^(٧) يحك به رأسه، فقال النبي ﷺ "لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينيك إنما جعل الاستئذان من أجل البصر"^(٨) والذي عليه العلماء أنه لا ضمان ولا قصاص على

(١) صحيح البخاري/ كتاب الاستئذان/ باب إذا قال من ذا فقال أنا/ ج٥/ ص٢٣٠٦/ رقم ٥٨٩٦.

(٢) البخاري/ كتاب الاستئذان/ باب الاستئذان من أجل البصر/ ج٥/ ص٢٣٠٤/ رقم ٥٨٨٧. مسلم/ كتاب الآداب/ باب تحريم النظر في بيت غيره/ ج٣/ ص١٦٩٨/ رقم ٢١٥٦.

(٣) أبو داود/ كتاب الآداب/ باب في الاستئذان/ ج٤/ ص٣٤٤/ رقم ٥١٧٤.

(٤) أبو داود/ كتاب الآداب/ باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان/ ج٤/ ص٣٤٨/ رقم ٥١٨٦.

(٥) البخاري/ كتاب الديات/ باب من أخذ حقه أو اقتص دون سلطان/ ج٦/ ص٢٥٢٥/ رقم ٦٤٩٣. مسلم/ كتاب الآداب/ باب تحريم النظر في بيت غيره/ ج٣/ ص١٦٩٩/ رقم ٢١٥٧.

(٦) جحر: ثقب.

(٧) مِذْرَى: مشط كبير من حديد.

(٨) سبق تخريجه في الأعلى هامش رقم (٢).

من فقا عين من نظر إليه دون علم - استناداً على هذه الأحاديث الصحيحة، ففي قول الرسول ﷺ (ما كان عليك من جناح) وقوله (لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينيك) كلها أقوال صريحة في نفي الإثم والدية والقصاص، ولنظ (جناح) نكرة في سياق النفي فهي تعم رفع كل حرج لما ذكرت (الإثم والدية والقصاص).^(١)

٥. الاستئذان شامل للرجال والنساء لأن الخطاب في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك بين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾^(٢) فالخطاب في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ هو خطاب لكل من اتصف بالإيمان رجلاً كان أو امرأة فيدخل فيه (الرجال والنساء) معاً، ويكون المعنى يا من اتصفتُم بالإيمان وصدقتم الله ورسوله ليستأذنكم في الدخول عليكم عبديكم وإماؤكم" كما أن الخطاب شامل للبالغين على وجه التكليف ولغيرهم على وجه التأديب فالمخاطب هم الأسياد ليعلموا ممالكهم وصبيانهم الاستئذان. وذهب الجمهور على أن الأمر للاستحباب والندب وأنه من باب التعليم والإرشاد إلى محاسن الآداب. فلو دخل المملوك المكلف على سيده بغير استئذان لم يكن ذلك معصية منه وإنما خلاف الأولى إلا إذا علم أن في دخوله إيذاء كان ذلك حراماً^(٣) وكما نظم الإسلام آداب الاستئذان أثناء دخول البيوت من غير أصحابها فقد نظم الاستئذان بين أفراد البيت الواحد على النحو التالي:

(١) الشنقيطي/ أضواء البيان/ م٤/ ص ٩٢-٩٣.

(٢) سورة النور آية (٥٨).

(٣) السائس، محمد علي/ تفسير آيات الأحكام/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ منشورات محمد علي بيضون/ ط١/

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م/ ج٢/ ص ١٧٨-١٧٩.

• الاستئذان على الزوجة والأخوات والأم: لقد نهى الرسول ﷺ الرجل أن يتجسس على زوجته ويفاجئها في البيت لينظر ما تفعل أو ينظر من يكون معها أو يتبع عثراتها. عن جابر رضي الله عنها قال: "نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم أو يطلب عثراتهم"^(١) وهذا أدبُ جم يمنع الرجل من أن يرى زوجته في حالة تكره أن يراها عليها ويكره هو ذلك، وهذا من شأنه المحافظة على عرى الزوجية من التفكك. وفي حديث آخر "أن رسول الله ﷺ قدم المدينة نهاراً فأناخ بظاهاها وقال: "انتظروا حتى ندخل عشاءً" يعني آخر النهار" حتى تمتشط الشعثة^(٢) وتستحد المغيبة"^(٣) وروى ابن جرير عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تتحنح كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه"^(٤).

- الاستئذان على المحارم: -

أما الاستئذان على المحارم فهو على سبيل الوجوب، عن عطاء بن يسار أن رجلاً قال للنبي ﷺ أستاذن على أمي؟ قال: نعم. فقال: أستاذن عليها كلما دخلت؟ قال: أتحب أن تراها عريانة؟ قال: لا. قال: فاستأذن عليها"^(١)

(١) البخاري/ كتاب النكاح/ باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة/ ج ٥/ ص ٢٠٠٨/ رقم ٤٩٤٥. مسلم/ كتاب الإمارة/

باب كراهية الطروق وهو الدخول ليلاً لمن ورد من سفر/ ج ٣/ ص ١٥٢٨/ رقم ٧١٥.

(٢) الشعثة: الشعث: هو انتشار الأمر - والشعر الأشعث: هو الشعر المتفرق. انظر ابن الأثير الجزري/ النهاية في غريب الحديث والأثر/ ج ٣/ ص ٣٩٩.

(٣) تستحد المغيبة: الاستحداد: هو حلق شعر العانة بالحديد، واستعمال لفظ (الاستحداد) على طريق الكناية والتورية - انظر النهاية/ ج ١/ ص ٣٥٣. المغيبة: هي التي غاب عنها زوجها. انظر النهاية/ ج ٣/ ص ٣٩٩.

(٤) مسلم/ كتاب الإمارة/ باب كراهية الطروق وهو الدخول ليلاً لمن ورد من السفر/ ج ٣/ ص ١٥٢٧/ رقم ٧١٥. البخاري/ كتاب النكاح/ باب طلب الولد/ ج ٥/ ص ٢٠٠٨/ رقم ٤٩٤٧.

(٥) مسند أحمد/ ج ١/ ص ٣٨١/ رقم ٣٦١٥.

(٦) موطأ مالك/ كتاب الاستئذان/ باب الاستئذان/ ج ٢/ ص ٩٦٣/ رقم ١٧٢٩. سنن البيهقي/ كتاب قسم الصدقات/ باب استئذان المملوك والطفل في الموراث الثلاث... / ج ٧/ ص ٩٧/ رقم ١٣٣٣٦.

وقال ابن جريج: سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ثلاث آيات جدهن الناس: قال الله تعالى "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" قال: ويقولون: إن أكرمهم عند الله أعظمهم بيتاً، قال: والأدب قد جدهه الناس، قال: قلت: أستاذن على أخواتي أيتام في حجري معي في بيت واحد؟ قال: نعم، فرددت عليه ليرخص لي فأبى، فقال: أتحب أن تراها عريانة؟ قلت: لا، قال: فاستأذن، قال: فراجعته أيضاً فقال: أتحب أن تطيع الله؟ قال: قلت نعم: قال: فاستأذن. وقال ابن مسعود: عليكم الإذن على أمهاتكم. وقال طاووس: ما امرأة أكره إليّ أن أرى عورتها من ذات محرم. (١)

- استئذان الخدم والأطفال:-

يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ (٢).

سبب نزول الآية:

بعث رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار يقال له "مدلج" إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فوجده نائماً، قد أغلق عليه الباب، فدقّ عليه الغلام فناداه ودخل ... فاستيقظ عمر وجلس فأنكشف منه شيء. فقال عمر "وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول في هذه الساعات إلا بإذن" ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد أنزلت فخر ساجداً شكراً لله تعالى. (٣)

(١) مختصر تفسير ابن كثير/م/٢/ص ٥٩٥.

(٢) سورة النور آية (٥٨).

(٣) الألويسي/روح المعاني/ج ١٨/ص ٢٠٩.

قال المفسرون في هذه الآية: إنها خاصة خصص الله فيها بعض المستأذنين من الخدم والذين لم يبلغوا الحلم^(١) والأوقات التي لا بد من الاستئذان فيها: "هي الأوقات التي تقتضي عادة الناس الانكشاف فيها وملازمة التعري والتكشف غالباً ما يكون فيها"^(٢) قبل صلاة الفجر، ووقت الظهر عند القيلولة، ومن بعد صلاة العشاء. أما إذا بلغ الأطفال الحلم فعليهم الاستئذان كلما أرادوا الدخول كحكم الرجال والنساء. وقد اتفق الفقهاء على أن الاحتلام علامة واضحة على بلوغ الصبي والجارية سن التكليف ولكن اختلفوا في تقدير السن التي يصبح بها الإنسان مكلفاً على رأيين: -

١. مذهب الحنفية في المشهور عنهم: أن الطفل لا يكون بالغاً حتى يتم له ثماني عشرة سنة.
٢. الشافعية والحنابلة ذهبوا إلى أن سن البلوغ خمس عشرة سنة. والصحيح هو قول الجمهور لأن مثل ذلك إنما يثبت بحكم العادة في الأغلب على الاحتلام في مثل هذا السن وهو خمس عشرة سنة.^(٣)

* وبعد نزول حكم الاستئذان جعله النبي ﷺ حقاً عاماً لا يخص البيوت فحسب، بل ولا يحق لرجل النظر في رسالة أخيه ولا أن يقرأها دون إذنه.

فعن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: - "من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه

فإنما ينظر في النار".^(٤)

(١) الطبري/ جامع البيان/ ج١٨/ ص١٦١.

(٢) القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج١٢/ ص٢٠٠.

(٣) الصابوني/ روائع البيان/ م٢/ ص٢١٣.

(٤) أبو داود/ كتاب الصلاة/ باب الدعاء/ ج٢/ ص٧٨/ رقم ١٤٨٥. المستدرک علی الصحیحین/ کتاب الأدب/ ج٤/

ص٣٠١/ رقم ٧٧٠٧.

أما الحالات التي يجوز الدخول فيها دون إذن فهي: -

١. دخول البيوت غير المسكونة وفيها متاع للإنسان كالحوائت ومحللات البيع والشراء والمقاهي والمدارس والمستشفيات^(١) روي أن أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت آية الاستئذان قال: يا رسول الله فكيف يعمل تجار قريش الذين يختلفون من مكة والمدينة والشام ولهم بيوت معلومة على الطريق فكيف يستأذنون ويسلمون وليس فيها سكان؟ فنزل قوله تعالى: ﴿ ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾^(٢) وقال قتادة ومجاهد في تفسيرها: هي الفنادق التي في الطرق السابلة لا يسكنها أحد بل هي موقوفة، وقال عطاء: هي الخرب التي يدخلها الناس للبول والغائط ففي هذا أيضاً متاع.^(٣)

٢. يجوز الدخول دون إذن في جميع الحالات الاضطرارية كي يتخلص الإنسان من تبعاتها السلبية وهي: - الحريق والسرقه والإستغاثه والهجوم ... الخ مما يترجح فيه دفع الضرر على الاستئذان.^(٤) وبتشريع الإسلام للاستئذان يكون قد وفر للبيت المسلم جواً تغمره الطهارة والشرف، وقرر للحياة الخاصة لكل فرد احتراماً إذ أن من حقه الخلوة بنفسه كما وأحاط المرأة بسياج مهيب يحفظ لها كرامتها ويصون لها عرضها.

(١) الزمخشري/ الكشاف/ ٣م/ ص ٦٠.

(٢) سورة النور آية (٢٩)، السيوطي، جلال الدين/ لباب النقول في أسباب النزول/ دار المعارف/ بيروت، لبنان/

ط ١/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م/ ص ٢١١.

(٣) القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ١٢/ ص ١٤٧.

(٤) الرازي/ التفسير الكبير/ ج ٢٣/ ص ٢٠٠.

المبحث الرابع: غض البصر

إن من وسائل الوقاية التي جعل الإسلام منها صمام أمان يحفظ أفراد الأمة ويحول دون وقوعهم فيما حرم الله "غض البصر". "فالنظر محرك الشهوة وباعثها وهو منفذ كبير إلى العقل والسقوط من جهة البصر أكثر من السقوط من جهة الحواس الأخرى، فالنظرة الخائنة إلى ما حرم الله من شأنها إثارة ذلك السعار الحيواني وتزيد فرص الغواية والفتنة بين الجانبين"^(١) فالعين مفتاح القلب والنظر رسول الفتنة وبريد الزنا وتحرزاً من أسباب الفتنة لذا جاء الأمر الرباني صريحاً للمؤمنين بغض أبصارهم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾^(٢).

سبب نزول الآيتين:

١. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "مر رجل على عهد رسول الله ﷺ في طريق من طرقات المدينة، فنظر إلى امرأة ونظرت إليه فوسوس لهما الشيطان أنه لم ينظر أحدهما إلى الآخر إلا إعجاباً به، فبينما الرجل يمشي إلى جانب حائط ينظر إليها إذا استقبله الحائط صدم به فشق أنفه، فقال: والله لا أغسل الدم حتى آتي رسول الله ﷺ فاعلمه أمري؟ فاتاه فقص عليه

^(١) محمد، صلاح عبد الغني محمد/ وسائل الإسلام في المحافظة على كرامة المرأة/ مكتبة الدار العربية للكتاب/ ط١/

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م/ ج٤/ ص٤١.

^(٢) سورة النور آية (٣٠-٣١).

قصته. فقال النبي ﷺ "هذا عقوبة ذنبك" وأنزل الله الآية "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ...".^(١)

٢. أروود ابن كثير في تفسيره: عن مقاتل بن حيان، قال: "بلغنا - والله أعلم - أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في نخل لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير مؤترزات فيبدو ما في أرجلهن يعني الخلاخل، ويبدو صدورهن وذواتهن، فقالت أسماء "ما أقبح هذا! فأنزل الله في ذلك " وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ... الآية".^(٢)

غض البصر لغة:

كفه وخفضه وكسره^(٣)، وقيل: هو إذا داني بين جفونه ونظر، وكل شيء كفتته غرضته وغضيض الطرف: المسترخي الأجفان وذلك إنما يكون من الحياء.^(٤)

وجاء التعبير في الآية بقوله "من أبصارهم" أي انقاص بعضه وليس إغلاقاً تماماً كما وردت كلمة (غض) في القرآن مع الصوت لتعني خفضه كما في قوله تعالى: ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك﴾.^(٥)

(١) محسن، د. محمد محمد محمد سالم/ فتح الرحمن في أسباب نزول القرآن/ دار الآفاق العربية/ ط١/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م/ ص ١٠٤.

(٢) ابن كثير/ مختصر ابن كثير/ تحقيق محمد علي الصابوني/ م٢/ ص ٥٩٧.

(٣) مصطفى، إبراهيم مصطفى ورفاقه/ المعجم الوسيط/ ج٢/ ص ٦٦٠-٦٦١، الأصفهاني، الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل/ معجم مفردات ألفاظ القرآن/ ص ٤٠٤، هارون، نبيل عبد السلام / المعجم الوجيز لألفاظ القرآن/ دار النشر للجامعات- مصر/ ط١/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م/ ص ١٤٩.

(٤) ابن منظور/ لسان العرب/ م٧/ ص ١٩٧، السمين الحلبي، شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم/ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/ تحقيق علي معوض ورفاقه/ دار الكتب العلمية، بيروت/ ط١/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م/ ج٥/ ص ٢١٦.

(٥) سورة لقمان آية (١٩).

فليس المراد به إطباق الجفن بحيث يمنع الرؤية بل النقصان منه وكفه عن النظر إلى

المتبرجات ومعاودة التأمل فيهن والتلذذ بمحاسنهن. (١)

ففي هذه الآية: يخاطب المولى عز وجل نبيه ﷺ قائلاً: قل يا محمد للمؤمنين أن يعضوا من أبصارهم ويكفوها عن النظر إلى الاجنبيات غير المحارم ويحفظوا فروجهم من كل منكر كالنظر واللمس والزنا، وقد قدم تحريم النظر على حفظ الفروج التي هي المقصود الأساسي من الكلام ليعلم الناس جميعاً ما للنظر من خطر وأثر وأنه رسول الشهوة، وبريد الزنا، وبذرة الفسوق والفجور (والأمر للرجال بغض البصر عن المحرمات إنما هو للوصول بهم إلى الأدب النفسي ومحاولة للاستعلاء على الرغبة في الإطلاع على المحاسن والمفاتن في الوجوه والأجسام، كما أن فيه إغلاقاً للنافذة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية) (٢) ثم خص سبحانه الإناث بهذا الخطاب على طريق التأكيد لدخولهن تحت خطاب المؤمنين تغليياً كما في سائر الخطابات القرآنية. (٣)

يكون غرض البصر عما يأتي: -

١. غرض البصر عن العورات: نهى النبي ﷺ عن النظر إلى العورات فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: - "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد ولا المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد". (٤)

ونهى عن النظر إلى كل ما يمكن أن يكون سبباً لوقوع الفاحشة من المحرمات، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لما سأله جابر عن نظرة الفجأة "إن

(١) عفانه، جواد موسى محمد/ الرأي الصواب في الزينة والحجاب/ المكتبة الوطنية/ ط١/ ١٤١٢هـ - ١٩٩١م/ ص ٤٣.

يوسف القرضاوي/ الحلال والحرام في الإسلام/ المكتب الإسلامي/ ط٥/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م/ ص ١٤٥.

(٢) قطب، سيد قطب/ في ظلال القرآن/ م٤/ ص ٢٥١٢.

(٣) الشوكاني/ فتح القدير/ م٤/ ص ٢٢.

(٤) رواه مسلم/ كتاب الحيض/ باب تحريم النظر إلى العورات/ ج١/ ص ٢٦٦/ رقم ٣٣٨.

الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا مدرك ذلك لا محالة: فالعينان تزنيان وزناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه".^(١)

فلم يسمَ هذا النظر بأنه زنا إلا لأنه كان إلى محرّم، أو ما يتعلّق بتحصيل الزنا من لمس ومشى وفكر بالقلب وغيره. ونستنتج من هذا الصلة فهناك صلة المباشرة بين وقوع البصر على عورة محرمة وبين هياج الشهوة الجنسيّة وإذا كان الزنا حراماً والنظر سبيلاً يؤدي إلى هذا الحرام فهو محرّم قطعاً إذ أنه رسول الشهوة ورائد الفجور والفتنة.

فعورة الرجل، التي لا يجوز النظر إليها من رجل أو امرأة فتتحدد فيما بين السرة والركبة. فعن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: "ما بين السرة والركبة عورة"^(٢) وثبت من أحاديث عدة أن فخذ الرجل عورة ومنه ما رواه مالك وأحمد وذكره البخاري في صحيحه معلقاً عن جرّهذ قال: "مرّ عليّ رسول الله ﷺ وعليّ بردة وقد انكشفت فخذني فقال "عطّ فخذيك فإن الفخذ عورة"^(٣) وهذا هو القول الراجح إن شاء الله أما حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ غزا خيبر، قال "أنس" فصلينا عندها صلاة الغداة. فركب نبي الله وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبي الله ﷺ في زقاق خيبر، وإن ركبتني لتمس فخذ نبي الله ﷺ وانحسر الإزار عن فخذ نبي الله ﷺ وإني لأرى بياض فخذ نبي الله ﷺ^(٤) فهو محمول كما قال الإمام النووي " على أنه لضرورة الإغارة ولم ينكشف باختياره، وليس فيه ما يدل على أنه

(١) رواه مسلم/ كتاب القدر/ باب تصريف الله القلوب كيف شاء/ ج٤/ ص٢٠٤٧/ رقم ٢٦٥٧.

(٢) الحاكم النيسابوري/ المستدرک على الصحيحين/ ذكر جابر عبد الله رضي الله عنهما/ ج٣/ ص١٥٧/ رقم ٦٤١٧.

(٣) رواه البخاري/ كتاب الصلاة/ باب ما يذكر في الفخذ/ ج١/ ص١٤٥/ رقم ٣٦٣.

(٤) رواه البخاري/ كتاب الصلاة/ باب ما يذكر في الفخذ/ ج١/ ص١٤٥/ رقم ٣٦٤. رواه مسلم/ كتاب الجهاد والسير/

باب غزوة خيبر/ ج٣/ ص١٤٢٦/ رقم ١٣٦٥.

استدام كشف الفخذ مع إمكان الستر"^(١) وما سوى ذلك يباح النظر إليه سواء كان النظر من قبل رجل أو امرأة على الرأي الراجح بين أقوال أهل العلم ما لم يصحب هذا النظر شهوة أو تخف منه فتنة والأدلة على صحة هذا الرأي:

١. جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد"^(٢) يقول القسطلاني عند شرحه لهذا الحديث وهذا يدل على جواز رؤية المرأة الأجنبية للرجل الأجنبي دون العكس، ويدل له استمرار العمل على خروج النساء إلى المساجد والأسواق والأسفار منقبات لئلا يراهن الرجال، ولم يؤمر الرجال قط بالانتقاب لئلا يراهم النساء فدل على اختلاف الحكم بين الفريقين.^(٣) ويقول أبو الأعلى المودودي "إن هناك فرقاً دقيقاً بين نظر المرأة إلى الرجال ونظر الرجال إلى النساء من حيث الخصائص النفسية للصنفين وذلك أن في طبيعة الرجل الإقدام فهو إذا أحب شيئاً يسعى في إحرازه والوصول إليه، ولكن في طبيعة المرأة التمتع والفرار لحياتها"^(٤) أما الحديث الذي رواه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كنت عند النبي ﷺ وميمونة فأقبل ابن أم مكتوم حتى دخل عليه وذلك بعد أن أمر بالحجاب فقال رسول الله ﷺ احتجبا منه، فقلنا يا رسول الله: أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال: أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟^(٥) فهو

(١) النووي، محيي الدين النووي/ صحيح مسلم بشرح النووي/ تحقيق الشيخ خليل مأمون شيجا/ دار المعرفة/ بيروت- لبنان/ ط٢/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م/ ج١٢/ ص٣٧٣.

(٢) البخاري/ كتاب النكاح/ باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم/ ج٥/ ص٢٠٠٦/ رقم ٤٩٣٨. مسلم/ كتاب صلاة العيدين/ باب ما يقرأ به في صلاة العيدين/ ج٢/ ص٦٠٨/ رقم ٨٩٢.

(٣) القسطلاني شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشافعي/ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري/ ضبط وتصحيح محمد عبد العزيز الخالدي/ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان/ ط١/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م/ ج١١/ كتاب النكاح/ باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم/ ص٥٢٣/ حديث رقم ٥٢٣٦.

(٤) المودودي- أبو الأعلى/ الحجاب/ دار الفكر/ ص٢٨٥-٢٨٦.

(٥) الترمذي/ كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ/ باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال/ ج٥/ ص١٠٢/ رقم ٢٧٧٨/ أبو داود/ كتاب اللباس/ باب في قوله (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن/ ج٤/ ص٦٣/ ٤١١٢.

محمول على اجتماع أم سلمة وميمونة مع ابن أم مكتوم في مجلس واحد، مع تحديق بصرهن إليه مقابلة ومواجهة وكذلك خشية أن تتكشف عورة ابن أم مكتوم فتطلعان عليه فهو رجل لا يبصر. وبهذا نصل إلى: جواز نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي عنها فيما عدا "السرة إلى الركبة بشرطين:

١. أن لا تنظر بشهوة مما يترتب على ذلك من الفتنة.

٢. أن لا يكون النظر بالتحديق والتمعن في مجلس واحد ومواجهة.

ويؤيده كذلك قول الرسول ﷺ لفاطمة بنت قيس: "اعتدي عند ابن أم مكتوم فإنه رجل

أعمى تضعين ثيابك عنده"^(١)

عورة المرأة على المرأة:

لا يجوز أن تنظر المرأة إلى المرأة ما بين سرتها إلى ركبته سواء أكانت المرأة المنظور إليها قريبة أم بعيدة وسواء كانت مسلمة أم كافرة، والأصل في ذلك الحديث الذي سبق ذكره "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة"^(٢)

ويقول المودودي في المراد من قوله تعالى "أو نسائهن" أي المختصات بهن بالصحة والخدمة والتعارف سواء كن مسلمات أو غير مسلمات وأن الغرض من الآية أن تخرج من دائرة الأجنيبات اللاتي لا يُعرف شيء عن أخلاقهن وآدابهن وعاداتهن أو تكون أحوالهن الظاهرة مشتبهة لا يوثق بها، فليست العبرة في هذا الشأن بالاختلاف الديني بل هي بالاختلاف الخلقي"^(٣) وعليه فإن الأولى بالمسلمة أن تحترز عن كشف زينتها أمام من لا تعرف أخلاقهن من النساء مخافة أن يصفنها للرجال فتقع الفتنة وتثار البلبل في المجتمع. عن عبد الله بن مسعود

(١) رواء مسلم/ كتاب الرضاع/ باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها/ ج٢/ ص١١١٤/ رقم ١٤٨٠.

(٢) سبق تخريجه ص٦٣. هامش رقم (٥).

(٣) المودودي/ تفسير سورة النور/ ص١٦٦.

قال قال رسول الله ﷺ "لا تبأشر المرأة المرأة ففتنتها لزوجها كأنه ينظر إليها"^(١) وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته زوجته" الحمام"^(٢) وذلك لحصول التكشف والعري فيها الذي من شأنه تحصيل المفاصد بنظر النساء إلى عورات بعضهن.

وعن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال "ستفتح عليكم أرض العجم، وستجدون فيها بيوتاً يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال إلا بإزار، وامنعوها النساء إلا مريضة أو نفساء".^(٣)

عورة المرأة على الرجل: -

عورة المرأة على الرجل الأجنبي عنها: جميع بدنها باتفاق وكذلك وجهها وكفيها إن كانت متزينة، أو خافت الفتنة بكشفها، أما في حال عدم الفتنة ففيه خلاف بين العلماء وسأذكر أقوالهم في مبحث "قضية الحجاب".

قال تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا بعبواتهن أو آبانهن أو آباء بعبواتهن أو أبناهن أو أبناء بعبواتهن أو اخواتهن أو بنى اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾.^(٤)

(١) البخاري/ كتاب النكاح/ باب لا تبأشر المرأة ففتنتها لزوجها/ ج٥/ ص٢٠٠٧/ رقم ٤٩٤٣.
(٢) رواه أحمد/ مسند أبي سعيد الخدري/ ج٣/ ص٣٣٩/ رقم ١٤٦٩٢. رواه الترمذي/ كتاب الأئب/ باب ما جاء في دخول الحمام/ ج٥/ ص١١٣/ رقم ٢٨٠١، وقال حديث حسن غريب. رواه الحاكم/ كتاب الأئب/ قال حديث صحيح شرط مسلم ولم يخرجاه/ ج٤/ ص٣٢٠/ رقم ٧٧٧٩.
(٣) أبو داود/ كتاب الحمام/ ج٤/ ص٣٩/ رقم ٤٠٠٩. ابن ماجة/ كتاب الأئب/ باب دخول الحمام/ ج٢/ ص١٢٣٣/ رقم ٣٧٤٨. سنن البيهقي الكبرى/ كتاب القسم والنشوز/ باب دخول الحمامات/ ج٧/ ص٣٠٨/ رقم ١٤٥٨١.
(٤) سورة النور آية (٣١).

ففي هذه الآية توجيه يتضمن نهى النساء المؤمنات عن كشف الزينة الخفية أمام الأجنبي وإن كان هناك خلاف في جواز النظر إلى الوجه والكنين في حال أمن الفتنة.

وعن سعيد بن أبي الحسن أن رسول الله ﷺ لما سُئِلَ عن نظر الفجأة قال: - "إصرف بصرك"^(١) دلالة على الشمول والنهي العام عن النظر مطلقاً إن كان فيه المعاودة للتأمل والتلذذ لأي جزء من الجسم لأنه عورة، أو للوجه لأن فيه مخافة وقوع الفتنة.

عورة المرأة على غير الرجال الأجانب:

أما الرجال الذين استثناهم الله في الآية إضافة إلى الأعمام والأحوال لأنهم بمنزلة الآباء كما جاء في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "عم الرجل صنو أبيه"^(٢) فيجوز لهن إظهار الزينة أمامهم وما يظهر منهن غالباً كالرأس والرقبة والكنين والقدمين ونحوه.

* أما الزوج: فلا عورة بين المرأة وزوجها "لما رواه بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ فقال "احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك"^(٣) وهذا الحديث يشير إلى جواز النظر بين الزوجين مطلقاً.

(١) رواه أحمد/ أول مسند الكوفيين/ من حديث جرير بن عبد الله/ ج ٤/ ص ٣٦١/ رقم ١٩٢٠٨. رواه أبو داود/ كتاب النكاح/ باب ما يؤمر به من غض البصر/ ج ٢/ ص ٢٤٦/ رقم ٢١٤٨.

(٢) الصنوع: النظير والمثل، رواه مسلم/ كتاب الزكاة/ باب في تقديم الزكاة ومنمها/ ج ٢/ ص ١٧٦/ رقم ٩٨٣. ابن حبان/ ذكر الإباحة للإمام ضمانه عن بعض رعيته/ ج ٨/ ص ٦٧/ رقم ٣٢٧٣.

(٣) مسند أحمد/ كتاب أول مسند البصريين / باب حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده/ ج ٥/ ص ٣/ رقم ١٩١٨. الترمذي/ كتاب الأدب عن رسول الله/ باب ما جاء في حفظ العورة/ ج ٥/ ص ٩٧/ رقم ٢٧٦٩. أبو داود/ كتاب الحمام/ باب ما جاء في التمري/ ج ٤/ ص ٤٠/ رقم ٤٠١٧. ابن ماجة/ كتاب النكاح/ باب التستر عند الجماع/ ج ١/ ص ٦١٨/ رقم ١٩٢٠.

حالات استثنائية يجوز فيها النظر إلى المرأة:

أ. النظر بقصد الخطبة: هو مما أباحتها الشريعة الإسلامية بل وحثت عليه، والأصل فيه قول الرسول ﷺ للمغيرة بن شعبة "انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما"^(١) وكذلك ما رواه مسلم: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ "أنظرت إليها؟ قال: لا قال: "انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً"^(٢) - يعني الصغر - إلا أن هذا النظر مقيد بشروط ومنها:

١. عدم الخلوة لما روى الشيخان عن رسول الله ﷺ " ألا لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافرن إلاّ ومعها ذو محرم"^(٣).

٢. عدم المصافحة قبل إجراء عقد الزواج، لأنها ما زالت أجنبية عنه، لما روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها "مامست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، وإنما مبايعتها كانت كلاماً"^(٤).

٣. أن لا يتجاوز النظر إلى غير ما تتحقق به الحاجة والراجح من أقوال أهل العلم جواز النظر إلى ما يظهر غالباً كالوجه والكفين إذ يُعلم بالنظر إلى الوجه جمال المرأة، وبالنظر إلى الكفين تُعلم خصوبة البدن وفي هذا ما يدعو إلى إتمام الزواج وتحقيق مقصوده.^(٥)

(١) رواه أحمد/ أول مسند الكوفيين/ باب حديث المغيرة بن شعبة/ ج ٤/ ص ٢٤٤/ رقم (٧٤٥٣). الترمذي/ كتاب النكاح/ باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة/ ج ٣/ ص ٣٩٧/ رقم ١٠٨٧. ابن ماجه/ كتاب النكاح/ باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها/ ج ١/ ص ٥٩٩/ رقم ١٨٦٤. النسائي/ كتاب النكاح/ باب إباحة النظر قبل التزويج/ ج ٦/ ص ٦٩/ رقم ٣٢٣٥.

(٢) رواه مسلم/ كتاب النكاح/ باب نذب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزويجها/ ج ٢/ ص ١٠٤٠/ رقم ١٤٢٤.

(٣) مسلم/ كتاب الحج/ باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره/ ج ٢/ ص ٩٧٨/ رقم ١٣٤١.

(٤) أخرجه البخاري/ كتاب الشروط/ باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعه/ ج ٢/ ص ٩٦٧/ رقم ٢٥٦.

(٥) أبو اسحاق الحنبلي، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله/ المبدع شرح المقنع/ تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل الشافعي/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ م ٦/ ص ٨٥.

وقيدَ الإسلام النظر بتلك القيود للمحافظة على السمعة الطيبة لكلا الخاطبين وتوطيداً لمبادئ الفضيلة، وصوناً للأعراض من أن تتلم ولو بالكلمة السيئة، ومخافة أن تصبح الفتاة مثاراً للشبهة وعرضةً للتهمة.

ب. النظر بقصد المداواة:

يجوز للطبيب أن ينظر من الأجنبية المراد علاجها إلى الموضع الذي يقوم بمعالجته ويقدر الحاجة لما روى مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أنها استأذنت رسول الله ﷺ في الحجامة فأمر النبي ﷺ أباطيبة أن يحجمها. (١)

وكذلك لعموم قوله تعالى: ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ (٢) وقوله: ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾. (٣)

إلا أنه يشترط عدم الخلوة بل لا بد من مرافقة محرم.

ج. النظر بقصد المحاكمة والشهادة والبيع والشراء: -

يجوز للقاضي والشاهد أن ينظر من المرأة إلى الوجه والكفين لما يترتب على هذا النظر من إحقاق الحق ودفع الظلم يقول ابن قدامة "وللشاهد النظر إلى وجه المشهود عليها لتكون الشهادة واقعة على عينها، قال أحمد لا يشهد على امرأة إلا أن يكون قد عرفها بعينها، وإن عامل امرأة في بيع أو إجارة فله النظر إلى وجهها ليعلمها بعينها فيرجع عليها بالدرك" (٤)، وقد روي عن أحمد كراهة ذلك في حق الشابة دون العجوز ولعله كرهه لمن يخاف الفتنة أو يستغني عن المعاملة. فأما مع الحاجة وعدم الشهوة فلا بأس". (٥)

(١) رواء مسلم/ كتاب السلام/ باب لكل داء نواء واستحباب التداوي/ ج٤/ ص١٧٣٠/ رقم ٢٢٠٦.

(٢) سورة الحج آية (٧٨).

(٣) سورة البقرة آية (١٨٥).

(٤) الدرك: التبعة. يقال: ما لحقك من درك فعليّ خلاصه. انظر: إبراهيم أنيس/ المعجم الوسيط/ ص١١٤.

(٥) ابن قدامة/ المغني/ ج٦/ ص٥٥٨.

٢. غض البصر عمّا في داخل البيوت:-

لقد جاءت آيتا غض البصر بعد آيات الاستئذان مباشرة وقبل الأمر بحفظ الفروج مما يدل على أن الاستئذان شرع خشية كشف العورات بالبصر والذي أمر بغضه لحفظ الفروج من الفواحش والتي مبدأها البصر. ولتؤكد آيات الاستئذان أن المقصود هو تحريم النظر إلى العورات المحرمة كما جاء في الحديث الشريف عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر"^(١) وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: "من أطلع في بيت قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه فلا دية له"^(٢).

٣. غض البصر بعد نظرة النجاة: -

فإن معاودة النظر وتكراره من أجل التمعن والتلذذ أمر منهي عنه، قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه "يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وعليك الثانية"^(٣) وفي قوله "لا تتبع النظرة النظرة" تأويلان:

أحدهما: لا تتبع نظر عينيك نظر قلبك.

الثاني: لا تتبع الأولى التي وقعت سهواً بالنظرة الثانية التي توقعها عمداً، فإنها تزرع

في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة"^(٤).

(١) البخاري/ كتاب الاستئذان/ باب الاستئذان من أجل البصر/ ج٥/ ص٢٣٠٤/ رقم ٥٨٨٧.

(٢) البخاري/ كتاب النيات/ باب من يتحقق في بيت قوم ففقأوا عينه فلا دية له/ ج٦/ ص٢٥٣٠/ رقم ٦٥٠٤.

(٣) رواه أحمد / مسند علي بن طالب/ ج٥/ ص٣٥٣/ رقم ٢٣٠٤١. الترمذي/ كتاب الحظر والإباحة/ باب بما جاء في نظر المفاجأة/ ج٥/ ص١٠١/ رقم ٢٧٧٧. أبو داود/ كتاب النكاح/ باب ما يؤمر به من غض البصر/ ج٣/ ص٢٤٦/ رقم ٢١٤٨.

(٤) الماوردي - أبو الحسن علي بن محمد البصري/ أدب الدنيا والدين/ حققه: مصطفى السقا/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ط٤/ ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م/ ص٣١٠.

أما نظر الفجأة فلا إثم فيه وهو "أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصد" وعندئذ عليه أن يصرف بصره في الحال أما إن استدأمت النظر فقد أثم.

٤. غض البصر أثناء الجلوس في الطرقات: -

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: "ياكم والجلوس في الطرقات. قالوا: يا رسول الله هي مجالسنا مالنا منها بدّ. قال: فإن كان ذلك فأعطوا الطريق حقها. قالوا: وما حقها؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"^(١) ويتبين من سياق الحديث أن النهي للتنزيه حتى لا يضعف الجالس عن أداء الحق الذي هو عليه، وأشار بغض البصر إلى السلامة من التعرض للفتنة بمن يمر من النساء، وبكف الأذى إلى السلامة من الاحتقار والغيبة، ويرد السلام إلى إكرام المار، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى استعمال جميع ما يشرع وترك جميع ما لا يشرع.^(٢)

قال العلاء بن زياد: "لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يزرع في القلب شهوة، وقلما يخلو الإنسان من ترداده عن وقوع البصر على النساء"^(٣) وهذا الأمر مما يحتاج إلى قوة الإرادة والتأدب والتخلق بمكارم الأخلاق.

- فوائد غض البصر

يقول المولى عز وجل: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ

أَزْكَى لَهُمْ ﴾.^(٤)

(١) البخاري/ كتاب المظالم/ باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصدقات/ ج٢/ ص٨٧٠/ رقم ٢٣٣٣. مسلم/

كتاب السلام/ باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام/ ج٤/ ص١٧٣/ رقم ٢١٦١.

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر/ فتح الباريء شرح صحيح البخاري/ تحقيق: عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد

الباقي/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ ط١/ ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م / ص١٤٣.

(٣) الأصفهاني، أبو نعيم أحمد عبد الله/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ دار الفكر/ ج٢/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م/ ص٢٤٤.

(٤) سورة النور آية (٣٠).

لقد أجمل الله تعالى ما يترتب على غض البصر من فوائد في طيات قوله "ذلك أزكى لهم" - أي أظهر - ولهم: دالة على شمول هذه التزكية والتطهير للعقل من أن يفكر في الفعل المحرم جراء هذا النظر وللقلب من أن يصاب بداء الهوى وللجوارح من أن تنال نصيباً أكبر من الزنا.

ويقول سيد قطب في تفسير الآية " أي أظهر لمشاعرهم وأضمن لعدم تلوثها بالانفعالات الشهوية في غير موضعها المشروع التنظيف، وعدم ارتكاسها إلى الدرك الحيواني الهابط وهو أظهر للجماعة وأصون لحرمتها وأعراضها وجوهرها الذي تتنفس فيه".^(١)

ومن غض بصره عما حرم الله فقد امتثل لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في الدنيا والآخرة، وفاز برضوانه قال تعالى: ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾.^(٢)

ومن غض بصره عما حرم الله نور الله له بصيرته فصحت فراسته. قال (شجاع الكرمانى): "من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدواء المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات وأكل الحلال، لم تخطئ فراسته"^(٣) ومن حبس بصره لله نور الله له بصيرته قال تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾.^(٤)

وغض البصر سبب من أسباب ضمان دخول الجنة والتقيؤ بظل الله يوم القيامة: قال رسول الله ﷺ "اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا الأمانة إذا انتمتم، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم"^(٥) وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا ترى أعينهم النار يوم القيامة، عين بكت من خشية الله

(١) سيد قطب/ في ظلال القرآن/ ج٤/ ص٢٥١٢.

(٢) سورة طه آية (١٢٣).

(٣) الحفناوي/ النظر بين الرجل والمرأة/ ص١٠.

(٤) سورة الرحمن آية (٦٠).

(٥) رواه أحمد /كتاب مسند الأنصار/ باب حديث عبادة بن الصامت/ ج٥/ ص٣٢٣/ رقم ٢٢٨٠٩.

وعين حرس في سبيل الله، وعين غضت عن محارم الله^(١) وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه تضمنت له بالجنة"^(٢) وضمان الفرج من الزنا والفواحش لا يكون إلا بضمان البصر فإن النظر بريد الزنا وهو بابه فمن نظر وتأمل وقعت الشهوة في قلبه وسيطرت على عقله وتفكيره فإما أن تؤدي به إلى الزنا أو إصابته بالأمراض العصبية والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الإثارة^(٣) وفي سورة النور أمر الله بغض البصر قبل أن يأمر بحفظ الفرج لأن الغض عما حرم الله وسيلة لحفظ الفروج عما حرم الله أيضاً.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله. ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه"^(٤) وعفة الفرج لن تتحقق إلا بأسبابها ومنها عفة البصر المنبثقة من تقوى الله وخشيته وتطبيق شرائع الإسلام، ومن غض بصره لم يدع للشهوة سبيلاً لتصل إلى قلبه فيقع في الحرام. يقول الغزالي: "إن العين مبدأ الزنا فحفظها مهم، وإطلاق البصر

(١) الحاكم/ كتاب الجهاد/ ج٢/ ص٩٢/ رقم ٢٤٣٢.

(٢) رواية البخاري/ كتاب الرقاق/ باب حفظ اللسان وقول النبي من كان يؤمن بالله واليوم الآخر/ ج٥/ ص٢٣٧٦/ رقم ٦١٠٩.

(٣) محمد، صلاح عبد الغني محمد/ وسائل الإسلام في المحافظة على كرامة المرأة / مكتبة الدار العربية للكتاب / ج ٤ / ص ٤١.

(٤) رواء البخاري/ كتاب الزكاة/ باب الصدقة باليمين/ ج٢/ ص٥١٧/ رقم ١٣٥٧. مسلم/ كتاب الزكاة/ باب فضل إخفاء الصدقة/ ج٢/ ص٧١٥/ رقم ١٠٣١.

أمر قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها عنه تتشأ فالنظرة الأولى إذا لم تقصد لا
يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها".^(١)

غض البصر يورث القلب حلاوة ونوراً وإشراقاً يظهر في العين والجوارح والوجه،
كما أن إطلاقه يورث صاحبه ظلمة. فمن ترك اتباع هواه وغض بصره إرضاءً لله أرضاه الله
بحلاوة يجدها في قلبه - وهي طمأنينة القلب وراحته، فيكون القلب طليقاً من أسر الشهوة التي
تجعل صاحبها في غفلة عن الله والدار الآخرة.

ويقول ابن القيم في اطلاق البصر "إن اطلاق البصر يفرق القلب ويشتته ويبعده عن
الله وليس على القلب شيء أضر من اطلاق البصر" وقال في ضرر اطلاق البصر على
صاحبه:

يا رامياً بسهام الحظ مجتهداً أنت القَتِيل بما ترمي فلا تُصِيبُ^(٢)

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد/ إحياء علوم الدين/ دار الصابوني/ م٣/ ص ١٠١.
(٢) الجوزية- ابن القيم/ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي "الداء والدواء"/ دار إحياء الكتب العربية/ ص ٢٥٨.

المبحث الخامس: نبذ التبرج وفرضية الحجاب

المطلب الأول: خطورة التبرج

والتبرج هو: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال، ويقال تبرجت المرأة: أي أظهرت وجهها وإذا أبدت المرأة محاسن جيدها ووجهها قيل تبرجت. (١)

وقد ورد لفظ التبرج في القرآن الكريم في أكثر من آية وكلها موضع نهى:

قال تعالى ﴿ والقواعدُ من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن

ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ﴾. (٢)

وقال تعالى ﴿ يا نساء النبي لستن كأحدٍ من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول

فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً * وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية

الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل

البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ (٣) والخطاب وإن كان موجهاً لنساء النبي ﷺ فإن المراد به نساء

المؤمنين عامة "فالعبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" ويؤيد ذلك أن الخطاب عام فيما أمرن

به من عدم الخضوع بالقول والقرار في البيوت وعدم التبرج وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة

وطاعة الله رسوله، فلا يعقل أن يكون الخطاب خاص بهن وهن خير النساء ولا يلحقهن في

الفضل والمنزلة أحد، بل والقوة الصالحة لجميع النساء. ولو كان فيه خصوصية لكانت النساء

المسلمات أولى بهذه الوصايا، إذ أن أمهات المؤمنين لهن من الفضل والمكانة وسمو الخلق ما لا

(١) ابن منظور/ لسان العرب/ ٢م/ ص ٢١٢.

(٢) سورة النور آية (٦٠).

(٣) سورة الأحزاب آية (٣٢-٣٣).

يجاريهن فيه أحد من النساء.

أما أقوال التابعين في تفسير قوله تعالى " ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى " كالتالي:-

قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين الرجال فذلك تبرج الجاهلية.

وقال قتادة: كانت تمشي مشية تكسر وتغنج فنهى الله تعالى عن ذلك.

وقال مقاتل بن حيان: التبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيداري فلاندها

وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج: (١)

ونستنتج من هذه الأقوال أن التبرج المنهي عنه شامل لكل ما تفعله المرأة لتلفت به

انتباه الرجال من إبداء الأعضاء أو الزينة من الثياب والمساحيق والعمورات أو إظهار التكسر

في المشية.

المطلب الثاني: أدلة تحريم التبرج من السنة: -

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: " صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم

معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات،

رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة

كذا وكذا" (٢). ووجه الدلالة فيه: أن تبرج هؤلاء النساء وعدم تحجبهن منعهن من دخول الجنة

بل ومن أن يجدن ريحها لما تسببن فيه من إغواء وفتنة ولانصرافهن عن طاعة الله ورسوله.

قال القاضي عياض في شرح "كاسيات عاريات" وفيه ثلاثة أوجه:

١. كاسيات من نعم الله عاريات من الشكر.

(١) قطب، سيد قطب/ في ظلال القرآن/ م/ ٥/ ص ٢٨٦٠.

(٢) صحيح مسلم/ كتاب اللباس والزينة/ باب النساء الكاسيات العاريات المائلات والمميلات/ ج/ ٣/ ص ١٦٨٠/ رقم ٢١٢٨.

٢. كاسيات يكشفن بعض جسدن، ويُسبلن الخمر من ورائهن فتتكشف صدورهن فهن كاسيات بمنزلة العاريات، إذا كان لا يستر لباسهن جميع أجسادهن.

٣. يلبسن ثياباً رفاقاً تصف ما تحتها، فهن كاسيات في ظاهر الأمر عاريات في الحقيقة. وقوله (مائلات مميلات)

أي زائغات عن استعمال طاعة الله وما يلزمهن من حفظ الفروج.

ومميلات: يُعلمن غيرهن الدخول في مثل فعلهن.

وقيل: (مائلات): متبخرات في مشيتهن.

(مميلات): يملن أكتافهن وأعطافهن.

وقيل: (مائلات): يتمشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا.

(مميلات): يمشطن غيرهن المشطة الميلاء.

وقوله (على رؤوسهن كأسنمة البخت): أي يعظمنها بالخمرة والعمائم أو بضفر الغدائر

وشدها إلى فوق وجمعها أعلى الرأس. (١)

ويحتمل أن وجوب النار لهم من أجل ظلمهم وتعذيبهم واستطالتهم على الناس ويحتمل

لمعاصٍ أخرى أوجببت النار لهم من كفرهم وغير ذلك. (٢)

٢. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد دخلت امرأة من

مزينة ترفل في زينة لها في المسجد فقال النبي ﷺ "يا أيها الناس: انهوا نساءكم عن لبس

(١) القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي/ شرح صحيح مسلم المسمى (إكمال المعلم بفوائد مسلم)/ تحقيق د. يحيى إسماعيل/ دار الوفاء / ط ١ / ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م / ج ٨ / كتاب الجنة - باب : النار يدخلها الجبارون/ ص ٣٨٦ - ٣٨٧.

(٢) المصدر السابق/ م ٦ / ص ٦٥٩ - كتاب اللباس والزينة - باب النساء الكاسيات.

الزينة والتبخر في المسجد، فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساوهم الزينة وتبختروا في المسجد".^(١)

٣. عن فضالة بن عبيد قال قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً، وأمة أو عبد أبق فمات، وامرأة مات عنها زوجها قد كفاها مؤونة الدنيا فتبرجت بعده، فلا تسأل عنهم".^(٢)

٤. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال "جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام فقال: أباعك على أن لا تشركي بالله شيئاً ولا تسرقني ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفتريه بين يديك ورجليك ولا تتوحي ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولى".^(٣)

لقد حرم الإسلام التبرج لأنه يولد في المجتمع الخطر الجسيم والشر المستطير، إذ يدعو إلى إذكاء العواطف وإثارة الدافع الجنسي، وتحرش الرجال بالنساء. مما يصل بهم الأمر إلى وقوع الفاحشة فإذا نشفت انتشرت الأمراض الجنسية والأطفال غير الشرعيين وصار المجتمع إباحياً لا هدف ولا مسئولية عند أفراد.

إن مفاصد التبرج أشمل وأوسع من أن تلخص في سطور ومن أراد الخلاصة في ذلك فلينظر إلى أحوال المجتمعات الغربية وإحصائيات جرائم الجنس، ومواليد الزنا في بلادهم الإباحية.

(إن خروج المرأة متبرجة مخالطة للرجال يعرض عفافها وعرضها للأذى والسوء والفحشاء، وخصوصاً من قبل الأشرار والسفهاء فإن وافقتهم خربت بيتها وهدمت أسرته

^(١) سنن ابن ماجه/ كتاب الفتن/ باب فتنة النساء/ ج٢/ ص١٣٢٦/ رقم ٤٠٠١.

^(٢) المستدرک علی الصحیحین/ کتاب العلم/ ج١/ ص٢٠٦/ رقم الحديث ٤١١.

^(٣) مسند أحمد/ مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما/ ج٢/ ص١٩٦/ رقم ٦٨٥٠.

وخانت زوجها، وإن مانعتهم عَرَضت نفسها للشكوك والريب مما يؤثر تأثيراً خطيراً على حياتها مع نفسها وزوجها وأولادها).^(١)

والمترجة لاشك أنها تقوم بمحرمات كثيرة إلى جانب تبرجها إذ أنها تحرص على أن تظهر بأجمل صورة أمام مشاهديها لذا فإنها تلجأ إلى وسائل التجميل والتي تأخذ حكم الحرمة في أغلبها كالتمص^(٢) والتفلج^(٣) والوصل.^(٤)

عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: "لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة"^(٥) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "لعن الله الواشحات والمستوشحات والنامصات والمتمصصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله" فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن، فأنته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشحات والمستوشحات والنامصات والمتمصصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله؟ فقال عبد الله: ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله، فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لוחي المصحف، فما وجدته! فقال: لنن كنت قد قرأته فقد وجدته، قال الله عز وجل ﴿ وما آتكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾^(٦) فقالت المرأة: فإني أرى شيئاً من

(١) العك، خالد عبد الرحمن/ شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة/ دار المعرفة - بيروت، لبنان/ ط١/

١٤١٩هـ-١٩٩٨م/ ص٣٤٧.

(٢) النمص: هو نتف شعر الحاجبين.

(٣) التفلج: هو الوشر بين الأسنان لتجعل المرأة فرجة لطيفة بين أسنانها الثنايا والرباعيات.

(٤) الوصل: وصل الشعر الطبيعي بشعر آخر مستعار.

(٥) البخاري/ كتاب اللباس/ باب من لم يرد الطيب/ ج٥/ ص٢٢١٧/ رقم ٥٥٩٣. مسلم/ كتاب اللباس/ باب تحريم فعل

الواصلة والمستوصلة/ ج٣/ ص١٦٧٧/ رقم ٢١٢٤.

(٦) سورة الحشر آية (٧).

هذا على امرأتك الآن. قال: اذهبي. فدخلت على امرأة عبد الله، فلم تر شيئاً، فجاءت إليه فقالت:
ما رأيت شيئاً، فقال: أما لو كان ذلك لم نجامعها".^(١)

المطلب الثالث: فرضية الحجاب

إن المتأمل في امتنان المولى عز وجل على عباده في قوله تعالى ﴿ يا بني آدم قد
أنزلنا عليكم لباساً يواري سواتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلمهم
يذكرون. يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما
ليريهما سواتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا
يؤمنون﴾^(٢) يدرك أن اللباس من النعم التي كرم الله بها ابن آدم على سائر خلقه. إذ فيه تذكير
للمشهد الذي عاناه آدم عليه السلام وحواء في الجنة بعد الخطيئة وإثبات أن العري مخالف
للفطرة البشرية السوية، وأن الستر من أعظم المطالب التي تحقق كرامة الإنسان، كما وأن
الارتباط وثيق في الآية بين ستر العورة وبين التقوى في نفس الإنسان، كما قال عبد الرحمن ابن
أسلم: (من يتقى الله يوارى عورته، فذاك لباس التقوى)^(٣) ثم يحذر الله عباده من فتنة الشيطان
إذ كان سبباً في عري أبونا وإخراجهما من الجنة، ومن فتنته لأهل الجاهلية وتزيينه لهم أمرهم
بالطواف حول البيت عراة.

^(١) البخاري/ كتاب اللباس/ باب المتمصات/ ج ٥/ ص ٢٢١٨/ رقم (٥٥٩٥). مسلم/ كتاب اللباس والزينة/ باب تحريم فعل

الواصلة والمستوصلة/ ج ٣/ ص ١٦٧٨/ رقم ٢١٢٥.

^(٢) سورة الأعراف آية (٢٦، ٢٧).

^(٣) الطيبي، عكاشة الطيبي/ المرأة في ظلال القرآن/ ص ٥١.

الحكمة من فرضية الحجاب:

تتضح الحكمة من فرضية الحجاب جلية عند تدبرنا الآيات القرآنية كما في قوله تعالى
﴿ وإذا سألتهم متاعاً فاسألوهم من وراء حجاب ذلك أظهر لقلوبكم وقلوبهم ﴾^(١) وقوله
﴿ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾^(٢)

• "فخشية أن تكون المرأة مطمعا للأنظار ولئلا تكون فتنة في المجتمع ومدعاة للسوء أمر
الإسلام المرأة بالحجاب من أجل حشمتها وكمالها وسترها ووقارها"^(٣)

"والحجاب حافظ رحماني، حمانا الله به ورحمة رحمننا المولى بها من تأصل هذه الأعراض
واستمالتها إلى أمراض عضوية في جسمنا الاجتماعي"^(٤) ويقول سيد قطب رحمه الله في
الحجاب " لقد رفع الإسلام ذوق المجتمع الإسلامي، وطهر إحساسه بالجمال، فلم يعد الطابع
الحيواني للجمال هو المستحب بل الطابع الإنساني المهذب، إن جمال الكشف الجسدي جمال
حيواني مهما يكن فيه من التناسق والاكتمال، أما جمال الحشمة فهو الجمال النظيف الذي يرفع
الذوق الجمالي - وكذلك يصنع الإسلام في صفوف المؤمنات على الرغم من هبوط الذوق العام
والجنوح به إلى التعري والتتزي^(٥) كما تنتزي البهيمة! فإذا هن يحجبن مفاتن أجسامهن طائعات،
في مجتمع يتكشف ويتبرج"^(٦)

(١) سورة الأحزاب آية (٥٣).

(٢) سورة الأحزاب آية (٥٩).

(٣) نفاحة، أحمد زكي نفاحة/ المرأة والإسلام/ ص ١٢٤ بتصرف، وانظر محاضرات في الثقافة الإسلامية. جمال، أحمد
محمد جمال/ مؤسسة دار الشعب - القاهرة/ ط٣ / ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م/ ص ١٤٤.

(٤) وجدي، محمد فريد وجدي/ المرأة المسلمة دراسة نقدية لدعاة تحرير المرأة/ مكتبة أضواء السلف/ ط١ / ١٤١٩هـ -
١٩٩٩م/ ص ١٤٦.

(٥) التتزي: يقال نزا الفحل أي وثب والتتزي التوثب والتسرع، والنزاء: الاندفاع إلى الشر. انظر: إبراهيم أنيس / المعجم
الوسيط/ ص ٩١٦.

(٦) قطب، سيد قطب/ في ظلال القرآن/ ٤٣/ ص ٢٥١٣ باختصار.

المطلب الرابع: شروط الحجاب الشرعي:-

لم يذكر في دليل واحد جميع الشروط مجتمعة لتصور لنا هيئة الحجاب الذي فرضه الله علينا، ولكن من مجموع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية واجتهادات العلماء يمكننا استخراج شروط الحجاب الإسلامي وهي:-

أولاً:- استيعاب جميع البدن إلا ما استثني. قال تعالى ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً ﴾^(١). فالخطاب في هذه الآية الكريمة عام يبين ما يجب أن ترتديه زوجات رسول الله ﷺ وبناته - وهن القدوة - ونساء المؤمنين زياً موحداً وهو الجلباب.

الجلباب لغة: يقول ابن الأعرابي: هو الإزار، وقال الأزهري: معنى قول ابن الأعرابي "الجلباب الإزار" لم يرد إزاراً لحقو^(٢)، ولكنه أراد إزاراً يُشتمل به فيجلل جميع الجسد".^(٣)

وهو ثوب أوسع من الخمار دون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها، وقيل هو ثوب واسع دون الملحفة تلبسه المرأة وقيل هو الملحفة، وقيل جلباب المرأة ملاءتها التي تشتمل بها، وقيل هو كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها^(٤) وقيل هو الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل.^(٥)

(١) سورة الأحزاب آية (٥٩).

(٢) الحقو: معقد الإزاء.

(٣) ابن منظور/ لسان العرب/ ج ١/ ص ١٥٩.

(٤) مطلوب، أحمد مطلوب/ معجم الملابس في لسان العرب/ مكتبة لبنان/ ط ١/ ١٩٩٥/ ص ٤٦.

(٥) هارون، نبيل عبد السلام هارون/ المعجم الوجيز لألفاظ القرآن/ دار النشر للجامعات - مصر/ ط ١/ ١٤١١هـ -

١٩٩٧م/ ص ٣٦.

المعنى الشرعي للجلباب:-

قال القرطبي الجلابيب: جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار. وروى عن ابن عباس وابن مسعود أنه الرداء، وقيل: أنه القناع، والصحيح: أنه الثوب الذي يستر جميع البدن^(١) وحكي عن عبيدة وغيره أنها تدنيه من فوق رأسها فلا تظهر إلا عينيها ومن جنسه النقاب^(٢) وهناك طائفة من المفسرين قالوا في قوله تعالى ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ أي يستترن عن الأجانب بالكآبة وبما في ذلك وجوههن ولا يبدين إلا أعينهن للرؤية.^(٣)

- فهذه الآية الكريمة قطعياً الثبوت قطعياً الدلالة على وجوب ستر جميع البدن ليكون الحجاب شرعياً ولكن الخلاف بين الفقهاء في مسألة "كشف الوجه والكفين فقط" وحصل هذا لاختلاف أقوال المفسرين في قوله تعالى "إلا ما ظهر منها" ولورود طائفة من الأحاديث الشريفة التي تثبت تغطية المرأة لوجهها وكفيها في حضرة رسول الله ﷺ وأخرى تثبت كشف المرأة لوجهها وكفيها.

أولاً: أدلة من قال بوجوب تغطية الوجه والكفين:

أولاً: قال تعالى ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ...﴾^(٤)

(١) القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج٤/ ص١٥٦.

(٢) ابن تيمية/ حجاب المرأة ولباسها في الصلاة . من مجموعة رسائل في الحجاب والسفور/ الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية- السعودية/ ١٤٠٥هـ/ ص٧-٨.

(٣) الزمخشري/ الكشاف/ م٢/ ص٢٢٤. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي/ تفسير أبي السعود أو "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ط١/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٠م/ م٤/ ص٤٥٣. أبو بكر الرازي "الجصاص"/ أحكام القرآن/ دار إحياء التراث العربي/ ج٥/ ص١٧٢. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف/ تفسير البحر المحيط/ دراسة وتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ ط١/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م/ ج٧/ ص٢٤٠.

(٤) سورة النور آية (٣١).

نكر ابن كثير لهذه الآية الكريمة تفسيرين:-

الأول: لا يبدن شيئاً من الزينة إلا ما لا يمكن إخفائه، قال ابن مسعود: الرداء والثياب

وقال بقول ابن مسعود: الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء وإبراهيم النخعي وغيرهم.

الثاني: عن ابن عباس أن معنى قوله ﴿إلا ما ظهر منها﴾ الوجه والكفين والخاتم. وقال

بقول ابن عباس: ابن عمر وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك وأبو الشعثاء. فمن قال

بوجوب غطاء الوجه.^(١) أخذ بقول ابن مسعود وأجاب عن تفسير ابن عباس بما يلي: -

١. أن مراده أول الأمرين قبل نزول آية الحجاب.

٢. أو أن مراده الزينة التي نُهي عن ابدائها ويؤيد هذين الاحتمالين تفسير ابن عباس لقوله

تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن

ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً﴾^(٢) إذ قال: "أمر الله المؤمنات إذا

خرجن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة.

٣. إذا لم نُسلّم أن مراده أحد هذين الاحتمالين فإن تفسيره لا يكون حجة يجب قبولها إلا إذا لم

يعارضه صحابي آخر فإن عارضه أخذ بما ترحجه الأدلة الأخرى.

ثانياً: استدلوا بالآية السابقة الذكر من سورة الأحزاب وأن الجلابيب في أغلب أقوال

المفسرين وأهل اللغة هو الرداء الساتر لجميع الجسد بما في ذلك الوجه، والخطاب عام لزوجات

النبي ﷺ وبناته ونساء المؤمنين.

(١) المودودي. أبو الأعلى الحجاب/ دار الفكر/ ص ٣٠٠-٣١١، المودودي/ تفسير سورة النور/ مؤسسة الرسالة/ دار الفكر/ ص ١٥٧-١٦٠، الشنقيطي. محمد الأمين بن محمد المختار/ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان/ م ٤/ ص ٢٨٨-٢٩٧، بن باز، عبد العزيز وجماعة من العلماء/ مجموعة رسائل في الحجاب والسفور وزارة الشؤون الإسلامية/ ط ١١ / ١٤٢٠هـ/ ص ١٧-٢٦، العثيمين محمد صالح، وابن باز/ رسالتان في الحجاب/ دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع/ ط ١/ ١٤١٤هـ- ص ١٢-٨٧.

(٢) سورة الأحزاب آية (٥٩).

ثالثاً: استدلوا بقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾^(١) أي كما نهيتكم عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا إليهن بالكيفية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ولا يسألن إلا من وراء حجاب.^(٢)

رابعاً: قال تعالى ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣) فكما هو معلوم أنه لا يجوز للقواعد أن يضعن الثياب عما عدى الوجه واليدين وهذا يدل على أن الجناح باق في غير القواعد فلا يباح لهن كشف الوجه واليدين للأجانب.

خامساً: لا يمكن تغطية الجيب (فتحة الصدر) بالخمار إلا إذا غطت الوجه!

أدلتهم من السنة النبوية: -

أولاً: أن النبي ﷺ لما أمر بإخراج النساء إلى مصلى العيد قلن يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب، فقال النبي ﷺ "تلبسها أختها من جلبابها"^(٤) ففيه دلالة على أن المرأة لا يمكنها أن تخرج إلا بالجلباب .. وقد ذكرت تعريفه سابقاً على أنه يشمل تغطية الوجه في بعض أقوال أهل العلم.

ثانياً: - عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع

الرسول ﷺ فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها فإذا جاوزونا كشفناه".^(٥)

(١) سورة الأحزاب آية (٥٣).

(٢) تفسير ابن كثير/ ٣م/ ص ٦٦١.

(٣) سورة النور آية (٦٠).

(٤) مسلم/كتاب صلاة العيدين/ باب ذكر إباحتهم خروج النساء في العيدين/ ج ٢/ ص ٦٠٦/ رقم ٨٩٠.

(٥) أبو داود/ تفریح أبواب صلاة السفر/ باب في المحرمة تنظي وجهها/ ج ٢/ ص ١٦٧/ رقم ١٨٣٣. سنن البيهقي

الكبرى/ كتاب الزكاة/ باب المحرمة تلبس الثوب من علو فيستر وجهها وتجاني عنه/ ج ٥/ ص ٤٨/ رقم ٨٨٣٣.

ثالثاً: - عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "لا تنتقب المحرمة ولا تلبس الققازين"^(١). وهذا مما يدل على أن لبس النقاب والققازين كان معروفاً في عهد النبي ﷺ وفي النساء غير المحرمات، وذلك يقتضي ستر وجوههن وأيديهن.

رابعاً: - حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك "قالت عائشة: وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فأدلج"^(٢) فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رأني، وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخرمت وجهي بجلبابي"^(٣).

خامساً: - عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: "كنا نغطي وجوهنا من الرجال وكنا نمتشط في ذلك الإحرام"^(٤).

سادساً: - أجابوا عن الحديث الذي رواه أبو داود عن عائشة رضي الله عنهما: أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رفاق فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال لها: "يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه"^(٥) بما يلي: -

١. الانتطاع بين عائشة وخالد بن دريك.

(١) البخاري/ أبواب الإحصار وجزاء الصيد/ باب الحجامة للمحرم / ج٢/ ص٦٥٣/ رقم ١٧٤١.

(٢) أدلج: يقال أدلج القوم أي ساروا في آخر الليل. انظر: إبراهيم أنيس/ المعجم الوسيط/ ص٢٩٢.

(٣) مسلم/ كتاب التوبة/ باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف/ ج٤/ ص٢١٢٩/ رقم ٢٧٧٠. البخاري/ كتاب التفسير/ باب لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون/ ج٤/ ١٧٧٤/ رقم (٤٤٧٣).

(٤) المستدرک على الصحيحين/ كتاب أول كتاب المناسك/ ج١/ ص٦٢٤/ رقم (١٦٦٨).

(٥) سند أبي داود/ كتاب الحمام/ باب فيما تبدي المرأة من زينتها/ ج٤/ ص٦٢/ رقم ٤١٠٤. سنن البيهقي الكبرى/ كتاب / باب من ذكر صلاة وهو في أخرى/ ج٢/ ص٢٢٦/ رقم ٣٠٣٣.

٢. في إسناده سعيد بن بشير النصري وتركه ابن مهدي وضعفه ابن معين وأحمد وابن المديني والنسائي، فالحديث ضعيف لا يقاوم الأحاديث الصحيحة الدالة على الوجوب.

٣. إن متن الحديث مخالف لما كانت عليه أسماء من التحفظ والصيانة إذ كانت تغطي وجهها في إحرامها مع أنه واجب عليها كشفه "كما جاء في الموطأ عن فاطمة بنت المنذر قالت كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات ونحن مع أسماء بنت أبي بكر الصديق فلا تتكره علينا".^(١)

٤. بفرض صحته فهو محتمل أن يكون قبل نزول الحجاب فنحمله عليه.

سابعاً: ردوا على من قال إنه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورها عادة وعبادة

في الصلاة والحج صلح أن يكون الاستثناء راجع إليهما.

يقول ابن تيمية "إذا كان الوجه ليس بعورة في الصلاة فهو عورة في باب النظر إذ لم يجز النظر إليه، فليست العورة في الصلاة مرتبطة بعورة النظر لا طرداً ولا عكساً"^(٢) ويقول أبو الأعلى المودودي "الفرق كبير جداً بين الحجاب وستر العورة فالعورة ما لا يجوز كشفه حتى للمحارم من الرجال وأما الحجاب فهو شيء فوق ستر العورة".^(٣)

ثامناً: أن أمر الحجاب عام بالنسبة لأمهات المؤمنين وغيرهن ولا نقول أنها خصوصية

لهن للقرائن الواردة في الآيات وهي:

١. قوله تعالى ﴿ذَلِكُمْ أَظْهَرَ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾^(٤) وهي الحكمة من تشريع الحجاب، فإذا كانت

طهارة قلوب أمهات المؤمنين ستحقق باحتجابهن عن جميع الرجال فإن طهارة قلوب نساء

المؤمنين لن تتحقق إلا بذلك.

(١) موطأ مالك/ كتاب الحج/ باب تخمير المحرم وجهه/ ج ١/ ٣٢٨/ رقم ٧١٨.

(٢) مصطفى، درويش مصطفى/ فصل الخطاب في مسألة الحجاب والنقاب/ ص ٦٣.

(٣) المودودي/ تفسير سورة النور/ ص ١٥٨.

(٤) سورة الأحزاب آية (٥٣).

٢. عموم الاستثناء من أمر الحجاب: فبعد أن بين الله حكم الحجاب في مواجهة الأجانب استثنى بعض المحارم فقال ﴿ لا جناح عليهن في آبائهن ... الآية ﴾^(١) وهو استثناء عام لأنه فرع من الأصل العام وهو الحجاب، وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم هذا الاستثناء على عمومته في الصحيح أن سبب نزول هذه الآية أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب أو نحن أيضاً نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله الآية.

٣. الأمر بتعميم الحجاب كما جاء في قوله ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ... الآية ﴾^(٢) فهذا التعميم في الخطاب إنما هو قطعاً للريب وإذهاباً للشك حتى لا يظن أحد أن الأمر قاصر على نساء النبي ﷺ وحدهن.

تاسعاً: الأمر بغض البصر في قوله تعالى ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ... ﴾^(٣) "لا يعني جواز كشف الوجه من المرأة، فالله يعلم أن الفاسقات كثيرات في كل زمان ومكان وسيعيش في المجتمع المسلم الإمام ونساء أهل الكتاب".^(٤) أما أدلة من قال بجواز كشف الوجه^(٥) فهي:-

أولاً: يفسرون الاستثناء الوارد في الآية الكريمة ﴿ إلا ما ظهر منها ﴾ بالوجه والكفين معتمدين رأي ابن عباس رضي الله عنه ومن قال بقوله من الصحابة والمفسرين مستدلين على ذلك بحديث أسماء رضي الله عنها حينما دخلت بثياب رفاق على رسول الله ﷺ، يقول الألباني فيه: وهو دليل واضح على جواز إظهار المرأة الوجه والكفين لولا أن فيه ما بيناه من التعليق

(١) سورة الأحزاب آية (٥٥).

(٢) سورة الأحزاب آية (٥٩).

(٣) سورة النور آية (٣٠).

(٤) حسن، درويش مصطفى حسن/ فصل الخطاب في مسألة الحجاب النقاب/ دار الاعتصام/ ص ٨٦.

(٥) الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي/ أحكام القرآن . تحقيق محمد الصادق قمحاوي/ دار إحياء التراث العربي/ ج ٥/ ص ١٧٢. القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ م ١٢/ ص ١٥٢.

(إنه مرسل لأن خالد بن دريك لم يدرك عائشة وسعيد بن بشير ضعيف كما في التقريب للحافظ ابن حجر) إلا أنه من الممكن أن يقال إنه يتقوى بكثرة طرقه وقد قواه البيهقي فعلاً ولا سيما قد جرى العمل عليه من النساء في عهد النبي ﷺ حيث كن يكشفن عن وجوههن وأيديهن بحضرة رسول ﷺ ولا ينكر عليهن ذلك.^(١)

ثانياً: استدلووا بمجموعة من الأحاديث التي تدل على كشف النساء وجوههن في حضرة رسول الله ﷺ ولم ينكر عليهن ذلك ومنها:

أ. حديث الخثعمية: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان الفضل رديف رسول الله ﷺ فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتتنظر إليه وجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر".^(٢)

ب. عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئت لأهبط لك نفسي فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر إليها وصوبه ثم طأطأ رأسه فلما رأت أنه لم يقض فيها شيئاً جلست".^(٣)

ج. في حديث جابر عن عبد الله قال: شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ثم قام فتوكأ على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال: تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم فقالت امرأة من سبطه النساء سفعاء الخديين^(٤) فقالت. لِمَ يا رسول الله؟ قال: لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير. قال: فجعلن يتصدقن من حُلِيهن يلقين في ثوب

(١) الألباني، محمد ناصر الدين/ حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة/ المكتب الإسلامي/ طه/ ١٣٨٩هـ/ بيروت/ ص ٢٤.

(٢) البخاري/ كتاب الحج/ باب وجوب الحج وفضله/ ج ٢/ ص ٥٥١/ رقم ١٤٤٢.

(٣) البخاري/ كتاب فضائل القرآن/ باب القراءة عن ظهر القلب/ ج ٤/ ص ١٩٢٠/ رقم ٤٧٤٢.

(٤) سفعاء الخديين: أي سوداء البشرة، وقيل صفرة مشوبة بسواد أو زرقة .. انظر النووي/ شرح مسلم/ ج ٢/ ص ٣٠٦.

بلال من أقراطهن وخواتمهن"^(١) فلو لم تكن المرأة كاشفة عن وجهها لما وصفها الراوي بأنها سفعاء الخدين .

د. روى الإمام مسلم أن سبيعة بنت الحارث كانت تحت سعد بن خولة وهو ممن شهد بدرأ وقد توفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تلبث أن وضعت حملها بعد وفاته وتعلت (خرجت) من نفاسها، تجملت للخطاب فدخل عليها (أبو السنابل بن بعكك) وقال لها ما لي أراك متجملة لعلك تريدين النكاح إنك والله ما أنت بناكحة حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشراً، قالت (سبيعة): فلما قال لي ذلك جمعت عليّ ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ وسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج إن بدا لي^(٢) وقد أخذوا من هذا الحديث: أن (سبيعة) ظهرت متجملة أمام (أبي السنابل) وهو ليس من محارمها، لذلك أنكر عليها وضع الكحل في عينيها وخضب يدها بالحناء مما يدل على أن الوجه ليس بعورة.

ثالثاً: - يستدلون بقوله تعالى ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ وَيَحْفَظُوا أَرْوَاحَهُمْ ... ﴾^(٣) فتشير الآية إلى أن في المرأة شيئاً مكشوفاً يمكن النظر إليه. فلذلك أمر بغض النظر عنهن وما ذلك غير الوجه والكفين.

رابعاً: - يرون أن تتقب النساء ولبسهن القفازين لا يفيد وجوب ستر الوجه، لأن ذلك كان من باب الورع والحيطه في الدين والحياء، وبذلك يفسرون حديث أسماء في ستر الوجه وحديث أم الخلال التي حضرت منتقبة لسؤال الرسول ﷺ.

(١) مسلم/كتاب صلاة العيدين/ ج ٢/ ص ٦٠٣/ رقم ٨٨٥.

(٢) البخاري/كتاب المغازي/باب فضل من شهد بدرأ/ ج ٤/ ص ١٤٦٦/ رقم ٣٧٧٠. مسلم/كتاب الطلاق/باب انقضاء عدة المتوفي منها زوجها وغيرها بوضع الحمل/ ج ٢/ ص ١١٢٢/ رقم ١٤٨٤.

(٣) سورة النور آية (٣٠).

خامساً: - يقولون في الأحاديث الواردة بشأن تتقب نساء النبي ﷺ كما في حديث عائشة رضي الله عنها "كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله ﷺ فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه"^(١) إنه من باب التقوى والحذر، وهو خصوصية من خصوصيات نساء النبي ﷺ.

سادساً: - استنتجوا من الآية الكريمة «وليضربن بخمرهن على جيوبهن»^(٢) عدم تغطية الوجه لأن الخمر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها^(٣) ولو كان المقصود الوجه لأمرت الآية بستره صراحة ولقالت: وليضربن بخمرهن على وجوههن ولما تركت الآية حمالة أوجه. وحينما وصفت السيدة عائشة المهاجرات المختمرات كأن على رؤوسهن الغربان كانت تشير إلى تغطية الرأس لا الوجه لأن الخمار صفيق لا يمكن وضعه على الوجه.

سابعاً: عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا أحكم أعجبت المرأة فوُتعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما في نفسه)^(٤) فهذا دليل على جواز كشف الوجه.

والخلاصة في هذه المسألة: أنها خلافية بين الفقهاء فالمرأة المؤمنة التي تريد أن تتبع أحكام الله ورسوله ولا ترضى الوقوع في الفتنة تحكم بنفسها بحسب أحوالها وحوائجها. إن الشارع لم يرد عنه في هذا الباب أحكام قاطعة صريحة. ولا من مقتضى الحكمة أن توضع فيه أحكام قاطعة

(١) أبو داود/ كتاب الحج/ باب في المحرمة تغطي وجهها/ ج ٢/ ص ١٦٧/ رقم ١٨٣٣. سنن البيهقي الكبرى/ كتاب الحج/ باب المحرمة تلبس الثوب من علو فيستر وجهها وتجا في عنه/ ج ٥/ ص ٤٨/ رقم ٨٨٣٣.
(٢) سورة النور آية (٣١).

(٣) د. أحمد مطلوب/ معجم الملابس في لسان العرب/ ص ٥٥. وانظر الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل/ معجم مفردات ألفاظ القرآن/ ضبط وتخريج إبراهيم شمس الدين/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ الطبعة الأولى/ ١٩٩٧م- ١٤١٨هـ/ ص ١٧٨. وانظر د. نبيل عبد السلام هارون/ المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم/ دار النشر للجامعات مصر/ ط ١/ ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م/ ص ٦٣.

(٤) مسلم/ كتاب النكاح/ باب نذب من رأى امرأة فوُتعت في نفسه إلى أن يأتي امرأته / ج ٢/ ص ١٠٢١/ رقم ١٤٠٣.

متصلبة نظراً لاختلاف الأحوال والحاجيات إذ تضطر المرأة إلى أن تكشف عن وجهها لبعض شؤونها كالعمل خارج بيتها ... وكل هذه الأمور لا يُفتي فيها بالأمر الحق إلا قلب المؤمن الصادق النية والإيمان.^(١)

الشرط الثاني للحجاب الشرعي: أن لا يكون الحجاب زينة في نفسه" لأن الغاية من فرضيته ستر الزينة فلا يمكن أن يؤدي الغرض إن كان زينة في نفسه، ولذلك قال الإمام الذهبي "ومن الأفعال التي تُلَعن عليها المرأة ... لبسها الصباغات والأزر الحريرية والأقبية القصار، مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام وتطويلها وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه ويمقت فاعله في الدنيا والآخرة، ولهذه الأفعال التي قد غلبت على أكثر النساء^(٢) قال عنهن النبي ﷺ: "اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء".^(٣)

وهذا مما نلاحظه في بعض لباس النساء من التطريز بالألوان الجذابة والقصات الغريبة التي تفصل أعضاء الجسم ويسمى بعد هذا كله جلباباً!!

ثالثاً: - أن يكون صفيقاً لا يشف: لأن الغرض من الجلباب كما ذكرنا الستر والتماش الشفاف لا يزيد المرأة إلا فتنة وهذا يُعد من العري لا من اللباس الساتر لقول الرسول ﷺ "سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت، العنوهن فإنهن ملعونات".^(٤)

وعن أم علقمة قالت: "رأيت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر دخلت على عائشة وعليها خمار رقيق يشف عن جبينها فشقته عائشة عليها وقالت: أما تعلمين ما أنزل الله في

(١) المودودي/ الحجاب/ ص ٢٩٩، باختصار.

(٢) الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان/ الكبائر/ مكتبة الرياض الحديثة/ ص ١٣٥.

(٣) صحيح البخاري/ كتاب الإيمان/ باب كفران المشير / ج ١/ ص ١٩/ رقم ٢٩.

(٤) صحيح مسلم/ كتاب الجنة/ باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء/ ج ٤/ ص ٢١٩٢/ رقم ٢٨٥٧.

سورة النور؟ ثم دعت بخمار فكستها..^(١) وفي هذا إشارة إلى أن اللباس الشفاف غير كافٍ بل قد يكون أظهر في الفتنة وهذا مخالف لحكمة مشروعية الحجاب.

رابعاً: - أن يكون فضفاضاً غير ضيق: حتى لا يصف شيئاً من جسمها لأن الغرض من الثوب إنما هو رفع الفتنة، ولا يحصل ذلك إلا بالفضفاض الواسع، وأما الضيق فإنه وإن ستر لون البشرة فإنه يصف حجم جسمها أو بعضه ويصوره في أعين الرجال وفي ذلك من الفساد والدعوة إليه ما لا يخفى، فوجب أن يكون واسعاً^(٢) وما نشاهده اليوم من لباس بعض المتحجبات بالاقصرار على البلوزة والتتورة لا يفي بالغرض لأن فيهما وصف لأعضاء الجسم - ودليل ذلك: ما قاله أسامة بن زيد رضي الله عنهما "كساني رسول الله ﷺ قبطية كثيفة مما أهداها له دحية الكلبي، فكسوتها امرأتي، فقال: مالك لم تلبس القبطية؟ قلت: كسوتها امرأتي، فقال: مرها فلتجعل تحتها غلالة، فأني أخاف أن تصف حجم عظامها".^(٣)

فقد أمره الرسول ﷺ أن تجعل امرأته تحت القبطية غلالة - وهي شعار يلبس تحت الثوب - ليمنع بها وصف بدنها. والأمر يفيد الوجوب.^(٤)

خامساً: أن لا يكون مبخراً أو معطراً: وسبب المنع واضح، وهو ما فيه من تحريك الشهوة والعواطف وكما قال فيه المودودي "الطيب رسول من نفس شريرة إلى نفس شريرة أخرى وهو من أطف وسائل المراسلة والمخابرة، مما تتهاون به النظم الأخلاقية، ولكن الحياء الإسلامي يبلغ من رقة الإحساس أن لا يحتمل حتى هذا العامل اللطيف من عوامل الإغراء فلا يسمح للمرأة المسلمة أن تمر بالطرق أو تغشى المجالس مستعطرة لأنها وإن استتر جمالها

(١) موطأ مالك/ كتاب اللباس/ باب ما يكره للنساء لبسه من الثياب/ ج٢/ ص٩١٣/ رقم ١٦٢٥.

(٢) الألباني/ حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة/ ص٥٩.

(٣) أحمد/ حديث أسامة بن زيد حب الرسول ﷺ /حديث حسن/ ج٥/ ص٢٠٥/ رقم ٢١٨٣٤. البيهقي الكبرى/ كتاب أصل

فرض الصلاة/ باب الترغيب في أن تكف ثيابها/ ج٢/ ص٢٣٤/ رقم ٣٠٧٩.

(٤) الألباني/ حجاب المرأة المسلمة/ ص٦٠.

وزينتها ينتشر عطرها في الجو ويحرك العواطف"^(١) والأحاديث التي تنهى المرأة من الخروج إلى الشوارع والمجالس فيجد الرجال منها رائحة العطر كثيرة ومنها:

١. عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: "أيا امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي كذا وكذا"^(٢).

٢. عن زينب التقيية أن النبي ﷺ قال: "إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تطيب تلك الليلة"^(٣).

٣. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "أيا امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة"^(٤).

٥٨٧٧٨٧

٤. عن أبي هريرة رضي الله عنه: "أن امرأة مرت به تعصف ريحها فقال: يا أمة الجبار، المسجد تريدان؟ قالت: نعم قال: وله تطيب؟ قالت: نعم، قال: فارجعي فاغتسلي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من امرأة تخرج إلى المسجد تعصف ريحها فيقبل الله منها صلاة حتى ترجع إلى بيتها فتغتسل"^(٥).

سادسا: أن لا يشبه لباسها لباس الرجال:

وقد ورد في هذا أحاديث كثيرة ففي الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: "لعن الله

المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء"^(١).

(١) المودودي/ الحجاب/ ص ٢٦١.

(٢) صحيح ابن خزيمة/ كتاب الامامة في الصلاة/ باب التغليظ في تعطر المرأة ثم الخروج/ ج ٣/ ص ٩١/ رقم ١٦٨١. ابن حبان/ كتاب الحدود/ باب الزنا وحده/ ج ١٠/ ص ٢٧٠/ رقم ٤٤٢٤.

(٣) مسلم/ كتاب الصلاة/ باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة وأنها لا تخرج مطيبة/ ج ١/ ص ٣٢٨/ رقم ٤٤٢.

(٤) صحيح مسلم/ كتاب الصلاة/ باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة وأنها لا تخرج مطيبة/ ج ١/ ص ٣٢٨/ رقم ٤٤٤.

(٥) سنن البيهقي الكبرى/ كتاب الصلاة/ باب ما يكره للنساء من الطيب ثم الخروج/ ج ٣/ ص ٢٤٥/ رقم ٥٧٦٧.

(٦) سنن الترمذي/ كتاب الأئمة/ باب ما جاء في المتشبهات بالرجال من النساء/ ج ٥/ ص ١٠٥/ رقم ٢٧٨٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة،
والمرأة تلبس لبسة الرجل".^(١)

وعن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليس منا من تشبه بالرجال
من النساء، ولا من تشبه بالنساء من الرجال".^(٢)

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه،
والديوث"^(٣) ورجلة النساء"^(٤) وقد أورد الإمام الذهبي أن تشبه المرأة بالرجال وتشبه الرجال
بالنساء من الكبائر مستنداً بما سبق من الأحاديث وعقب قائلاً " فإذا لبست المرأة زي الرجال من
المقالب والفرج"^(٥) والأكمام الضيقة فقد شابحت الرجال في لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ﷺ
ولزوجها إذا أمكنها من ذلك أو رضي به ولم ينهها، لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيتها
عن المعصية".^(٦)

سابعاً: أن لا يشبه لباس الكافرات، أو لباس الراهبات من أهل الكتاب: نهى الإسلام
عن موافقة ومشابهة اليهود والنصارى والكنار حتى لا يورث ذلك محبتهم وائتلاف قلوبنا
بقلوبهم، كما أن في موافقتهم دليلاً على المفسدة واتباع الهوى. ومخالفتهم دليلاً على المصلحة.

(١) صحيح ابن حبان/ كتاب الأئمة/ ذكر رسول الله ﷺ المتشبهين والمتشبهات/ ج١٣/ ص٦٣/ رقم ٥٧٥٢.

(٢) مسند أحمد/ مسند الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص/ ج٢/ ص١٩٩/ رقم ٦٨٧٥.

(٣) الديوث: الرجل الذي يقر الخنا والفجور والفسق في أهل بيته.

(٤) الحاكم/ كتاب الإيمان/ ج١/ ص١٤٤/ رقم ٢٤٤.

(٥) الفرج: الفرجية: ثوب واسع طويل الأكمام يتزيا به علماء الدين. انظر إبراهيم أنيس/ المعجم الوسيط/ ص٦٧٩.

(٦) للذهبي/ الكبائر/ ص١٣٤.

وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة توضح ما يدل على أصل هذه القاعدة.
قال تعالى ﴿ وَكَانَ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ
وَكَلِّبْنَا أَهْوَاءَهُمْ بِغَدِ الْأَذَىٰ جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾^(١)

فانظر كيف قال الخبر (ملتهم) وفي النهي (أهواءهم)، لأن القوم لا يرضون إلا باتباع
الملة مطلقاً. والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير.

فمخالفتهم في عامة أمورهم أصلح لنا، كما دلت عليه الكثير من الآيات القرآنية، وإن
كان المقصود: أن مخالفتهم واجبة علينا.

وقد قال غير واحد من السلف: أن الله تعالى قطع على اليهود حجتهم فحول القبلة
مخالفة لهم حتى لا يقولوا. قد وافقوا في قبلتنا، فيوشك أن يوافقونا في ديننا. فكان هذا التحويل
أقطع لما يطمعون فيه من الباطل.

وقد قال الله تعالى لنبيه ﴿ لَسْنَا مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾^(٢) وذلك يقتضي تبرؤهم منهم في جميع
الأشياء، ومن تابع غيره في بعض أمورهم فهو منه في ذلك الأمر، وإذا كان الله تعالى قد برأ
رسوله ﷺ من جميع أمورهم، فمن كان متبعاً للرسول ﷺ حقيقة كان متبرئاً منهم كتبرئته ﷺ
منهم. ومن كان موافقاً لهم كان مخالفاً للرسول ﷺ بقدر موافقته لهم.

فمخالفة الكفار واليهود والنصارى أمر مقصود للشارع واضح في النصوص وفي
جميع المجالات^(٣) ومن ذلك: -

(١) سورة البقرة آية (١٢٠).

(٢) سورة الأنعام آية (١٥٩).

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم/ اقتضاء الصراط المستقیم مخالفة أصحاب الجحیم/ تحقيق: صلاح عويضة/ مكتبة

الإيمان - المنصورة/ ط١/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م/ ص ١٤-٢٦.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (غَيَّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تُشَبِّهُوا
بِالْيَهُودِ).^(١)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (خَالَفُوا الْمُشْرِكِينَ: أَحْفُوا
الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللَّحَى).^(٢)

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (فَصَلْ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا
وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَكَلِ السُّحْرَ)^(٣) وهذا يدل على أنه الفصل بين العبادتين أمر مقصود
للشارع.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (اللِّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لغيرِنَا).^(٤)
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: (صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ
وخالَفُوا فِيهِ الْيَهُودَ وَصُومُوا يَوْمًا قَبْلَهُ وَيَوْمًا بَعْدَهُ).^(٥)

فلما قيل للرسول ﷺ إنه يوم (تعظمه اليهود والنصارى) أمر بمخالفتهم بضم يوم آخر
إليه وعزم على فعل ذلك.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: رأى النبي ﷺ عليّ ثوبين
معصفرين فقال "أمك أمرتك بهذا؟" قلت: "أغسلهما؟" قال: "بل احرقهما" وفي رواية فقال: "إن هذا
من ثياب الكفار فلا تلبسهما".^(٦)

(١) سنن الترمذي/ كتاب اللباس/ باب ما جاء في الخضاب/ ج٤/ ص٢٣٢/ رقم ١٧٥٢.

(٢) مسند أبي عوانه/ رقم (٢)/ ج١/ ص١٨٩.

(٣) صحيح مسلم/ كتاب الصيام/ باب فضل السحور وتأكيد استحبابه/ ج٢/ ص٧٧٠/ رقم ١٠٩٦.

(٤) سنن ابن ماجه/ كتاب الجنائز/ باب ما جاء في استحباب اللحد/ ج١/ ص٤٩٦/ رقم ١٥٥٤.

(٥) مسند أحمد/ ج١/ ص٢٤١/ رقم ٢١٥٤.

(٦) رواه مسلم/ كتاب اللباس ولزينة/ باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر/ ج٣/ ص١٦٤٧/ رقم ٢٠٧٧.

وعن علي رضي الله عنه مرفوعاً: "إياكم ولبوس الرهبان، فإنه من تزيا بهم أو تشبه بهم فليس مني".^(١)

ثامناً: أن لا يكون ثوب شهرة: فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ " من لبس ثوب شهرة في الدنيا ،ألْبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألْهب فيه ناراً " ^(٢) وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: (من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه). ^(٣) والشهرة: ظهور الشيء، والمراد أن ثوبه يشتهر بين الناس لمخالفة لونه لألوان ثيابهم، فيرفع الناس إليه أبصارهم، ويختال عليهم بالعجب والتكبر، والحديث يدل على تحريم ثوب الشهرة. فلا بد أن يجمع الحجاب هذه الشروط السابقة حتى يؤدي الغرض المطلوب من سد باب الفتنة وصون عرض المرأة والنور بروضان المولى عز وجل.

(١) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد/ المعجم الأوسط/ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني/ دار الحرمين - القاهرة / ١٤١٥هـ - ج٤/ ص١٧٨/ رقم ٣٩٠٩.

(٢) أبو داود/ كتاب الحمام/ باب في لبس الشهرة / ج٤/ ص٤٣/ رقم ٤٠٢٩. ابن ماجة/ كتاب اللباس/ باب من لبس شهرة من الثياب/ ج٢/ ص١١٩٣/ رقم ٣٦٠٨.

(٣) ابن ماجة/ كتاب اللباس/ باب من لبس شهرة من الثياب/ ج٢/ ص١١٩٣/ رقم ٣٦٠٨.

المبحث السادس: تحريم الخلوة وسفر المرأة

بغير محرم ومصافحة الأجنبية والاختلاط

المطلب الأول: تحريم الخلوة: -

حرم الإسلام الخلوة بين المرأة والرجل الأجنبي سداً لذريعة الفساد، وعدّ هذا التحريم من جملة الآداب والتشريعات الوقائية التي تسهم في طهارة المجتمع وحفاظاً على المرأة لتبقى بعيدة عن مظنة التهم ومزالق الشيطان وصوناً للأعراض من أن تهتك وتُسَبَّح.

قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾^(١) "وفي هذا أدب جم لكل مؤمن وتحذير له من أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له والمكالمة من دون حجاب لمن تحرم عليه".^(٢)

ومعنى قوله تعالى ﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ أي من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء وللنساء في أمر الرجال، أي ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية، وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له. فإن مجانية ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته"^(٣). عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ: "ما خلا رجل بامرأة غير ذات رحم محرّم إلا كان الشيطان ثالثهما"^(٤) " وكما هو معلوم فإن الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز وأعنفها، وما من شك في أن اجتماع الرجل والمرأة في مكان

(١) سورة الأحزاب آية (٥٣).

(٢) الشوكاني/ فتح القدير/ م٤/ ص٢٩٨.

(٣) القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج١٤/ ص١٤٦.

(٤) مسند أحمد/ مسند أبو بكر الصديق/ ج١/ ص١٨/ رقم ١١٤. صحيح ابن حبان /كتاب الأئمة/ ذكر الأخبار عما يجب على المرء من لزوم ما عليه جماعة المسلمين/ ج١٠/ ص٤٣/ رقم ٤٥٧٦.

خالٍ من شأنه أن يثير النفس ويدعو إلى ارتكاب الإثم"^(١) وخاصة في مجلس يحضره الشيطان قائد الإثم والفجور والداعي إليهما. إذ أن الإسلام لما حرم الخلوة بغير المحارم لا يعني فقدانه الثقة بالرجل أو المرأة ولكنه تحصين لهما من وساوس السوء وهواجس الشر التي من شأنها أن تتحرك في صدرهما " وهذا المنع مؤسس على ما في طبيعة البشر من احتمال الاستجابة عند إحياء الخلوة بالانفراد والبعد عن الرقباء مما يجعل النفس تتلهف لتذوق الممنوع، وليس مؤسساً هذا المنع على سوء الظن بخلقهما"^(٢).

إن الإسلام لما منع الجريمة منع كل الأسباب المؤدية إليها والخلوة من أبرز الأسباب التي قد تؤدي إلى المحذور أو تمهد له " فمن فرط في الأسباب وقع في الجريمة ومن حام حول الحمى أوشك أن يرتع فيه"^(٣) والخلوة أساس البلاء ومصدر الشقاء ومادة الحياة للشبهات والقييل والقال، لقد نصح عمر بن عبد العزيز ميمون بن مهران فقال له: يا ميمون ، لا تخلون بامرأة لا تحل لك وإن أقرأتها القرآن"^(٤).

فكم من الفواحش كان سببها الخلوة المحرمة فهتك بسببها العرض وتهدمت كيان الأسر فعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله ﷺ: "اياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمى؟ قال: الحمى الموت"^(٥).

(١) سيد سابق/ إسلامنا/ ص ٢٣٣.

(٢) صلاح عبد الغني/ وسائل الإسلام في المحافظة على كرامة المرأة/ مكتبة الدار العربية/ ج ٤/ ص ٥٦٥.

(٣) أبو يحيى، محمد حسن/ أهم قضايا المرأة المسلمة/ ط ١/ ١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ/ ص ١٩٣.

(٤) خالد سيد علي/ المحرمات على النساء/ الإمامة للطباعة والنشر/ دمشق بيروت/ ط ١/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م/ ص ٢٢٥.

(٥) البخاري/ كتاب النكاح/ باب لا يخلو رجل بامرأة إلا ذو محرم/ م ٥/ ص ٢٠٠٥ / ٤٩٣٤. مسلم/ كتاب السلام/ باب

تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها/ م ٤/ ص ١٧١١/ رقم ٢١٧٢.

عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: " لا تلجوا على الفتيات اللاتي يكون أزواجهن غائبين عنهن، فإن الشيطان يجري في أحدكم مجرى الدم".^(١) وقال "ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب إلا أن يكون ناكحاً أو ذا محرم".^(٢) فالتحذير من الخلوة عام لكل الرجال غير المحارم على النساء وخاص لأحماء المرأة أي "أقارب زوجها" كأخيه وابن عمه "... لما يحدث عادة من تساهل في ذلك بين الأقارب من تبادل الحديث والمزاح والدخول بأي وقت إلى بيت القريب من غير تكبر قد يجر إلى عواقب وخيمة".^(٣) "فالخوف من القريب أكثر من غيره والشر يتوقع منه والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة من غير تكبر بخلاف الأجنبي ، ولذا قال القاضي عياض في معنى الحديث: الخلوة بالأحماء مؤدية إلى الهلاك فجعل كهلاك الموت فورد الكلام مورد التغليظ".^(٤) وهذا الهلاك يُفسر على وجوه عدة: فقد يكون هلاك الدين إذا وقعت المعصية، أو هلاك المرأة بفراق زوجها إذا حملته الغيرة على تطليقها أو هلاك الروابط الاجتماعية إذا ساء ظن الأقارب بعضهم ببعض، وليس مثار هذا الخطر هو الغريزة الجنسية فحسب بل الخوف على أسرار الزوجين من أن تثار فتلوها السنة الثرثارين والفضوليين- ويقول ابن الأثير: خلوة الحمو مع الزوجة أشد من خلوة غيره من الغرباء فربما حملها على أمور تتقل على الزوج من التماس ما ليس في وسعه أو سوء عشرة أو غير ذلك".^(٥)

(١) الترمذي/ كتاب الرضاع/ باب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات/ ج٣/ ص٤٧٥/ رقم ١١٧٢. سنن أبي داود/ كتاب الديات/ باب في ذراري المشركين/ ج٤/ ص٢٣٠/ رقم ٤٧١٩.

(٢) مسلم/ كتاب السلام/ باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها/ ج٤/ ص١٧١٠/ رقم ٢١٧١. سنن البيهقي الكبرى/ باب الرجل يخلو بذات محرمة يسافر بها/ ج٧/ ص٩٨/ رقم ١٣٣٣٩.

(٣) القرضاوي، يوسف/ الحلال والحرام في الإسلام/ المكتب الإسلامي/ ط٥/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م/ ص١٤٣.

(٤) الخن، مصطفى سعيد وآخرون/ نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، للإمام أبي زكريا محي الدين يحيى النووي/ مؤسسة الرسالة/ ط٧/ ١٤٠٥ - ١٩٨٥م/ ص٢/ ١١٢٠.

(٥) عبد الغني، صلاح عبد الغني/ وسائل الإسلام/ ص٥٧ بتصرف قليل.

ومن الخلوة المتساهل بشأنها الخلوة بالطبيب أو بالمدرس الخصوصي بحجة أن مثل هذه الفئة المتعلمة لا يمكن أن يحصل منها المحذور، وكما هو معلوم فالعلم لا يقضي على غرائز الفطرة "ولا يقال إن الثقافة عاصمة من الوقوع في الخطيئة لأن المسألة مسألة ضعف النفس وما فيها من شهوات وقابليات للاستجابة لغواية الشيطان والمتف والمثقف كالجاهل والجاهلة في هذه المسائل والواقع شاهد على صحة ما نقول، وأيضاً فإن الثقافة لا تقلع الشهوة ولا تستأصلها ولا تضعفها إنما الذي يهذبها ولا يستأصلها تقوى الله والخشية منه وعماراة القلب بالإيمان".^(١) إذ يوفق الله المؤمن ويعصمه من أن تغلب الشهوة عقله وسياج إيمانه.

فليس لأحد أن يعزز من مكانة نفسه ورباطة جأشة وقدرته على الاستعلاء، فمهما بلغنا من التقوى لن نصل إلى درجة أصحاب رسول الله ﷺ الذي كان يوجههم بهذه التشريعات قائلاً "لا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما".^(٢)

وعن عمرو بن العاص قال: نهانا رسول الله ﷺ أن ندخل على النساء بغير إذن أزواجهن".^(٣) وعن أبي سعيد الخدري قال قال ﷺ: "لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبه إلاّ ومعه رجل أو اثنان".^(٤)

(١) زيدان، عبد الكريم/ أصول الدعوة/ ص ١٢٩ بتصرف.

(٢) مسند أحمد/ مسند أبو بكر الصديق رضي الله عنه/ ج ١/ ص ١٨/ رقم ١١٤. صحيح ابن حبان/ كتاب الأئمة/ ذكر الأخبار عما يجب على المرء من لزوم ما عليه جماعة المسلمين/ ج ١٠/ ص ٤٣/ رقم ٤٥٧٦.

(٣) سنن الترمذي/ كتاب الأئمة عن رسول الله ﷺ/ باب ما جاء في النهي عن الدخول على النساء إلا بإذن الأزواج/ ج ٥/ ص ١٠٢/ رقم ٢٧٧٩. وقال حديث حسن صحيح، سنن البيهقي الكبرى/ كتاب قسم الصدقات/ باب لا يخلو رجل بامرأة أجنبية/ ج ٧/ ص ٩٠/ رقم ١٢٣٢٩٨.

(٤) صحيح مسلم/ كتاب السلام/ باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها/ ج ٤/ ص ١٧١/ رقم ٢١٧٣. سنن البيهقي الكبرى/ باب تحريم النظر إلى الأجنبية/ ج ٧/ ص ٩٠/ رقم ١٣٢٩٧، مسند أحمد/ مسند عبد الله بن عمر/ ج ٢/ ص ١٧١/ رقم ٦٥٩٥.

هذه الأحاديث تخاطب أصحاب رسول الله ﷺ في عصر هو خير العصور فكيف بعصرنا هذا وكيف بمن عشعش الشيطان في قلبه، إن هذا النهي الحازم في شأن الخلوة لأن طبيعة الرجل إذا التقت مع طبيعة المرأة غير المحرمة، كان منهما ما يكون بين كل رجل وامرأة أجنبية من الميل والأنس والاستراحة إلى الحديث والكلام".^(١) ومن هنا تتجلي لنا روعة الإسلام في حكمه التشريعية إذ يغلق كل باب يوصل إلى الفتنة والشبهة ويجعل العيش في مجتمعه طريقاً إلى العفاف والطهارة، يحقق سعادة أفرادهِ دونما خدش للعرض أو تلم لطهارة وعفة المشاعر. ولمثل هذه الحكمة التي نهى الإسلام من أجلها عن الخلوة، فقد نهى أن تسافر امرأة وحدها أو مع رجل غير ذي محرم كما ونهى عن الاختلاط الخارج عن قيود الشرع وحدود الأدب والذي لا غرض ولا فائدة منه ونهى عن مصافحة الرجال للنساء، ونهى عن خروج المرأة متعطرة إلى الشوارع والمجالس التي قد تصادف فيها الرجال.

المطلب الثاني: سفر المرأة بغير محرم.

لما كان السفر مظنة لتعريض المرأة للمخاطر وعبث من ذهب حياؤهم ومروءتهم، فقد حرم الإسلام سفر المرأة وحدها بغير محرم - ففي الحديث الشريف عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال "لا يخلون أحدكم بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، فقال الرسول ﷺ "انطلق فحج مع امرأتك".^(٢) فهذا هو الرسول ﷺ يقدم ذهاب الرجل مع

(١) عبد الرحيم صالح عبد الله/ عوامل الاتحراف الجنسي ومنهج الإسلام في الوقاية منها وعلاجها/ دار النفائس / الأردن- عمان/ ص ١٢٥ باختصار.

(٢) البخاري/ كتاب النكاح/ باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والنخول على المغيبة/ ج ٥/ ص ٢٠٠٥ / ٤٩٣٤. مسلم/ كتاب الحج/ باب فرض الحج مرة في العمر/ ج ٢/ ص ٩٧٨/ رقم ١٣٤١.

امراته لصون عرضها وحمايتها على الجهاد في سبيل الله تعالى.^(١) "إن تعطيل رجل عن الجهاد ليصبح امرأته في حجبها أمر له دلالاته العميقة والقاعدة الشرعية "درء المفاسد أولى من جلب المصالح". وانطلاق امرأة على ناقتها تطوي الطريق بالليل والنهار وحدها مظنة تهجم السفلة وقطاع الطريق عليها، ولم تخل الدنيا قديماً ولا حديثاً من أولئك الأوباش الذين يستضعفون النساء وينتهزون فرصة لاغتصابهن".^(٢)

المطلب الثالث: النهي عن مصافحة غير المحارم من النساء.

إن هذا النهي هو أحد الأسباب الوقائية التي يدرأ بها الإسلام الفتنة ويغلق الأبواب في وجه الرذيلة، لأن غرضه الأسمى من هذه التشريعات هو تحصين المرأة وصون عرضها من كل نظرة أو لمسة أو لفظة مغرضة، ولذا جاء في الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا بايع النساء بايعهن كلاماً. ولا يأخذ أيديهن في يده، فقالت " لا والله ما مست كف رسول الله كف امرأة قط في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله. قد بايعتك على ذلك"^(٣). فالملامسة بين الرجل والمرأة لا تجوز إلا لعذر وحاجة قصوى كاللمس من أجل العلاج وإذا نظرنا في أحوال مجتمعاتنا اليوم فلا ترى فيه إلا عادات الفرنجة من مصافحة النساء بل وتقبيلهن عند بعضهم دون أدنى حرج، وإن ذكرت لأحدهم حكم الشرع في ذلك تعذر بأعدار واهية كقوله أولست ثقة حتى يخشى من مصافحتي، أو أن في ذلك إحراج لمن رفضت

(١) وهذا لما يكون الجهاد فرض كفاية - بينما إذا صار الجهاد فرض عين قُمن على كل العبادات.

(٢) محمد الغزالي/ قضايا المرأة/ ص ١٦٠.

(٣) صحيح مسلم/ كتاب الإمارة/ باب كيفية بيعة النساء/ ج ٣/ ص ١٤٨٩/ رقم ١٨٦٦. صحيح ابن حبان/ كتاب الزينة والتطبيب/ ذكر البيان بأن المرء ممنوع عن مس امرأة لا يكون لها محرماً/ ج ١٢/ ص ٣٩٣/ رقم ٥٥٨١.

مصافحتها ... الخ ويغيب عن بال مثل هؤلاء أن قدوتنا في الفضائل والأخلاق رسول الله ﷺ ومع ذلك كان لا يصافح النساء.

المطلب الرابع: النهي عن الاختلاط:

كلمة الاختلاط لفظة معاصرة وتعني اللقاء بين الرجال والنساء واجتماعهم، وهو محرم إلا إذا كان اللقاء بين الرجال والنساء له أسبابه ودواعيه مع التزام الضوابط الشرعية من الحشمة وغيض البصر وعدم التماس وعدم الخلوة وتقديم صفوف الرجال على صفوف النساء كما هو الاجتماع في المساجد، وحلقات العلم والسعي والطواف كما هو المعهود في زمن رسول الله ﷺ فلا حرج فيه إن شاء الله تعالى ودليل تحريم الإختلاط من الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾^(١). "فلا يقل أحد غير ما قال الله، ولا يقل أحد إن الاختلاط، وإزالة الحجب، والترخص في الحديث واللقاء والجلوس والمشاركة بين الجنسين أطهر للقلوب وأعف للضمائر وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة لا يقل أحد شيئاً من هذا والله يقول ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾" يقوله عن نساء النبي الطاهرات وأمهات المؤمنين وعن رجال الصدر الأول من صحابة رسول الله ﷺ - ممن لا تتناول إليهن وإليهم الأعناق والواقع العملي الملموس يهتف بصدق الله تعالى، وكذب المدعين لغير ما يقوله الله".^(٢)

وعن أبي أسيد الأنصاري أنه سمع النبي ﷺ يقول وهو خارج المسجد وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق، يقول للنساء "استأخرن، فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق - أي

(١) سورة الأحزاب آية ٥٣.

(٢) قطب، سيد قطب/ في ظلال القرآن/ ٥م/ ج ٢٢/ ص ٢٨٧٨ باختصار.

تركبن حثها وهو وسطها - عليكن بحافات الطريق"^(١) قال راوي الحديث: - (فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به). وعن أسامة بن زيد قال قال الرسول ﷺ " ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء."^(٢) إذ أن اطلاق الأمر في اختلاط وتجاوز الرجال مع النساء لا يخلو من أحد أمرين:

أولهما: إما أن يؤدي إلى إثارة الشهوة بين الجنسين فيتحول الاتصال إلى فوضى لا ضابط لها، وخاصة إذا كانت عوامل الإثارة قوية كالنظرة المثيرة والبسمة الجذابة والثوب المجسم الشفاف عدا ما تسببه هذه الفوضى من شيوع الأحقاد والضغائن بين الآباء الذين أودوا في بناتهم ومن آذاهم، وشيوع الأمراض وفساد المجتمع واضطرابه... الخ.

ثانيهما: أن يؤدي الاختلاط الدائم بين الرجال والنساء إلى إضعاف الشهوة فيجد كل من الذكور والإناث لذتهم بالحديث والنظر، وهذا ما يسمى "بالبرود الجنسي" وهو داء يسعى المصابون به إلى الأطباء يلتمسون عندهم البرء والشفاء ويترتب على هذا أمران خطيران هما: ضعف النسل. وانتشار الشذوذ الجنسي واستفحال دائه.^(٣)

- إن من الأمور الثابتة بالتجربة والتي لا اختلاف فيها أن " كل ما ينجم من جرائم معاصرة إنما هو نتيجة للاختلاط الذي يبدد الطاقات ويهدم القيم الإنسانية، إذ كيف يمكن أن نلقي إنساناً وسط الأمواج المتلاطمة ونطلب منه أن يحافظ على ثيابه من البلل، ثم كيف يمكن أن نلقي بالشباب والشابات وسط بحار الجنس المتلاطمة، ونطلب من الشباب ألا يقع في الزنا

(١) سنن أبي داود/ كتاب النيات/ باب في مشي الناس مع الرجال في الطريق/ ج٤/ ص٣٦٩/ رقم ٥٢٧٢.

(٢) البخاري/ كتاب النكاح/ باب ما يتقى من شؤم المرأة وقوله تعالى "إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم/ ج٥/ ص١٩٥٩/ رقم ٤٨٠٨. مسلم/ كتاب الذكر والدعاء والتوبة/ باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء. وبيان الفتنة بالنساء/ ج٤/ ٢٠٩٧/ رقم ٢٧٤٠.

(٣) محمد محمد حسين/ حصوننا مهددة من داخلها/ مؤسسة الرسالة/ ط٧/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م/ ص٦٩ - ٧٢.

أو يتمرغ في أوحال الرذيلة؟! (١) . فكل ما نعانيه اليوم من العلاقات المغرضة بين الرجل والمرأة ورائه التوجيه الغربي الماكر الذي يريد أن يدمر "الأميين" إنه توجيه ماركس وفرويد ودراكيم ينادون بأن الأخلاق قيد لا معنى له، والجنس هو الوجود البشري والاختلاط هو السبيل". (٢) وما أكثر المجالس المختلطة التي تسبب عنها هدم الحياة الأسرية، ترى الرجال يخالطون فيها النساء وهن متبرجات يتبادلون الحديث الهابط والنكت اللاذعة وهناك تحصل المقارنة بين الأزواج والزوجات وبعد فض الجلسة تبدأ المواجهة والمحاسبة بين الأزواج والزوجات مما يبذل المودة والمحبة إلى تنافر وبغضاء بل قد يؤدي إلى تفكك الروابط الأسرية مطلقاً. ولذلك نهى الإسلام عن الاختلاط حتى أنه "لم يفرض على المرأة صلاة الجمعة والجماعة ولا يستحب لها اتباع الجنائز، وإن حضرت الصلاة فعليها أن تقف في الصف الأخير خلف الرجال". (٣) فعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: "خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها" (٤) . وكان النبي ﷺ إذا فرغ من خطبة الرجال يأتي النساء فيذكرهن". (٥) وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن النساء في عهد رسول الله ﷺ كن إذا سلمن من المكتوبة "يعني الفريضة" قمن وثبت رسول الله ﷺ ومن صَلَّى من الرجال ما شاء الله، فإذا قام رسول الله ﷺ قام الرجال" (٦).

(١) الهلاوي، محمد عبد العزيز/ ولا تقربوا الزنا/ مكتبة القرآن للطبع والنشر/ ص ٢٣-٣٤ .

(٢) قطب، محمد /جاهلية قرن العشرين/ مكتبة وهبة/ ص ١٢٣.

(٣) زيدان ، عبد الكريم/ أصول الدعوة/ ص ١٢٩.

(٤) مسلم/ كتاب الصلاة/ باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها/ ج ١/ ص ٣٢٦/ رقم ٤٤٠ . ابن خزيمة/

كتاب الإمامة في الصلاة/ باب ذكر خير صفوف الرجال/ ج ٣/ ص ٢٧/ رقم ١٥٦١.

(٥) البخاري/ كتاب صفة الصلاة/ باب متى يجب عليهم الغسل والطهور/ ج ١/ ص ٢٩٥/ رقم ٨٢٥.

(٦) البخاري/ كتاب صفة الصلاة/ باب انتظار الناس قيام الإمام العالم/ ج ١/ ص ٢٩٥/ رقم ٨٢٨.

وذلك كي ينصرف النساء قبل أن يدركن أحداً من الرجال. إن الذين يدعون إلى الاختلاط ويزينون صورته المحرمة ويزعمون بأنها التقدمية والحضارة إنما هم الأعداء الغزاة إذ "عرفوا من التجربة المتكررة أن اختلاط الجنسين في مختلف مجالات الحياة من أسباب انهيار المجتمعات وانحرافها عن فضائل السلوك، ومتى انهارت المجتمعات فقدت أفعال قوتها الحقيقية التي تمكنها من الصمود أمام جيوش الغزاة والارتقاء إلى قمم المجد".^(١)

إن في تحريم الاختلاط المريب بين الرجال والنساء كل الفائدة لسلامة الأسر والأفراد والمجتمعات، ولا ندرك جُل هذه الفائدة إلا إذا استقصينا أضرار الاختلاط حيث إنها تحتاج إلى مجلدات ولكنني سأذكر بعض هذه الأضرار: -

١. فساد الأسرة لاستغناء كل من الزوجين عن الآخر بغيره ممن يخالطهم وانعدام الثقة بينهما.
٢. انتشار العادات السيئة كالزنا واللواط والسحاق بسبب التهيح الشهواني الناجم عن المشاهدة والمخالطة بين الجنسين.
٣. القضاء على النسل البشري والنوع الإنساني: فالمجتمع المختلط المتهتك مجتمع قاسٍ على المواليد والأطفال لأنهم نتاج علاقة أئمة مشبوهة لا رغبة فيهم من قبل الأم لأنها فاقدة للحنان وعطف الأمومة، ولا من قبل الأب لأنه محروم الثقة بأن هذا ولده يستحق منه النفقة والتربية. وإن كانوا نتاج علاقة زوجية فكذلك الأمر: الأم مشغولة بالسهرات والخروج والعمل والأب كذلك.^(٢) ومثل ذلك يوصل إلى شقاء الحياة وكثرة عذاباتهما بين الأزواج.

(١) حينكه الميداني، عبد الرحمن حسن/ من سلسلة أعداء الإسلام(٣)/ دار القيم - بيروت / ص٣٥٧.

(٢) رمزون، عبد الباقي/ خطر التبرج والاختلاط/ مؤسسة الرسالة/ ط١/ ١٩٧٤م/ ص٧٤-٩٣ .

المبحث السابع: النهي عن الخضوع بالقول

إن من سمات الأنوثة رقة الصوت ورخامة المنطق، ومن ثم فقد تكون الفتنة بالكلام أشد وأقوى من الفتنة بالنظر، ولذلك فإن الإسلام نهى عن الخضوع بالقول وجعل ذلك من جملة التدابير الوقائية التي تحوّل دون ذهاب العفاف وضياع الفضيلة فقال جل شأنه في معرض خطابه لنساء النبي ﷺ وهن القدوة والأسوة لنساء المؤمنين: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً﴾.^(١)

فإذا كان هذا الخطاب لنساء النبي ﷺ وهن أظهر النساء وفي عصر الرسول ﷺ وهو خير العصور تنهاهن عند مخاطبة غير المحارم أن يكون في نبرات صوتهن ذلك الخضوع وهو اللين والرقة التي تثير شهوات الرجال، فكيف بنا نحن اليوم أليس من المفترض أن نأخذ بهذه التوجيهات لحماية أنفسنا من الشر الوبيل الذي يجلبه التحلل من شرائع الدين.

"إن الله يجعل هذه الأوامر والتوجيهات وسيلة لإذهاب الرجس وتطهير البيوت، وإذهاب الرجس يتم بوسائل يأخذ الناس بها أنفسهم ويحققونها في واقع الحياة العملي وهذا هو الإسلام شعور وتقوى في الضمير وسلوك وعمل في الحياة".^(٢) إن الله الذي خلق الرجال والنساء يعلم أن في صوت المرأة حين تخضع بالقول وتترقق باللفظ ما يثير الطمع في بعض قلوب ويهيج الفتنة في بعضها الآخر، وأن القلوب المريضة التي تطمع وتثار موجودة في كل عهد وفي كل بيئة فلا طهارة من الدنس والرجس إلا بالقضاء على الأسباب المثيرة من الأساس،

(١) سورة الأحزاب آية ٣٢.

(٢) الطيبي/ المرأة في ظلال القرآن/ ص ٤٧.

وفي هذا العصر نجد نساءً يتخننن في نبراتهن ويتميعن في أصواتهن ويجمعن كل فتنة الأنثى وكل هتاف الجنس ثم يطلقته في نبرات ونغمات!؟^(١) "إن اللسان وكيل آخر لشيطان النفس وما أكثر الفتن التي يبعثها اللسان وينشرها، رجل وامرأة يتكلمان لا يبدو في حديثهما ما يريب ولكن خائنة القلوب جعلت الصوت رخيماً والحديث عذياً واللهاجة مشوقة".^(٢)

أما القول المعروف الذي أمرت به النساء عند الحاجة إلى الكلام مع الرجال فهو "القول الحسن المعروف، وما كان في خير، ليس فيه لين ولا ترخيم أي لا تخاطب الأجانب كما تخاطب زوجها".^(٣) كما ينبغي أن يكون موضوع الحديث في أمور معروفة غير منكرة فلا ينبغي أن يكون فيه إيماء أو هزل أو دعابة أو مزاح لكي لا يكون مدخلاً إلى شيء آخر وراءه.^(٤)

أما مسألة "هل صوت المرأة عورة!" فإن ما نفهمه من الحديث وكتب السيرة أن صوت المرأة طالما كان قولاً بالمعروف لا خضوع فيه ولا تذلل فإنه لا حَجْر عليه ولا مانع من ظهوره - فقد كانت النساء تروي الأحاديث وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تجيب الصحابة رضوان الله عليهم عن أسئلتهم قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾^(٥) والسؤال يحتاج إلى إجابة. فالمنهي عنه هو الخضوع بالقول كما دلت عليه الآية الكريمة.

(١) سيد قطب/ في ظلال القرآن/ م٥/ ص ٢٨٥٩ بتصرف قليل.

(٢) المودودي/ الحجاب/ ص ٢٠٩.

(٣) ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم/ م٣/ ص ٦٢١.

(٤) سيد قطب/ في ظلال القرآن/ م٥/ ص ٢٨٥٩.

(٥) سورة الأحزاب آية ٥٣.

يقول الشيخ محمد الغزالي " العورة في أصوات النساء .. أن يكون الكلام مريباً مثيراً له رنين رديء".^(١) وما من أحد يستطيع أن ينكر أن الصوت الرخيم والحديث العذب المشوق بين الرجال والنساء من شأنه أن يُحدث الاستلطاف فيما بينهم ويحقق لمن في قلبه حب الفسق مطلبه وقد يوقظ الغرائز الخاملة ويؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، وهذا ما نقرأه ونسمعه من مصائد المعاكسات التلفونية بين المراهقين والمراهقات الذين لم يتعرفوا على بعضهم إلا عن طريق الهاتف. ولهذا كان الإسلام حريصاً على أن يند الفتنه في مهدها، فحرم كل ما يدعو إلى الفتنه والإغراء حتى أن تضرب المرأة برجلها الأرض خشية أن يسمع الرجال صوت خلخالها أو صوت ما تخفيه من زينة فتتحرك الشهوة في قلوبهم قال تعالى ﴿ ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾^(٢) "إنها لمعرفة عميقة بتركيب النفس البشرية وانفعالاتها، فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى من العيان في إثارة الشهوات وكثيرون تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو سماع صوت حليها أكثر مما تثيرهم رؤية المرأة ذاتها - وهي حالات معروفة عند علماء الأمراض النفسية اليوم".^(٣) ولما كانت الوقاية هي المقصودة بهذا الإجراء جاء النهي للمؤمنات عن فعل كل ما يهيج الشهوات ويوقظ المشاعر. من باب سد الطرق المفضية إلى الرذيلة.

(١) محمد الغزالي/ قضايا المرأة بين التقاليد الرائدة والوافدة/ دار الشروق/ ط٣/ ١٤١٢هـ - ١٩٩١م/ ص١٦٥.

(٢) سورة النور آية (٣١).

(٣) سيد قطب/ في ظلال القرآن/ م٣/ ص٢٥١٤.

المبحث الثامن: الحث على الزواج

يعدّ الإسلام "الزواج" الطريق الفطري الذي يحقق للطاقة الجنسية هدفها الإنساني، وهو الغاية النظيفة لهذه الميول الجنسية الفطرية.

وتظهر الحكمة الربانية في مشروعية الزواج إذا أمعنا النظر في حياة تُرك الناس فيها إلى طبائعهم الحيوانية دون تنظيم أو تشريع كما تُرك عجم الحيوانات إلى غرائزها، لو كان الأمر كذلك لأدى إلى مفاسد عظيمة من قلة العناية بالنسل، وهدم الأسر، وتفكك أواصر المجتمع وتخلي الرجل والمرأة عن مسؤوليتهما وانتشار الأمراض المعدية التي ينشأ عنها جيل ضعيف البنية والعقل.^(١) لذلك شرع الله النكاح ليكون اتصال الرجال بالنساء على وفق نظام يحقق الكرامة ويصون الشرف لكل منهما ويحمي النسل من الضياع، فيكون عقد الزواج نظاماً اجتماعياً يرتقي بالإنسان إلى أكرم وأشرف حياة يجد فيها الطمأنينة ويلبي حاجاته الفطرية دونما كبت أو تردي في وحل الفاحشة والرذيلة. "لأن الزواج ليس نزوة عابرة! إنه صحبة دائمة وميثاق غليظ وشركة في حياة لا تتحمل هزلاً ولا عبثاً"^(٢) "وهو الأسلوب الأمثل في العلاقة بين الرجال والنساء إذ يضم سكينه الروح إلى متعة الجسد، وتجاوب الفكر إلى جيشان العاطفة".^(٣)

(١) السرطاوي، محمود/ شرح قانون الأحوال الشخصية الأردني/ دار المدوي/ عمان - الأردن/ ط١/ ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م/ ص١٣-١٤ بتصرف.

(٢) الغزالي، محمد/ قضايا المرأة بين التقاليد الرائدة والوafدة/ دار الشروق/ ط٣/ ١٩٩١/ ١٤١٢هـ - ص١٢٤.

(٣) المرجع السابق/ ص١٢٧.

ولأجل هذا فقد رغب الإسلام في الزواج بصور متعددة "فتارة يذكره أنه من سنن الأنبياء وهدى المرسلين عليهم السلام وهم القادة الذي يجب علينا أن نتقدي بهداهم قال تعالى ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾^(١).

وتارة يذكره في معرض الامتنان على الناس قال تعالى ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات﴾^(٢).

وأحياناً يتحدث عن كونه آية من آيات الله قال تعالى ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾^(٣).

وقد يتردد المرء أو يحجم عن الزواج خوفاً من تكاليفه أو هروباً من أعبائه فيلفت الإسلام نظره إلى أن الله سيجعل الزواج سبيلاً إلى الغنى^(٤) قال تعالى ﴿ وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يُغْنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾^(٥).

وفي سورة النساء نقرأ قوله تعالى ﴿ ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات﴾^(٦) فتحقق الآية الكريمة هدف الوقاية من الغواية من جهة، والتشجيع على إنشاء الأسر والاستقرار العائلي من جهة أخرى، وهو الأمر الذي ينتظم به أمر المجتمع ويقوى نشاط أفراده. ويكثر نسل المسلمين الذي به قوام عزتهم

(١) سورة الرعد آية (٣٨).

(٢) سورة النحل آية (٧٢).

(٣) سورة الروم آية (٢١).

(٤) سابق، سيد/فقه السنة/ شراف مكتب البحوث والدراسات/ دار الفكر للطباعة والنشر/ ط٢/ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م/ ج٢/ ص٦-٧.

(٥) سورة النور آية (٣٢).

(٦) سورة النساء آية (٢٥).

وقوتهم، وفيما ذكرناه الحكيم البليغة والمرامي السامية^(١) وكذلك فإن الأحاديث الشريفة التي تحت
على الزواج كثيرة ومنها:

عن عبيد بن سعد قال قال رسول الله ﷺ: " من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي
النكاح".^(٢)

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: "تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم
القيامة".^(٣)

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل
الله، والمكاتب الذي يريد الاداء، والناكح الذي يريد العفاف".^(٤)

عن سعيد بن قتادة قال: جاء ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ
يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر له ما
تقدم من ذنبه، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل ولا أرقد، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا
أفطر، وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: "ما بال أقوام قالوا
كذا وكذا: لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني".^(٥)

^(١) دروزه، محمد عزة/ المرأة في القرآن والسنة/ المكتبة العصرية للطباعة والنشر/ بيروت - صيدا/ ط ١/ ص ١٩٦٧م/
ص ٦١.

^(٢) سنن البيهقي/ كتاب قسم الصدقات/ باب الرغبة في النكاح/ ج ٧/ ص ٧٧/ رقم ١٣٢٢٩.

^(٣) سنن ابن ماجه/ كتاب النكاح/ باب ما جاء في فضل النكاح/ ج ١/ ص ٥٩٢/ رقم ١٨٤٦. سنن البيهقي/ كتاب قسم
الصدقات/ باب الرغبة في النكاح/ ج ٧/ ص ٧٨/ رقم ١٣٢٣٥.

^(٤) سنن الترمذي/ كتاب فضائل الجهاد عن الرسول/ باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب/ ج ٤/ ص ١٨٤/
رقم ١٦٥٥. سنن النسائي/ كتاب النكاح/ باب معونة الله الناكح الذي يريد العفاف/ ج ٦/ ص ٦١/ رقم ٣٢١٨.

^(٥) البخاري/ كتاب النكاح/ باب الترغيب في النكاح/ ج ٥/ ص ١٩٤٩/ رقم ٤٧٧٦. مسلم/ كتاب النكاح/ باب استحباب
النكاح لمن ناقت نفسه إليه .. ج ٢/ ص ١٠٢٠/ رقم ١٤٠١.

وقال رسول الله ﷺ: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم فإن الصوم له وجاء".^(١) إن الإسلام دين الوسطية "كما أنه يرفض الرهبانية فإنه يرفض التبذل وإرسال العنان للغريزة الجنسية لتشبع مما تجد، ولذا أغلق جميع الأبواب والطرق التي تفضي إلى الرذيلة وعدّ هؤلاء الذين يسطون على الأعراض ويستمرئون التسول الجنسي مجرمين".^(٢) فما واجبنا إلا إعانة الشباب على الزواج بتيسير التكاليف من قبل الأهالي وبالدعم من قبل الجماعة المسلمة وأولي الأمر بإعانتهم من أموال الزكاة والصدقات إن كانوا فقراء أو بتوفير العمل الشريف للشباب.

إن الإسلام بتشريعاته الوقائية لا يتيح الفرصة للطاقة الجنسية أن تتصرف في غير مجالها المباح "لأنه يرى ببصيرته كيف تنحل الأمم وتسقط حين تترك أفرادها يتهاوون في الرذيلة دون أن تمنعهم من الانحدار"^(٣) والمتأمل في الأهداف النبيلة التي يسعى الشرع لتحقيقها من جراء مشروعية الزواج ليَعْلَم أن واحداً من هذه الأهداف لا تتحقق أبداً لو أباحت الشريعة شيئاً من العلاقات الجنسية المغرضة المنتشرة في المجتمعات الغربية.

(١) مسلم/ كتاب النكاح/ باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه/ ج ٢/ ص ١٠١٨/ رقم ١٤٠٠.

(٢) الغزالي، محمد/ هذا ديننا/ دار الكتب الحديثة/ ط ٣/ ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م/ ص ١٢٥.

(٣) يكن، فتحي/ الإسلام والجنس/ ص ٣١-٣٢.

المبحث التاسع: تعدد الزوجات في الإسلام

قال تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكحُوا مَا طَبَّ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مِثْلَى
وِثْلَاتٍ وَرِبَاعٍ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أُذُنَى أَلَّا تَعْوِلُوا ﴾^(١)
اختلف أهل التأويل في معناها على الأقوال التالية:

١. قال بعضهم الخطاب لأوصياء اليتامى وأوليائهم - إن خفتم ألا تقسطوا في مهر وصدّق
اليتيمات فلا تنكحوهن وانكحوا غيرهن من الغرائب. ويؤيده ما قاله عروة بن الزبير: أنه
سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) فقالت: يا
ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها، فيريد
وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن أن
ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سنهتن في الصداق فأمروا أن ينكحوا ما
طاب لهم من النساء سواهن^(٢).

٢. قال آخرون تنهى الآية عن نكاح ما فوق الأربع حذاراً على أموال اليتامى لئلا يتلفها
أوليائهم فكان الرجل يتزوج العشر من النساء والأكثر والأقل فإذا صار فقيراً معدماً، مال
على مال يتيمه الذي في حجره فأكله.

٣. قال آخرون: كما خفتم في اليتامى، فكذلك خافوا في النساء أن تزنوا بهن، ولكن انكحوا ما
طاب لكم من النساء.

(١) سورة النساء آية (٣).

(٢) البخاري/ كتاب التفسير/ باب (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) ج/٨/ ص٣٠٢/ رقم ٤٥٧٤.

٤. قال آخرون: أن قوماً كانوا يتخرجون في أموال اليتامى، ويخافون ألا يعدلوا فيها وما كانوا يتخرجون في النساء ولا يخافون أن لا يعدلوا فيهن، فنقول الآية لهم: كما خفتم ألا تعدلوا في اليتامى فكذلك خافوا ألا تعدلوا في النساء، لذلك لا تتكحوا أكثر من أربع منهن وإن خفتم ألا تعدلوا أيضاً في ما زاد على واحدة، فاكتفوا بواحدة، أو ما ملكت يمينكم والراجح - والله أعلم - هو القول الرابع، لأن الله تعالى لما أمرهم بتقواه في أموال اليتامى فالواجب عليهم أيضاً تقوى الله والتحرج في النساء، كما علمتهم الآية كيفية التخلص من الجور والظلم في أموال اليتامى.^(١)

وفي قوله (وإن خفتم ألا تعدلوا) قال الضحاك وغيره: في الميل والمحبة والجماع والعشرة والقسم بين الزوجات. فمنع من الزيادة التي تؤدي إلى ترك العدل في القسم وحسن العشرة، وذلك دليل على وجوب ذلك.^(٢)

كما أن في قوله (وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) دليل على أن الأمر في الآية (فانكحوا ما طاب لكم) ليس للوجوب بل للتأديب والإرشاد والإعلام، وإن خرج مخرج الأمر، إلا أنه بمعنى الدلالة على النهي عن نكاح ما خاف النكاح الجور فيه من عدد النساء لا بمعنى الأمر بالنكاح.^(٣)

وقوله (ذلك أدنى ألا تعدلوا) المراد من الأدنى : - (الأقرب) والتقدير ذلك أقرب من

أن لا تعولوا - وفي معناه وجوه:

الأول: أن لا تجوروا الثاني: أن لا تفتكروا^(٤)

(١) الطبري/م/٢/ص ٤٩٥-٤٩٧.

(٢) القرطبي/م/٣/ج ٥/ص ١٥.

(٣) الطبري/م/٢/ص ٥٠٠.

(٤) الرازي/م/٥/ص ١٨٤.

فالأية الكريمة فيها دلالة صريحة على إباحة الإسلام لتعدد الزوجات إن توفرت شروط
وهذه الإباحة مبنية على معرفة حقيقة بطبيعة البشر وظروفهم - إذ يفترض أن تكون هناك
(حالات) تتطلب تعدداً في الزوجات - وبما أن الإسلام يسد الأبواب والذرائع على كل ما من
شأنه أن يقود إلى البحث عن إشباع الغريزة من الطرق الحرام أباح التعدد الشرعي بدلاً من
نظام تعدد العشيقات والخليلات.

كما وضع الإسلام شروطاً للتعدد كالتحديد العددي الذي لا يتجاوز الأربع بأية حال
والعدل المطلق بين الزوجات على الصعيدين المادي والعاطفي مما يحقق حياة كريمة لكل
زوجة.

"إن الإسلام هو كلمة الله الأخيرة التي ختم بها الرسالات، إنه لا يشرع للحضري
ويغفل عن البدوي إنه يقدر ضرورة الأفراد وضرورة الجماعات، فمن الرجال من يكون قوي
الغريزة تائر الشهوة ولكنه رزق بزوجة قليلة الرغبة في الرجال، أو ذات مرض، أو تطول
عندها فترة الحيض أو نحو ذلك والرجل لا يستطيع الصبر كثيراً عن النساء أفلا يباح له أن
يتزوج بأخرى حليلة بدل أن يبحث عن خليله".^(١)

فمن يعتبر تعدد الزوجات في الإسلام من المآخذ على هذا الدين الحنيف هو مناقض
للسواب، ولما تقتضيه الطبيعة البشرية، ولو قارن بين إيجابيات تعدد الزوجات الشرعي
وسلبيات تعدد الزوجات السري، لعرف أن الشرع الحنيف يسعى بتشريعات الحكمة إلى إلغاء
البغاء، والقضاء على عزوبة النساء وعنوستهن، والمحافظة على كرامة وحقوق المرأة خاصة،
وحفظ المجتمع من وجود الأطفال غير الشرعيين فيه.

(١) القرضاوي، يوسف/ الحلال والحرام في الإسلام/ المكتب الإسلامي/ ط٥/ ١٥٠/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م/ ص١٧٩.

المبحث العاشر: النهي عن البغاء

كان البغاء والفجور في بلاد العرب قبل الإسلام على وجهين: البغاء في صورة النكاح والبغاء العام. أما الذي في صورة النكاح فكانت إحداهن تجلس في البيت وتعاهد عدة رجال أن ينفقوا عليها ويقوموا بأمرها ويقضوا منها حاجتهم فإذا حملت ووضعت ومرت ليالٍ أرسلت إليهم وتسمي من أحبت منهم باسمه فيلحق به ولدها وأما البغاء العام: فكان معظمه بوساطة الإمام، إما أن يفرضه السادة عليهن بأن ينصبوا الرايات على أبوابهن لتكون علماً لمن أراد الزنا ومثل هذا كان يفعله الكثير من الزعماء والوجهاء كما كان لرأس النفاق عبد الله بن أبي ست فتيات جميلات يكرهن على البغاء طلباً لكسبهن. أو أن يفرض السادة عليهن مبلغاً كبيراً من المال يتقاضونه منهن كل شهر، لا يمكنهن تحصيله إلاً بالفجور.^(١) فجاء الإسلام وحرّم البغاء بكل صورته عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لا مساعاة في الإسلام"^(٢) والمساعاة: هي الفجور علناً. وعن رفاعة بن رافع أن رسول الله ... نهى عن كسب الأمة حتى يُعلم من أين هو"^(٣) وليس هذا فحسب بل نهى رسول الله ﷺ المرأة عن العمل الذي تستغل فيه أنوثتها وخاصة الإمام لما يُستهان بعرضهن من أجل الحصول على المال، كما جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ عن كسب الإمام".^(٤)

وفي حديث رافع بن رفاعة قال "نهانا رسول الله ﷺ عن كسب الإمام إلا ما عملت بيدها وقال: هكذا بإصبعه- نحو الخبز والغزل والنقش"^(٥) إن النهي القرآني عن تلك العادة

(١) المودودي/ تفسير سورة النور/ ص ١٩٠-١٩١ باختصار.

(٢) مسند أحمد/ حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب/ ج ١/ ص ٣٦٢/ رقم ٣٤١٦.

(٣) سنن أبي داود/ كتاب الإيمان والنور/ باب في كسب الإمام/ ج ٣/ ص ٢٦٧/ رقم ٣٤٢٧.

(٤) البخاري/ كتاب الإجارة/ باب كسب البغي والإمام.../ ج ٢/ ص ٧٩٧/ رقم ٢١٦٣.

(٥) سنن أبي داود/ كتاب الإيمان والنور/ باب في كسب الإمام/ ج ٣/ ص ٢٦٧/ رقم ٣٤٢٧.

القبیحة جاء بأسلوب شديد يُنكر هذه الفعلة على أصحابها يقول تعالى ﴿ ولا تکرهوا فتیاتکم علی البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحیاة الدنیا ومن یکرههن فإن الله من بعد إکراههن غفور رحیم ﴾^(١) فالتعبیر بقوله (فتیاتکم) "أي في سن المراهقة التي فيها الغرائز علی أشد ما تكون من الميل إلى الفجور وعدم تدبیر الأمور، وأضافهن إليهم، بمعنى ومن ذا الذي یقبل أن یکره فتاته المختلطة به وبأهل بیته المنسوبة إليه علی الزنا؟ إنه مجرد من الشهامة والرجولة"^(٢) ثم تأتي الجملة المعترضة - "إن أردن تحصناً" - وفائدتها "التشنع والتقبیح علی السادة في ارتکاب هذه الرذيلة والإکراه علیها، فالأصل في الأمة المملوكة أن یحصنها سیدها إذا مالت نحو الفجور أما أن يدعوها إلى عمل الفاحشة وتأبى وتمتنع وترید العفة فذلك منتهی الخسة والدناءة، فالأمة في هذه الحالة أشرف وأطهر من السید لأنها آثرت التحصن علی الفاحشة"^(٣).

أما قوله "لتبتغوا عرض الحیاة الدنیا" فهي إسفاف بمقاصدهم وغاياتهم وإبطال للنخوة والكرامة في نفوسهم أن یطلبوا العرض الزائل من المال الدنیوی بقداسة العرض والشرف. "ولم تُستعمل شرطاً وقیداً لثبوت هذا الحكم، أي ليس معناها أن السید لا یرتکب الجنایة إلا إذا كان یبتغی عرض الحیاة الدنیا بل المراد بیان حرمة المال الذي یكسبه السید بإکراه أمته علی الفجور"^(٤).

ثم یختم الله الآية الکریمة بقوله " فإن الله من بعد إکراههن غفور رحیم" قال قتادة: "لهن ولیست لهن، فهو یوضح لمن یكون الله غفوراً رحیماً للمکروهات اللاتی أکرهن وليس لمن

(١) سورة النور الآية ٣٣.

(٢) حجازي، محمد محمود/ التفسیر الواضح/ دار الكتاب العربی، بیروت - لبنان/ ط١/ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م/ ج٢/ ص ١١٣.

(٣) الصابوني/ روائع البیان/ م٢/ ص ١٨٣.

(٤) المودودي/ تفسیر سورة النور/ ص ١٨٩ باختصار.

أكرهون".^(١) إن الإسلام لا يقر الخنا والفجور بأي حال بل ما من سبيل قد يستباح فيه العرض إلا وأغلقه وشنع على مرتكبيه وكان هذا النهي عن إكراه الفتيات على البغاء من قبل السادة ابتغاء المال جزءاً من خطة القرآن في تطهير البيئة الإسلامية وإغلاق السبل القذرة للتصريف الجنسي، ذلك أن وجود البغاء يغري الكثيرين لسهولته، ولو لم يجدوه لانصرفوا إلى طلب هذه المتعة في الزواج" وهذا البغاء المنهي عنه في الآية الكريمة هو البغاء الذي يحدث اليوم بشتى الأساليب والطرق لجلب الأموال عن طريق تدنيس الأعراس واستغلال المرأة والتجارة بها. ولكن العجب أن هؤلاء النسوة في الجاهلية من الإماء أي - مقيدات الحرية والكرامة مسلوبات الإرادة واتخاذ القرار - أما نسوة اليوم ممن يفعلن هذا فهن حرائر لا ينبغي لهن أن يرضين بعيش الإماء ولا بعيش الخزي والمهانة.

والرجال في الجاهلية الذي يرضون بهذا المال هم الأراذل الذين لا إيمان ولا خلق لهم إذ أن الآية الكريمة نزلت في رأس المنافقين "عبد الله بن أبي" - عن جابر رضي الله عنه قال كان عبد الله بن أبي يقول لجارية له اذهبي فابغينا شيئاً فأنزل الله "ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء".^(٢)

أما رجال اليوم ممن يرضون هذا فهم من المسلمين إلا أن المروءة والكرامة ضاعت من نفوسهم فرضوا أن يأكلوا اللقمة بدنس العرض.

(١) بدر، عبد الله أبو السعود/ تفسير قتادة رضي الله عنه/ عالم الكتب للنشر/ ١٩٨٠م-١٤٠٠هـ/ ص ٧٣.
(٢) النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي/ أسباب النزول/ تحقيق أمين صالح شعبان/ دار الحديث- القاهرة/ ط ٣/ ١٩٩٦م-١٤١٦هـ/ ص ٢٧٢-٢٧٣.

المبحث الحادي عشر: أهمية الإعلام في صيانة الأعراس

إن المتفكر في الأساليب الوقائية التي وضعتها الشريعة الإسلامية لحماية العرض ليعلم يقينا أنها تحقق الهدف والغاية عند توافر الفطرة السليمة لدى الأفراد، والأرضية الصالحة لدى المجتمعات لتطبيق هذه التشريعات، بتحريم ما حرم الله وتحليل ما أحل الله. لكن المجتمعات ذات القوانين والأنظمة الفاسدة كقيلة بهدم الأخلاق وتقويض دعائم التربية لدى الأفراد بإفساد فطرتهم وركائزهم الأخلاقية عن طريق الإعلام بكافة صورته وأشكاله حتى أمسى العلاج صعباً.

فمشكلة الشباب الجنسية لم تظهر بهذه الصورة المؤسفة ولم نحصد منها هذه الثمار المرة إلا بترويج سلع الغرب في الانحلال والتعري عن طريق الإعلام، وبعد ذلك تتعالى الصيحات بالأسئلة ما رأي الإسلام في مشكلات الشباب؟ ولنتترك الإجابة لسيد قطب حيث يقول: إن المجتمع الإسلامي لن تكون فيه فتيات عاريات كاسيات مائلات مميلات منطلقات في كل مكان ينشرون الفتنة لحساب الشيطان، المجتمع الإسلامي لن تكون فيه أفلام قذرة ولا أغان مريضة ولا صحافة تنشر الصور العارية والكلمات العارية والنكت العارية وتقوم مقام المواخير المتنقلة في كل مكان، بل سيهيئ للشباب فرص الزواج المبكر لأن بيت المال ملزم أن يُعين من يريد الإحصان. (١)

نعم إن جلّ وسائل الإعلام صارت اليوم معول هم يصل بها دعاة الغزو الفكري إلى صميم المجتمع المسلم ليزلزلوا القيم والأخلاق في نفوس أبنائه، عن طريق قلب الحقائق وانتقاء الأسماء المرموقة ليطلقوها على المسميات المحرمة مما يلتبس على آخرين الحكم على هذه

(١) سيد قطب/ خذوا الإسلام جملة أو دعوه/ مطبعة دار الأيتام الإسلامية بالقدس/ ص ١٢٣.

الأمر بالحل أو الحرمة، حيث يسمون الزنا والوسائل المؤدية إليه حياً، ويسمون الغناء والمجون فناً.

ولقد حذر القرآن الكريم من هؤلاء الذين يشنون حرباً إعلامية على الإسلام وأخلاق أهله بوسائلهم المكيدة. وتوعدهم بأقسى العقوبات في الدنيا والآخرة يقول تعالى ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾^(١).

"وإن كانت هذه الآية باعتبار سياقها تخص من ينشرون الاتهامات والافتراءات الكاذبة ليلصقوها بأفراد المجتمع المسلم "إلا أن ألفاظ القرآن الكريم شاملة لجميع صور إشاعة الفاحشة والانحلال، فهي تنطبق كذلك على إنشاء دور للفاحشة والبغاء، وما يرغب الناس فيها ويثير غرائزهم من القصص والروايات والأشعار والغناء والصور والألعاب والمسارح والسينما، كما تنطبق كذلك على المجالس والنوادي والفنادق التي يعقد فيها الرقص والطرب يشترك فيها الرجال والنساء على صورة خليعة مختلطة"^(٢).

والحرب الإعلامية على الأخلاق والتمسك بالقيم والمبادئ ليست وليدة العصر الحالي بل قد أخبر الله تعالى بمثل هذا عن قوم لوط عليه السلام لما أنكر عليهم إتيان الفاحشة والانحراف عن النظرة السوية.

قال تعالى ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون، أننكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون، فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون﴾^(٣).

(١) سورة النور آية ١٩.

(٢) المودودي/ تفسير سورة النور/ ص ١٣٣ بتصرف قليل.

(٣) سورة النمل آية ٥٤-٥٦.

وجوابهم للوط عليه السلام "قد يكون تهكماً بالتطهر من هذا الرجس القذر، وقد يكون إنكاراً عليه أن يسمى هذا تطهراً، وقد يكون ضيقاً بالطهر والتطهر حيث كان يكلفهم الإقلاع عن ذلك الشذوذ".^(١) إن جوابهم هذا يعني الرفض بشدة لترك الفاحشة، بل إنهم أرادوا أن يلحقوا تهمة الشذوذ به - عليه السلام - ليظن السامع لقولهم أول وهلة أن آل لوط يفعلون منكراً عظيماً يسمونه بزعمهم طهارة، وهكذا قلب هؤلاء بميولهم المنحرفة الرذيلة إلى فضيلة والفضيلة إلى رذيلة. "فيا عجباً! من يتطهر يخرج من القرية، ليبقى فيها الملوثون المدنسون، إنها الجاهلية الحديثة، تحارب الذين يتطهرون ولا ينغمسون في وحل الجاهلية - وتسمى ذلك تقدمة. إنها لا تطيق أن ترى المتطهرين بل وتحاربهم في أرزاقهم وأنفسهم وأبنائهم إنه منطق الجاهلية في كل حين!"^(٢)

إن سموم الحضارة الغربية وجدت طريقها الواسع لغزو عقول أبناء المسلمين عن طريق مفاهيم الحرية الشخصية والقيم المادية التي تنبثها عن طريق الإعلام المنحرف. فالحرية المطلقة تعطي حق التصرف المطلق للذكر والأنثى دونما قيد أو حساب ما دام قد بلغ سن الرشد.

فكم قلماً، وكم كتاباً، وقصة، وبرنامجاً وحفلة عارية ... يستهلكها الشباب من الجنسين وكل هذا لا يشبع النهم المسعور، إن مثل هذه الحياة الفاجرة هي التي يحيها الغرب خاصة لتتضح مشاعر الأطفال الجنسية قبل الأوان ثم تدفع بهم إلى ممارسة الجنس بلا ضوابط وقبل أن تتضح مداركهم التي تصلح لإقامة الأسر والاستقرار في الزواج.^(٣)

(١) سيد قطب/ في ظلال القرآن/ م/ ٥/ ج/ ١٩/ ص ٢٦٤٨.

(٢) سيد قطب/ في ظلال القرآن/ م/ ٣/ ج/ ٨/ ص ١٣١٦.

(٣) محمد قطب/ جاهلية القرن العشرين/ ص ١٦٣-١٦٥ باختصار.

وصدق محمد الغزالي إذ يقول "إن الميدان الفني في العالم العربي خبيث التربة، مختل الموازين إلا من عصم الله. والغريب أن يحدوه في طريقه الزائغ حملة أقلام تحالفوا مع الشيطان على حرب الإسلام، لأنهم تحت عنوان العلمانية يتآمرون على قتل أمة تتشد الحياة في ظلال الإيمان والتقوى، بعيداً عن الإلحاد والعهر".^(١)

بل إن إعلام اليوم سبباً في انتشار المعاكسات والمضايقات من قبل الشباب، وهذا ما صرح به أحد المسؤولين عن مكافحة الجرائم "إن السبب في انتشار المعاكسات هو التيارات الفكرية الواردة من الخارج وانتشار أفلام الفيديو ونوادي الديسكو والرقص وعرض الأفلام الخليعة مما يسبب إحجام الشباب عن الزواج وصرف الوقت في مثل هذه الأعمال".^(٢)

وهو سبب لانهيار الأسر إذ تعرض وسائل الإعلام الجمال الصناعي والطبيعي، وتعرض المظاهر المثيرة والصور الجنسية الأمر الذي يزهد الأزواج في زوجاتهم أمام ما يشاهدون من الأجسام العارية وشبه العارية والإثارة والإغراء. مما يؤدي بشكل تدريجي إلى إعراض الرجل عن زوجته وعدم قيامه بالواجبات الزوجية ثم تبدأ المشاجرة والنزاعات التي قد تؤدي إلى فراق.^(٣)

كذلك فالعمل بها من قبل النساء خاصة يحرمهن حقوقهن في الحياة العائلية الكريمة والعيش في كنف الزوج والأطفال فتقتضي الواحدة منهن زهرة شبابها في التقديم والعطاء لدور الإعلام حتى تفقد نفسها هرمة لا يوجد لديها معيل وهذا ما صرحت به أشهر ممثلة إغراء "مارلين مونرو" إذ تقول (إنني أتعس امرأة على هذه الأرض لم أستطع أن أكون أمّاً، إنني امرأة أفضل البيت، الحياة العائلية الشريفة، إن هذه الحياة العائلية لها رمز سعادة المرأة، بل الإنسانية

(١) محمد الغزالي/ قضايا المرأة/ ص ٢١٨.

(٢) محمد سعيد مبيض/ إلى غير المحجبات أولاً/ ص ٤٣ بتصرف.

(٣) أحمد زكي تفاعلة/ المرأة والإسلام/ ص ١٧٣.

- لقد ظلمني الناس، إن العمل في السينما يجعل المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة".^(١)

وركز الإعلاميون على المرأة يغرونها ويغرون بها، أغروها بالكلام المعسول الزائف من تصوير الخروج على أوامر الشرع بالمدنية والحرية والمساواة وكل هذا ليستخدموها أداة إغراء لكسب الأموال والثروة السريعة ليزجوا بها في دور السينما وساحات الرقص، وكأنها ألعوبة يستغلون شبابها وفترة جمالها لتسويق المجلات والأشرطة والأفلام ثم يرمون بها على قارعة الطريق إذا هرمت وققدت جاذبيتها - فيحرمونها من الحياة السعيدة - الحياة التي يُكرمها الزوج والابن والبنت والحفيد، يُرضونها بدراهم معدودة في الوقت الذي تدر عليهم الآلاف ثم يتبرأون عنها وكان شيئاً لم يكن .

جاء في برتوكولات حكماء صهيون" يجب أن نعمل لتتهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى شيء مقدس في نظر الشباب ويصبح همه ارواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه"^(٢) وبالطبع فإن هذه العلاقات الجنسية لن تعرض إلا عن طريق وسائل الإعلام بكافة أشكالها.

(١) عبد الباقي رمزون/ خطر التبرج والاختلاط/ ص ١٦٥.

(٢) فتحي يكن/ الإسلام والجنس/ مؤسسة الرسالة/ ط٢/ ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥/ ص ١٩.

الفصل الثاني

العقوبات المترتبة على انتهاك الأعراض

المبحث الأول: حد الزنا

- المطلب الأول: تعريف الزنا
- المطلب الثاني: عقوبة جريمة الزنا
- المطلب الثالث: حد الزاني البكر
- المطلب الرابع: حد الثيب الزاني
- المطلب الخامس: وقفة مع آية الجلد في سورة النور

المبحث الثاني: حد القذف

- المطلب الأول: تعريف القذف
- المطلب الثاني: عقوبة القذف
- المطلب الثالث: شرائط وجوب حد القذف
- المطلب الرابع: مسقطات عقوبة القذف
- المطلب الخامس: اللعان

المبحث الثالث: التعزير

- المطلب الأول: التعزير لغة واصطلاحاً
- المطلب الثاني: ما هي الجرائم التي تطبق فيها العقوبة التعزيرية
- المطلب الثالث: اللواط
- المطلب الرابع: السحاق
- المطلب الخامس: إتيان البهيمة
- المطلب السادس: الاستمناء

الفصل الثاني

- العقوبات المترتبة على انتهاك العرض -

مدخل إلى الفصل الثاني: -

إن الله تعالى خالق النفس البشرية عالم بما يصلحها وهو أرحم بعباده، من العباد ببعضهم، فلما حرم الزنا وحذر من الإقدام عليه وعلى سائر النواحي التي تنتهك بها الأعراض فقد شرع في كتابه الحكيم من الضوابط التربوية الرشيدة ما يمنع دواعي تلك الجرائم البشعة ويقفل من دوافع إثارتها المغرية حفاظاً على كيان الأسر وسلامة الأخلاق والأنساب "وصوناً للمرأة من أن تُستغل وفق أهواء الرجال وأعراضهم المنحرفة بإيذائها في كرامتها وعفافها. وحماية للمجتمع من الأمراض النفسية والعصبية والأمراض التناسلية السارية مما يدعونا إلى شكر المنعم الجليل والاعتزاز بشرعه الأكمل، كما يفرض علينا الالتزام بالضوابط الشرعية الرشيدة في حماية الأسرة".^(١) وأما من حادت نفسه عن شرع الله وأبت إلا أن تتبع هواها وتشبع غرائزها على حساب أعراض الناس وشرفهم وكرامتهم ... فقد شرع لهم الإسلام العقوبات الرادعة ليستأصل بها شأفة^(٢) الفساد من نفوسهم، وليكون هذا العقاب الرادع جزاءً لهم وردعاً لمن فكّر بالسَّير على نهجهم. حيث إن الشريعة الإسلامية تحرص على إيجاد الطاعة الاختيارية لدى الناس بدايةً عن طريق إيقاظ الشعور الديني وإثارة معاني الإيمان في القلوب وتذكيرهم باليوم الآخر وبيان ما في أوامرها ونواهيها من خير ومصالحة للناس، ولكن لا يغيب عن البال

(١) كرزون، أحمد حسن/ الهداية الربانية إلى الضوابط الأمنية في القرآن الكريم/ دار ابن حزم/ بيروت - لبنان/ ط١/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م/ ص ٢٢٨.

(٢) شأفة الفساد: - الشأفة: قرحة تخشن فتستأصل بالكي. والمراد هنا أن الفساد تأصل في نفوسهم فلا يزول إلا بالعقوبة اللادعة - انظر: إبراهيم أنيس ورفاقه/ المعجم الوسيط/ باب الشين / ص ٤٦٩.

أن الناس ليسوا سواء في يقظة الضمير الديني وعمق الإيمان، كما أن من الناس من يغلب عليهم نوازع الهوى والشر والشهوة وجر المنافع لأنفسهم على حساب الإضرار بالآخرين، ومن أجل هذا كان من اللازم اقتران المحظورات الشرعية بعقوبات دنيوية من شأنها أن تخيف وترهب مثل هؤلاء الذين تغلب عليهم نوازع الشهوة لأن الإنسان حريص بطبعه على كف الأذى عن نفسه.^(١) إن العقوبة في الإسلام ليست غاية في حد ذاتها وإنما هي وسيلة تهذيب وتربية وإصلاح، ودليل ذلك أن الأب يقسو على أبنائه ويعاقبهم في بعض الأحيان رحمة بهم وحرصاً على أن يؤدبهم ويغرس في نفوسهم القيام بالواجب والحرص على الفضائل، عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه أدب لهم".^(٢) "ورؤية أداة العقاب معلقة يجعل أصحاب النوايا السيئة يرتدعون عن ملابسة الرذائل خوفاً أن ينالهم منه نائل، ويكون باعثاً لهم على التأدب والتخلق بالأخلاق الفاضلة".^(٣) ويقول (الدكتور محمد حسين الذهبي) عن الحدود في الإسلام: - فالحدود بفلسفتها ونظامها ومناهجها وضوابطها أصبحت خيوطها أساسية في النسيج الذي تتكون منه عقول الناشئة وضمايرهم وتتفعل به وجداناتهم وعواطفهم كما أصبحت جزءاً من المناهج التعليمية لناشئة المسلمين يتمثلونها وهم في سن غضه تتولد عنها حال نفسية خاصة يسد فيها الوازع المانع عن مقارفة هذه الآثام لأن الحدود في إطارها التربوي عاصم قوي يمنع الناشئة حينما يصبحون رجالاً ونساءً عن موقعة الحمى^(٤) فالعقوبة في الإسلام إذن لا يلجأ إليها إلا عند استنفاد الوسائل الأخرى للتأديب، ولا تقام إلا بعد توافر الشروط التي تُثبت أن الجاني مستخف بالأخلاق، والقيم، وحرمة العرض في المجتمع، أما

(١) زيدان، عبد الكريم/ المخمل لدراسة الشريعة الإسلامية/ مؤسسة الرسالة/ ١٩٦٩م، ١٣٨٨هـ / ص ٤٠١-٤٠٢.

(٢) الطبراني/ المعجم الأوسط/ ج ٤/ ص ٢٤١/ رقم ٤٣٨٢.

(٣) المنجد، محمد صالح/ ٤٠ نصيحة لإصلاح البيوت/ شركة النور للطباعة والنشر/ جمعية القرآن والسنة/ فلسطين/ ص ٥٥.

(٤) نقلًا عن: حسين، جمال محمد أحمد حسين/ التربية الإيمانية وأمن المجتمع/ ط ١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م/ ص ٩١.

التلويح بالعقوبة والتنبيه إليها عند الخطأ فهو من وسائل التأديب الراقية. كما وقد وُضعت العقوبات في الإسلام على أساس محاربة الدوافع التي تدعو للجريمة بالدوافع التي تصرف عن الجريمة، فالدافع إلى الزنا هو اشتهاؤ اللذة والدافع الذي يصرف الإنسان عن اللذة هو الألم، ولا يمكن للإنسان أن يستمتع بنشوة اللذة إذا تذوق مس العذاب. فالشريعة وضعت عقوبة الجلد للزنا على أساس من طبيعة الإنسان وفهم لنفسيته وعقليته إذ دفعت العوامل النفسية الداعية للزنا بعوامل نفسية مضادة تصرف عن الزنا. وإذا تغلبت العوامل الداعية على العوامل الصارفة وارتكب الزاني جريمته مرة كان فيما يصيبه من ألم العقوبة وعذابها ما ينسيه اللذة ويحمله على عدم التفكير فيها. أما عقوبة الحبس التي تعاقب بها القوانين الوضعية فهي لا تؤلم إيلاماً يحمل الزاني على هجر اللذة، بل أدت عقوبة الحبس إلى إشاعة الفساد والفاحشة، وأكثر الناس الذين يستمسكون عن الزنا اليوم لا تصرفهم عنه العقوبة وإنما يمسكهم عنه الدين والأخلاق الفاضلة التي لم يعرفها أهل الأرض قاطبة إلا عن طريق الدين، ولكن الشريعة حين جعلت الجلد عقوبة للزنا فقد حاربت الجريمة في النفس قبل أن تحاربها في الحس. وعالجتها بالعلاج الوحيد الذي لا ينفعها غيره. ^(١) ونستطيع أن نلمس أثر الشريعة واضحاً في الفرق بين الشرق الإسلامي عامة وبين بلاد الغرب، وعلى الرغم من أن بلاد الشرق كلها قد أخذت بقوانين الغرب! إلا أن الشرق لا يزال ينفر من جريمة الزنا ويستفظعها ويحتقر مرتكبيها. فعقوبة الشريعة العادلة الرادعة قد خلفت وراءها مجتمعاً صالحاً يقوم على الأخلاق الفاضلة، وعقوبة القانون الهيئة على الأفراد المضئعة للجماعة قد تركت وراءها مجتمعاً فاسداً منحلاً تسيره الشهوات ^(٢) وكذلك عقوبة القذف فقد وُضعت في الشريعة الإسلامية محاربة لغرض القاذف وهو إيلام المقذوف نفسياً. فكان

(١) انظر عودة، عبد القادر/ التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي/ مؤسسة الرسالة/ ط٤/ ١٤١٨هـ -

١٩٩٧م/ ج١/ ص٦٣٥-٦٣٩.

(٢) المرجع السابق/ ج١/ ص٦٤٥.

جزاؤه الجلد ليؤلمه إيلاًماً بدنياً مقابل إيلاًمه النفسى للمقذوف، ولأنه قصد تحقير المقذوف كان جزاؤه التحقير من الجماعة كلها بسقوط عدالته وعدم قبول شهادته أبدأً ليوصم وصمة أبدية أنه من الفاسقين. أما الجرائم الأخرى التي تتعلق بالعرض ولم يشرع فيها حد، فقد جرى التشريع الجنائي الإسلامي على أن لا يفرض لكل جريمة من جرائم التعزير عقوبة معينة كما تفعل القوانين الوضعية بل أعطت القاضي سلطاناً واسعاً في تقدير العقوبة بما يتناسب مع طبيعة المجرم لتؤدبه والقاعدة العامة في الشريعة أن كل عقوبة تؤدي إلى تأديب المجرم واستصلاحه وزجر غيره وحماية الجماعة من شر المجرم والجريمة هي عقوبة مشروعة. (1)

(1) عبد القادر عودة/ التشريع الجنائي الإسلامي/ ج 1/ ص ٦٨٦ .

المبحث الأول: حد الزنا

الزنا من أقبح الجرائم وأشدّها إفساداً للأخلاق وهتكاً للأعراض ولذلك حرمه الإسلام وحرّم كل ما يؤدي إليه قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾^(١) فالتحذير من مقاربة الزنا واضح في الآية، وفي هذا مبالغة في التحرز من المقاربة قال (القفال): إذا قيل للإنسان لا تقربوا هذا ، فهذا أكد من أن يقول له لا تفعله. ثم إنه تعالى علل هذا النهي بكونه (فاحشة وساء سبيلاً)^(٢) وفي تحريم الزنا حفظ لأعراض الأفراد وصون للمجتمع من انتشار الفساد والمنكرات فيه، ويعد الإسلام جريمة الزنا من جرائم الحدود وذلك لجسامة خطورتها على الأفراد والمجتمعات فالحدود: (عقوبات مقدرة محددة من الله تعالى) لهذا فهي حق لله إذ أن في تطبيقها الحفاظ على أمن وسلامة المجتمع من شيوخ الفساد وضياع الحقوق.

وتتميز الحدود عن عقوبات التعزير والقصاص بما يلي: -

أنها لا تقبل الإسقاط لا من الأفراد ولا من الجماعة فلا عفو فيها مطلقاً. وأنه ليس لها حدّ أدنى ولا أعلى بل محددة من الله تعالى. وأنه ليس للظروف المخففة أي أثر، فليس للقاضي التساهل مع الجاني وتطبيق العقوبة الأخف عليه.

وتشترط الشريعة إثبات جرائم الحدود بعدد من الشهود. إذ اشترطت حضور أربعة شهود. يشهدون على جريمة الزنا وشاهدين في بقية جرائم الحدود. أما جرائم التعزير فتثبت بشاهد

واحد.^(٣)

(١) سورة الإسراء آية (٣٢).

(٢) تفسير الرازي/ ج ١٠/ ص ١٩٩.

(٣) وانظر الكاساني/ بدائع الصنائع/ م ٩/ ص ٢٥٣، ٢٥٢. عودة، عبد القادر/ التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي/ م ١/ ص ٨٢-٨٣.

* وتتميز جريمة الزنا عن جرائم الحدود باشتراط الشهود الأربعة وفي هذه دلالة على شدة خطورة هذه الجريمة، وشدة حرص الشريعة على حماية أعراض الناس وحماية جو المجتمع من الاضطراب والبلبلة بسبب التراشق بتهمة بالزنا.

المطلب الأول : تعريف الزنا

الزنا عند الحنفية: وطء الرجل المرأة في القبل في غير الملك وشبهته عن طوع.^(١)

الزنا عند الشافعية: إيلاج الذكر بفرج محرم لعينه خالٍ من الشبهة مشتبهى طبعاً ... ودبر ذكر وأنثى كقبل على المذهب.^(٢)

الزنا عند الحنابلة: فعل الفاحشة في قبل أو دبر.^(٣)

الزنا عند المالكية: وطء مكلف فرج آدمي لا ملك له فيه باتفاق تعمداً.^(٤)

ويتدقيق النظر في تعريف الفقهاء للزنا نجد أنهم وضعوا قيوداً لضبط الزنا الموجب للحد كالتالي:

يتحقق الزنا الموجب للحد بإيلاج فرج في فرج محرم مشتبهى بالطبع، وإن كان أدنى من ذلك كالمفاخضة والتقبيل لا يسمى زنا ولا يقام الحد على فاعله. فعن ابن مسعود رضي الله

(١) الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود/ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع/ تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ

عادل أحمد عبد الموجود/ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان / ط ١ / ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م / م ٩ / ص ١٩١.

(٢) الشرييني، شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشافعي/ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج/ دراسة وتحقيق الشيخ علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود/ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان / ١٩٩٤م / ج ٥ / ص ٤٤٣.

(٣) البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس/ كشاف القناع عن فن الإقناع/ راجعه وعلق عليه هلال مصيلحي/ دار الفكر للطباعة والنشر/ لبنان - بيروت / ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م / م ٦ / ص ٨٩.

(٤) السوقي، محمد بن أحمد بن عرفة/ حاشية السوقي على الشرح الكبير - لأبي البركات أحمد بن محمد العنوي خرج أحاديثه محمد عبد الله شاهين/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان / ط ١ / ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م / م ٦ / ص ٣٠١-٣٠٢.

عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني عالجت امرأة من أقصى المدينة فأصبت منها، دون أن أمسّها، فما أنا ذاء، فأقم عليّ ما سنّنت، فقال عمر، سترك الله لو سترت على نفسك، فلم يردّ النبي ﷺ عليه شيئاً، فانطلق الرجل، فأتبعه النبي ﷺ رجلاً، فدعاه، فتلا عليه الآية: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾^(١) فقال رجل من القوم يا رسول الله أله خاصة أم للناس عامة. فقال، بل للناس عامة.^(٢) وقد وقع الاختلاف في محل الوطء - إذ عدّ الشافعية والمالكية والحنابلة والصاحبان من الحنفية الوطء في الدبر زناً أيضاً.^(٣) وحبّتهم في التسوية أن الوطء في الدبر مشارك للزنا في المعنى الذي يستدعى الحد وهو الوطء المحرم، فضلاً عن أن القرآن سوى بينهما في وصف كل منهما فاحشة قال تعالى مخاطباً قوم لوط ﴿إنكم لتأتون الفاحشة﴾^(٤) وقال عن النساء الزانيات: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾^(٥) بينما قصر الإمام أبو حنيفة الزنا على الوطء في القبل. - وهو الراجح والله أعلم - لأن الإتيان في الدبر اختص باسم اللواط ، ولو كان اللواط زناً لما اختلف الصحابة في شأن عقوبته كما أن الزنا خطره وضرره أكبر إذ يؤدي إلى اشتباه الأنساب وضياع الأولاد.

(١) سورة هود آية (١١٤).

(٢) رواه مسلم/ كتاب التوبة/ باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش/ ج٤/ ص٢١١٧/ حديث رقم ٢٧٦٣.

(٣) الشربيني/ مغنى المحتاج/ م٥/ ص٤٤٣، النسوقي/ حاشية النسوقي على الشرح الكبير/ م٦/ ص٣٠٢. البهوتي/ كشف القناع/ م٦/ ص٩٠، العيني، أبو محمد محمود بن أحمد/ البناية في شرح الهداية/ دار الفكر/ ط١٤١١م -

١٩٩٠م/ ج٦/ ص١٩٢.

(٤) سورة العنكبوت آية (٢٨).

(٥) سورة النساء آية (١٥).

واشترط الفقهاء "التكليف" لإقامة الحد على الجاني فيسقط الحد عن غير المكلف كالصبي والمجنون، عن عائشة رضي الله عنها قالت قال الرسول ﷺ "رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق".^(١)

واشترطوا كذلك الإيلاج بفرج مشتهي طبعاً، فإن أتى بهيمة أو ميتة فلا حد عليه وإنما يُعزَّر من قبل الإمام.^(٢)

المطلب الثاني: - عقوبة جريمة الزنا

قال تعالى: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نساءكن فاستشهدوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت، أو يجعل الله لهن سبيلاً * واللذان يأتيانها منكم فآذوهما، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنها إن الله كان تواباً رحيماً﴾.^(٣) نصت هاتان الآيتان الكريمتان على عقوبة الزناه وهي الإمساك والحبس في البيوت - والإيذاء بالسب أو الضرب وكان هذا في بدء الإسلام ولم يختلف السلف في ذلك، قاله عبادة بن الصامت والحسن ومجاهد - حتى نسخنا بآية (النور) قال تعالى ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما

(١) صحيح ابن خزيمة/ كتاب الصلاة/ باب ذكر الخبر الدال على أن الصلاة قبل البلوغ الإيجاب / ج ٢٠ / ص ١٠٢ / رقم ١٠٠٣.

(٢) أنظر الشروط الموجبة لإقامة حد الزنا بتفصيل .. د. الزحيلي، وهبة/ الفقه الإسلامي وأدلته/ دار الفكر - دمشق / ط ٣ / ١٤٠٩م - ١٩٨٩م / ج ٦ / ص ٣٦-٣٨.

(٣) سورة النساء آية (١٥-١٦).

طائفة من المؤمنين^(١) التي تنص على الجلد، وإن كانا محصنين رجماً بسنة النبي ﷺ. فكان الجلد للبكرين والرجم للمحصنين هو الناسخ للأحكام السابقة.^(٢)

المطلب الثالث: حد الزاني البكر

١. ذهب الإمامان الشافعي^(٣) وأحمد^(٤) إلى الجمع بين الجلد والتغريب لمدة عام واستدلالاً بما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله وقال الخصم الآخر .. وهو أفقه منه فاقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي، فقال رسول الله ﷺ "قل" - قال: إن ابني كان عسيفاً^(٥) على هذا فزنى بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة - فسألت أهل العلم؛ فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم. فقال رسول الله ﷺ "والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله - الوليدة والغنم رد عليك. وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام واغد يا أنيس "رجل من أسلم" إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها".^(٦)

(١) سورة النور آية (٢).

(٢) القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ م٣/ ج٥/ ص٥٦، الجصاص/ أحكام القرآن/ م٣/ ص٤١، الزيلعي/ تبين الحقائق/ م٣/ ص١٧٤، السرخسي/ المبسوط / م٩/ ص٣٦.

(٣) الفراء. أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد/ التهذيب في فقه الإمام الشافعي/ تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض/ دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان/ ط١/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م/ م٧/ ص٣١٦.

(٤) البهوتي/ كشف القناع عن متن الاقناع/ م٦/ ص٩١-٩٢.

(٥) عسيفاً: أجيراً.

(٦) البخاري كتاب الصلح/ باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود/ ج٢/ ص٩٥٩/ رقم ٢٥٤٩.

٢. وقال الإمام أبو حنيفة: - لا يضم إلى الجلد التغريب لأن فيه فتح لباب الزنا وذلك لانعدام الاستحياء من العشيرة. ولم تنص الآية إلا على الجلد فقط، فلو جعلنا النفي حداً معه لكان الجلد بعض الزنا. (١)

٣. أما الإمام مالك فقد فصل في المسألة إذ أوجب تغريب البكر الحر الزاني، دون المرأة لأنها عورة. (٢)

فالحمد هو الجلد فقط كما نصت عليه الآية الكريمة، والتغريب عقوبة تعزيرية يرجع الأمر فيها لما يراه ولي الأمر مناسباً لإصلاح الجاني.

المطلب الرابع: حد الثيب الزاني

ذهب الفقهاء الأربعة أصحاب المذاهب إلى أن حد الثيب الزاني هو الرجم (٣) قال ابن قدامة: وهذا قول عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار في جميع الأعصار، ولا نعلم فيه مخالفاً إلا الخوارج. (٤)

واستدل الجمهور بمجموعة من الأدلة لإثبات الرجم وأنه حد الزاني المحصن وهي:

١. روى الإمام أحمد في مسنده عن زرّ بن حبيش عن أبي بن كعب قال: كم تقرأون سورة الأحزاب؟ قال بضعا وسبعين آية. قال: لقد قرأتها مع رسول الله ﷺ مثل البقرة أو أكثر منها وإن فيها آية الرجم. (٥)

(١) العيين، أبو محمد محمود بن أحمد/ البناية في شرح الهداية/ دار الفكر/ ط١/ ٥م/ ص ٣٢٨-٣٨٤.

(٢) ابن نصر المالكي، أبو محمد بن عبد الوهاب بن علي/ المعونة على مذهب عالم المدينة/ تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي/ دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م/ ط١/ ٢م/ ص ٣١١-٣١٢.

(٣) الكاساني/ بدائع الصنائع/ ٩م/ ص ١٩٨، الشربيني/ مغني المحتاج/ ج ٥/ ص ٢٣٠، البهوتي/ كشف القناع/ ٦م/ ص ٩٣، السوق/ حاشية السوق/ ٦م/ ص ٣١٢.

(٤) ابن قدامة/ المغني/ ٨م/ ص ١٥٨.

(٥) مسند أحمد/ مسند أبي بن كعب/ ج ٥/ ص ١٣٢/ رقم ٢١٢٤٤.

٢. روى الإمام أحمد في مسنده قال: كان ابن العاص وزيد بن ثابت يكتبان المصاحف فمروا على هذه الآية، فقال زيد سمعت رسول الله ﷺ يقول "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، فقال عمر: لما أنزلت هذه، أتيت رسول الله ﷺ فقلت: أكتبنيها قال شعبة: فكأنه كره ذلك. فقال عمر: ألا ترى أن الشيخ إذا لم يحصن جلد وأن الشاب إذا زنى وقد أحصن رُجم".^(١)

٣. عن ابن عباس أنه قال: سمعت عمر رضي الله عنه يخطب ويقول: إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده وأخشى إن طال بالناس زمن أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله في كتابه فإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال أو النساء قامت البينة أو كان حمل أو اعتراف" والله لولا أن يقول الناس زاد في كتاب الله تعالى لكتبتها.^(٢)

٤. عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أنشدك بالله إلا قضيت لي بكتاب الله تعالى، فقال الخصم الآخر وهو أقره منه: نعم فاقض بيننا بكتاب الله وائذن لي. فقال رسول الله ﷺ قل. فقال: إن ابني هذا كان عسيفاً على هذا فزنى بامرأته وإني أخبرت أن على ابني جلد مائة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم. فقال "والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى على ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس - لرجل من أسلم - إلى امرأة هذا فإن اعترفت

(١) مسند أحمد/ مسند الأنصار/ باب حديث زيد بن ثابت/ ج ٥/ ص ١٨٣/ رقم الحديث/ ٢١٦٢٦.

(٢) صحيح مسلم/ كتاب الحدود/ باب رجم الثيب في الزنا/ ج ٣/ ص ١٣١٧/ رقم ١٦٩١.

- فارجمها، فغدا عليها فاعترفت فأمر بها النبي ﷺ فرجمت. (١)
٥. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنه جلد سُراحة يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة. فقال أجدُّها بكتاب الله، وأرجمها بقول رسول الله ﷺ. (٢)
٦. عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ "خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً الثيب بالثيب جلد مائة والرجم بالبكر والبكر جلد مائة ونفي سنة" (٣)
٧. عن ابن عباس قال: لما أتى ماعز بن مالك النبي ﷺ قال له "لعلك قبّلت أو غمزت أو نظرت؟ قال: لا يا رسول الله، قال: أنكتهما؟ لا يُكنِّي. قال: فعند ذلك أمر برجمه. (٤)
٨. عن جابر أن رجلاً من أسلم جاء النبي ﷺ فاعترف بالزنا، فأعرض عنه النبي ﷺ حتى شهد على نفسه أربع مرات فقال له النبي ﷺ أبك جنون؟ قال: لا . قال: أحصنت؟ قال: نعم. فأمر به فرجم بالمصلّى. فلما أدلّفته الحجارة فر، فأدرك فرجم حتى مات، فقال له النبي ﷺ خيراً وصلّى عليه. (٥)
٩. عن ابن عمر قال: أتى رسول الله ﷺ بيهودي ويهودية قد أحدثا جميعاً فقال لهم: ما تجدون في كتابكم؟ قالوا: إن أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه (١) والتجبيبه (٢)، قال عبد الله بن سلام:

(١) البخاري/ كتاب الحدود/ باب الاعتراف بالزنا/ ج٢/ ص٩٠٩/ رقم ٢٥٤٩. صحيح مسلم/ كتاب الحدود/ باب من

اعترف على نفسه بالزنا/ ج٣/ ص١٣٢٥/ رقم ١٦٩٧.

(٢) الحاكم/ كتاب الحدود/ ج٤/ ص٤٠٥/ رقم ٨٠٨٧.

(٣) صحيح مسلم/ كتاب الحدود/ باب حد الزنا/ ج٣/ ص١٣١٦/ حديث رقم ١٦٩٠.

(٤) البخاري/ كتاب الحدود/ باب هل يقول الإمام للمقر: لعلك لمست أو غمزت/ ج٦/ ص٢٥٠٢/ رقم ٦٤٣٨.

(٥) البخاري/ كتاب الحدود/ باب الرجم بالمصلّى/ ج٦/ ص٢٤٩٩/ حديث رقم ٦٤٣٠. مسلم/ كتاب الحدود/ باب من

اعترف على نفسه بالزنا/ ج٣/ ص١٣١٨/ رقم الحديث ١٦٩١.

(٦) تحميم الوجه: أن يصب عليه ماء حار مخلوط بالرماد والمراد تسخيم الوجه بالحميم وهو الفحم. انظر فتح الباري/

ج١٢/ ص١٤٤.

(٧) التجبيبه: أصله من جبهت الرجل، إذا قابلته بما يكره من الإغلاظ في القول أو الفعل وقال القاضي عياض: التجبيبه في

الحديث: أنهما يجلدان ويحمم وجوههما ويحملان على دابة مخالفاً بين وجوههما. انظر فتح الباري/ م١٢/ ص١٤٥.

ادعهم يا رسول الله بالتوراة فأتي بها فوضع أحدهم يده على آية الرجم وجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له ابن سلام: ارفع يدك، فإذا آية الرجم تحت يده فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجما. قال ابن عمر: فرجما عند البلاط، فرأيت اليهودي أجنا^(١) عليها. (٢)

١٠. عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة". (٣)

١١. عن بريدة بن الحصيب أن امرأة تسمى "الغامدية" جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله (إني زنيت فطهرني) فردّها ﷺ فلما كان من الغد قالت: يا رسول الله تردني؟ لعلك تردني كما رددت ما عزأ؟ فوالله إني حبلى، فقال: أما الآن فاذهبي حتى تلدي، فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت: قد ولدته قال: فاذهبي فارضعيه حتى تظطيمه، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها، فنضح الدم على وجهه (خالد بن الوليد) فستبها، فسمعه ﷺ فقال: مهلاً يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس^(٤) لغُفر له، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت. (٥)

(١) أجنا عليها: أكب عليها، قال ابن القطاع: جنا على الشيء حنا ظهره عليه وقال الأصمعي: أجنا الترس جعله مجنا أي محدوداً. انظر فتح الباري/م ١٢/ص ١٥٥.

(٢) صحيح البخاري/كتاب الحدود/باب الرجم في البلاط/ج ٦/ص ٢٤٩٩/حديث رقم ٦٤٢٣.

(٣) صحيح البخاري/كتاب الديات/باب قوله تعالى "أن النفس بالنفس" .. ٣/ج ٦/ص ٢٥٢١/رقم ٦٤٨٤. صحيح مسلم/كتاب القسامة/باب ما يباح به دم المسلم/م ٣/ص ١٣٠٢/حديث رقم ١٦٧٦.

(٤) صاحب مكس: المكس: الضريبة التي يأخذها الماكس وهو العشار. ابن الأثير/النهاية في غريب الحديث والأثر/ج ٤/ص ٣٤٩.

(٥) صحيح مسلم/كتاب الحدود/باب من اعترف على نفسه بالزنا/ج ٣/ص ١٣٢٣/حديث رقم ١٦٩٥.

١٢. وقال ابن عباس إن حكم الرجم مأخوذ من آية محكمة غير منسوخة التلاوة، وهي قوله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ﴾^(١) - فإنها نزلت في اليهودي واليهودية اللذين زنيا وهما محصنان ورجمهما النبي ﷺ - فتمه تعالى في هذا الكتاب للمعرض عما في التوراة من رجم الزاني المحصن، دليل قرآني واضح على بقاء حكم الرجم.^(٢)

١٣. استنبط ابن عباس الرجم من القرآن أيضاً من قوله تعالى: ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ﴾^(٣) قال: فمن كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب ثم تلا هذه الآية وقال: كان الرجم مما أخفوا.^(٤)

١٤. قال الألوسي "وقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم ومن تقدم من السلف وعلماء الأمة وأئمة المسلمين على أن المحصن يرجم بالحجارة حتى يموت، وإنكار الخوارج ذلك باطل، لأنهم إن أنكروا حجية إجماع الصحابة فجهل مركب، وإن أنكروا وقوعه من رسول الله ﷺ لإنكارهم حجية خبر الواحد فهو بعد بطلانه بالدليل ليس مما نحن فيه لأن ثبوت الرجم منه عليه السلام (متواتر) المعنى وهم كسائر المسلمين يوجبون العمل بالمتواتر (معنى). كالمتواتر (لفظاً) إلا أن انحرافهم عن الصحابة والمسلمين أوقعهم في جهالات كثيرة، ولهذا حين عابوا على عمر بن عبد العزيز القول بالرجم من كونه ليس في كتاب الله تعالى ألزمهم بإعداد الركعات ومقادير الزكوات. فقالوا: ذلك من فعله ﷺ

(١) سورة آل عمران آية (٢٣).

(٢) الشنقيطي/ أضواء البيان/ م/١ ص ٢٢٩.

(٣) سورة المائدة آية (١٥).

(٤) البغا، مصطفى ومستو، محيي الدين/ الوافي في شرح الأربعين النووية/ مؤسسة علوم القرآن/ ط٢/ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م/ ص ٩٢.

والمسلمين فقال لهم: وهذا أيضاً كذلك".^(١) فيستفاد من قول الألويسي إجماع علماء المسلمين على رجم المحصن وأن السنة مصدر للتشريع الإسلامي.

١٥. إن تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد جائز عندنا لأن اللفظ العام في القرآن، وإن كان قطعياً في مته ظني في دلالاته. فأمكن تخصيصه بالدليل المظنون وإن سلمنا أن خبر الآحاد لا يخصص القرآن فلا نسلم أن الرجم ثبت بطريق الآحاد بل هو ثابت بالتواتر رواه أبو بكر وعمر وعلي وجابر وأبو سعيد الخدري وبريدة الأسلمي وزيد بن خالد. وكل هذه الروايات صحيحة لا يطرأ إليها الشك. كما ثبت بطريق التواتر أن النبي ﷺ أقام حد الرجم على بعض الصحابة كما عز والغامدية وظل الفقهاء في كل عصر وفي كل مصر مجمعين على كونه حكماً ثابتاً وسنة متبعة.^(٢)

١٦. لو سلمنا أن أحاديث الرجم هي أخبار آحاد فليس من شك أن دلائل الحق في خبر الواحد العدل أكثر وأوفر وثمت آيات كثيرة تفيد أن خبر الآحاد حجة في الدين: عقيدة وأحكاماً وأنه يفيد العلم لا الظن. قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾.^(٣) فرض على الكفاية أن ينفر من المسلمين طائفة منهم ليتعلموا الدين، ولا شك أن الدين يشمل العقائد والأحكام. والطائفة: تقع في لغة العرب على الواحد فما فوق^(٤) قال ابن حجر

(١) الألويسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ قرأه وصححه: محمد حسين العرب/ دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م/ ج ١٨/ ص ٧٨.

(٢) السائيس، محمد علي/ تفسير آيات الأحكام/ دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان/ منشورات محمد علي بيضون/ ط ١/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م/ ج ٢/ ص ١٠٢-١٠٣. الصابوني، محمد علي/ روائع البيان تفسير آيات الأحكام/ دار إحياء التراث العربي/ ط ٣/ ١٤٠١هـ - ١٩٨٣م/ ج ٢/ ص ٢٢-٢٤. الكاساني/ بدائع الصنائع/ ج ٩/ ص ٢٠٩، وأنظر: الفراء/ التهذيب في فقه الشافعي/ م ٧/ ص ٣٠١-٣٠٢.

(٣) سورة التوبة آية (١٢٢).

(٤) لسان العرب/ م ٩/ ص ٢٢٦.

رحمه الله: - (إن لفظ الطائفة يتناول الواحد فما فوق، ولا يختص بعدد معين، وهو منقول عن ابن عباس وغيره، كالنخعي، ومجاهد).^(١) فلولا أن الحجة تقوم بخبر الأحاد عقيدة وحكماً، لَمَا حَضَّ اللهُ عَلَى التَّبْلِيغِ حُضّاً عَامّاً مَعْلَماً إِيَّاهُ بِقَوْلِهِ (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) الصَّرِيحُ فِي أَنَّ الْعِلْمَ يَحْصُلُ بِخَبَرِ الْأَحَادِ.^{(٢)(٣)}

المطلب الخامس : وقفة مع آية الجلد في سورة النور

يقول تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾.^(٤) لقد جاءت الآية الكريمة بإفراد الزانية والزاني ولم تقل الزانيات والزناة تقليصاً للظل الكئيب الذي يُسود مساحة أكبر في صفحة البيئة الإسلامية الطهور، فالإفراد يجعل من الجريمة نقطة واحدة في الثوب الأبيض وليس خطأ بارزاً فيه، لعل الراغبين في التشهير يكفوا أسنتهم ويحسنوا الظن بالمسلمين^(٥) وقد بدأت السورة بهذا الحكم على غير ما جرى عليه القرآن من تقرير الأحكام في ثانيا السورة إشارة إلى أن هذا الأمر الذي جعلته السورة في مقدمتها هو أمر عظيم الخطر على المجتمع الإنساني، وأن من الحكمة الإسراع في محاربته والقضاء عليه -

(١) ابن حجر/ فتح الباري/ م١٣/ ص٢٣٤.

(٢) الهلالي، أبو أسامة سليم بن عبيد/ الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد/ شركة النور للطباعة/ فلسطين - رام الله / ١٤٠٦هـ - ص٢٨.

(٣) للإستزادة حول موضوع الرجم انظر المرصفي، د. سعد/ شبهات حول أحاديث الرجم وردّها/ مكتبة المنار الإسلامية - الكويت/ مؤسسة الريان - بيروت - لبنان/ ط١/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٤) سورة النور آية (٢).

(٥) عمارة، محمود محمد/ الحدود في الإسلام بين الوقاية والملاج/ مكتبة الإيمان بالمنصورة للنشر والتوزيع/ ط١/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م/ ص٩.

وأنه جدير ألاّ تسبقه مقدمات وإرهاصات تشير إليه. ^(١) وقدم الله ذكر الزانية على الزاني لأن المرأة الفاسدة الأخلاق هي الأساس في الغواية وتزيين سبيل الفاحشة للرجال، وذلك يشعر أن فعل المرأة أكثر شناعة وتعليل ذلك أن لديها من دواعي الصيانة الاجتماعية أكثر مما لدى الرجال، كما أن حياءها وضعف جرأتها في الموضوع يساعدانها على التزام سبيل العفة أكثر من الرجل، كما أن المجتمع ينظر إلى الزانية نظرة اتهام وقلة ثقة حتى ولو تابت وأقيم عليها الحد بعكس الرجل كما أنه قد يظهر على الزانية آثار الزنا كالحمل فيصير العار في حقها أكبر ^(٢) أما الجلد فهو العقوبة البدنية لأولئك الزناة الذين فسدت مروءتهم وذهب ورعهم ولم يردعهم الدين ولم يكثرثوا بحرمة العرض. وقد حذر الله من الرأفة أو الرحمة بهما في إقامة الحد، "لأن الرأفة والرحمة قد تخفف الشدة في الحق فتعطلوا الحدود أو تخففوا الضرب فالواجب أن تكونوا حازمين في دين الله، وذلك لاجتثاث أسباب الفتنة من جذورها". ^(٣) وحضور طائفة من المؤمنين أثناء العقوبة هو عقاب نفسي لمثل هؤلاء الزناة ففيه تشهير بهم، وتحذير لغيرهم من أن يأتوا هذه الفاحشة قال الإمام الرازي: "وعلى الذين يشهدون أن يكونوا على الوصف - مؤمنين - لأنهم إن كانوا كذلك عظم موقع حضورهم في الزجر وعظم موقع إخبارهم عما شاهدوا فيخاف المجلود من حضورهم الشهرة فيكون ذلك أقوى في الإنزجار". ^(٤)

(١) الخطيب، عبد الكريم/ التفسير القرآني للقرآن/ م٩/ ص ١٢٠١.

(٢) طبارة، عفيف عبد الفتاح طبارة/ تفسير سورة النور وأحكامها/ دار العلم للملايين - بيروت - لبنان/ ط١/ ١٩٩٣/ ص ١١.

(٣) آق بيق، غازي صبحي/ آيات قرآنية (ومضات من القرآن)/ دار الفكر - سوريا - دمشق/ م٢/ ص ١٥٥.

(٤) الرازي/ تفسير الفخر الرازي/ م١٢/ ج٢٣/ ص ١٥٠.

المبحث الثاني: حد القذف

المطلب الأول: تعريف القذف

القذف من الجرائم الاجتماعية الخطيرة والمواقف السلوكية المشينة. التي تمس كرامة المسلم وأمنه وتثير المنازعات بين الناس. وللحفاظ على سلامة المجتمع من شيوخ الفاحشة ولمنع التراشق بها، شرع الإسلام حد القذف وتوعد الذين يحبون انتشار الفاحشة في المجتمع بالعذاب الأليم. قال تعالى: ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة. والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾^(١)

القذف لغة: يقال قذف بالحجر أي رمى به بقوة .. وقذف البحر بما فيه: رمى به من صيد وغيره. وقذف فلان بقوله: أي تكلم من غير تدبر ولا تأمل .. ويقال قذفه بالكذب وغيره أي نسبه إليه.^(٢)

القذف اصطلاحاً: القذف عند الحنفية (رمي مخصوص) وهو الرمي بالزنا صريحاً وهو القذف الموجب للحد وشرطه إحصان المقذوف وعجز القاذف عن إثباته بالبينة.^(٣)

وعند الشافعية: رمي بالزنا في معرض التعبير لا الشهادة.^(٤)

وعند المالكية: نسبة أمي مكلف غيره حراً عفيفاً مسلماً بالغاً أو صغيرة تطيق الوطاء، أو قطع نسب مسلم.^(٥)

(١) سورة النور آية (١٩).

(٢) الفيروز أبادي/ القاموس المحيط/ ص٧٢٨، وانظر: إبراهيم أنيس ورفاقه/ المعجم الوسيط/ ط٢/ ج١/ ص٧٢١.
(٣) الزيلعي، فخر الدين عثمان بن علي/ تبين الحقائق شرح كنز الدقائق/ بهامشة حاشية الإمام شهاب الدين أحمد الشلبي/ دار الكتاب الإسلامي/ القاهرة/ ط٢/ ج٣/ ص١٩٩.

(٤) زكريا الأنصاري/ حاشية الجمل على شرح المنهج/ دار الفكر العربي- بيروت/ ج٥/ ص٥١.

(٥) ابن أنس، مالك/ المدونه الكبرى/ دار صادر - بيروت/ ج٦/ ص٢٥٩.

وعند الحنابلة: رمي محصن بالزنا أو الشهادة به عليه ولم تكمل البيعة.^(١) وهكذا يتبين لنا أن القذف هو إسناد فعل مشين بالتصريح أو التعريض أو بالاستفهام أو بأي صيغة من شأنها تحقير المقذوف عند أهل مجتمعه مما يترتب عليه النيل من كرامته وشرفه، ويكون هذا القذف كذباً واختلاقاً لا دليل ولا برهان عليه.

هذا ولم ترد في القرآن الكريم كلمة القذف للتعبير عن جريمة تلوين العرض بالسب، بل عبر القرآن عنها بالرمي كما في قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾.^(٢) والمراد بقوله (والذين يرمون) أي (والذين يسبون) واستعير له اسم الرمي لأنه إذاية بالقول وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية النساء (المحصنات) لأن رميهن بالفاحشة أشنع وأنكى للنفوس وقذف الرجال داخل في حكم الآية. وحكى الزهراوي أن المعنى (والأنفس المحصنات) فهي بلفظها تعم الرجال والنساء ويدل على ذلك قوله: ﴿والمحصنات من النساء﴾.^(٣)^(٤)

وقد عُدَّ القذف في السنة المطهرة من الكبائر، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، ما هن؟ قال: الشرك بالله عز وجل، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات".^(٥)

(١) ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد/ المغني/ مكتبة القاهرة/ ط١/ ١٩٦٩م/ ج٩/ ص٥٦.

(٢) سورة النور آية (٤).

(٣) سورة النساء آية (٢٤).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن/ م٦/ ج١٢/ ص١١٥.

(٥) البخاري/ كتاب الوصايا/ باب قوله (إن الذين يأكلون اليتيم...)// ج٣/ ص١٠١٧/ رقم ٢٦١٥. مسلم/ كتاب الإيمان/

باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان/ ج١/ ص٩٢/ رقم ٨٨.

المطلب الثاني: عقوبة القذف

قال تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾^(١). نصت هذه الآية الكريمة على أن حدّ القذف ثمانون جلدة - ولا تعاقب الشريعة على القذف إلا إذا كان كذباً فإن كان تقريراً للواقع فلا جريمة ولا عقاب. ولقد جعل الجلد عقوبة للقذف في الشريعة لمحاربة الباعث الداعي للقذف في نفس القاذف ومن ذلك الحسد والمنافسة والانتقام ولكنها جميعاً تنتهي إلى غرض واحد وهو إيلاّم المقذوف وتحقيره. فكان جزاؤه الجلد ليؤلمه إيلاًماً بدنياً كما قصد إيقاع الإيلاّم النفسي بالمقذوف. ثم إن القاذف يقصد تحقير المقذوف فكان جزاؤه أن يُحَقَّرَ من الجماعة كلها فتسقط عدالته ولا تُقبل شهادته ويوصف بالفسق وبهذا نجد أن الشريعة الإسلامية حاربت الدوافع النفسية الداعية إلى الجريمة بالعوامل النفسية المضادة التي تستطيع التغلب على تلك الدوافع الداعية للجريمة فطبيعة الناس لن تتغير ولو تغيرت مظاهرهم ووسائلهم، إذ أنهم يرجون الثواب ويخافون العقاب ولذلك جاءت أحكام الشريعة صالحة لكل مكان وزمان، لأنها أقامت توجيهاتها على أساس معرفة طبيعة البشر.^(٢) لقد كانت هذه الآية مثلاً رفيعاً للذوق وحسن الأسلوب وعفة الكلمة حيث جاء فيها: "يرمون المحصنات" وهذا كناية عن التهجم عليهن بألفاظ جارحة، خارجة على حدود الأدب واللياقة، إن عقوبة القذف ليست بالشديدة إذا نظرنا إلى جسامة المخالفة وعواقبها في إفساد المجتمع فالمرأة التي تلتزم الجادة ثم يُساء إليها بكلمة جارحة فإن من حقها أن ينتقم لها المجتمع المسلم على قدر ما أصابها من مكروه.^(٣) كما أن في التعبير (بالإحصان)

(١) سورة النور آية (٤).

(٢) عودة، عبد القادر/ التشريع الجنائي الإسلامي/ م/ ١/ ص ٦٤٦-٦٤٨.

(٣) البقري، أحمد ماهر محمود/ نظرات في سورة النور/ مؤسسة الثقافة الجامعية - الإسكندرية/ ١٩٧٤م/ ص ١٦-١٨.

"إشارة دقيقة إلى أن قذف العفيف من الرجال أو النساء موجب لحد القذف لما الشخص المعروف بفجوره واستهتاره أو اشتهر بذلك فلا حدّ على قاذفه، لأنه لا كرامة للفاسق الماجن".^(١)

والمحصنة هنا: هي الحرة البالغة العفيفة^(٢) ولقد خص الله تعالى المقذوفات من النساء بالذكر بقوله (المحصنات) لأن قذف المرأة والنيل من سمعتها يتعدى ضرره إلى جميع أفراد أسرتها فيلحق بهم عاراً كبيراً بخلاف الرجل. أما تخصيص القذف بالرجال في قوله (والذين يرمون): لأن صنف النساء يغلب عليهن الحياء فلا يقذفن الرجال عادة.^(٣)

هذا، ويعاقب من تثبت عليه جريمة القذف بثلاثة أنواع من العقوبات هي:

١. العقوبة البدنية: وهي ثمانون جلدة وهذه العقوبة نصت عليها الآية الكريمة ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾.^(٤)

٢. العقوبة التبعية: وهي عدم قبول شهادته بعد إدانته بجريمة القذف، لأنه أصبح مفترياً والافتراء يمنع الشهادة. "وتعد هذه عقوبة أدبية لأنها تتعلق بالناحية المعنوية بإهدار كرامته وإسقاط اعتباره، فلا يوثق بكلامه ولا يقبل قوله عند الناس".^(٥) وقد اختلف الفقهاء في قبول شهادته بعد توبته، أم أنه يظل مردود الشهادة ويرفع عنه وصف الفسق، بناءً على اختلافهم في الاستثناء الوارد في الآية، هل يعود إلى الجملة الأخيرة؟ وهي وصفه بالفسق، أم يشمل الشهادة أيضاً؟ فذهب الأحناف إلى أن الاستثناء يعود إلى الجملة الأخيرة "وأولئك هم الفاسقون" فيرفع عنه وصف الفسق إذا تاب ويظل مردود الشهادة. وذهب الجمهور إلى أن

(١) الصابوني، محمد علي/ صفة التفسير/ دار التراث العربي، القاهرة/ ٢م/ ص ٣٣١.

(٢) ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم/ ٣م/ ١٨ج/ ص ٣٥١.

(٣) آق بيق، غازي صبحي/ آيات قرآنية (ومضات من القرآن الكريم) عرض وتحليل/ دار الفكر - سوريا، دمشق/ ج ٢/ ص ١٦١.

(٤) سورة النور آية (٤).

(٥) الصابوني، محمد علي/ روائع البيان تفسير آيات الأحكام/ دار إحياء التراث العربي/ ط ٣/ ١٤٠١هـ- ٢م/ ص ٧٥.

الاستثناء راجع إلى الجملتين "ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون" فإذا تاب قبلت شهادته ورفع عنه وصف الفسق. (١)

٣. عقوبة دينية: وتكون بتسويق القاذف إلى أن يتوب، ويعني ذلك أنه بتذنه قد خرج عن طاعة الله (٢) وقد شدد الله سبحانه وتعالى في عقوبة القذف إلى حد قد يصل إلى عقوبة الزنا، وذلك لما تخلفه هذه الجريمة من آثار سلبية في المجتمع أبرزها "أن أطراد سماع التهم يوحى إلى النفوس المتحرجة من ارتكاب الفعلة أن جو الجماعة كله ملوث وأن الفعلة فيها شائعة فيقدم عليها من كان يتحرج منها، وتهون في حسه بشاعتها بكثرة تردادها (٣) كما أن في إقامة الحد على القاذف مجابهة لأهل السوء الذين يطلقون الإشاعات الكاذبة التي فيها خراب البيوت والطعن في أعراض الناس. (٤)

المطلب الثالث: شرائط وجوب حد القذف

الشروط الواجب توافرها لإقامة حد القذف ثلاثة أنواع:

أولاً: شروط في القاذف:

- أ. العقل: فلا عبثة بكلام المجنون.
- ب. البلوغ: ففعل الصبي لا يوصف بكونه جنائياً.
- ج. عدم إثباته ما قذف به بأربعة شهود. وزاد بعضهم الإسلام والحرية والاختيار. (٥)

(١) المصدر السابق/ ص ٧٠-٧٤.

(٢) طوالبه، علي حسن/ جريمة القذف مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية/ ص ٢٢-٢٣.

(٣) سيد قطب/ في ظلال القرآن/ م/ ٤/ ج ١٨/ ص ٢٤٩٠-٢٤٩١.

(٤) طبارة، عفيف عبد الفتاح/ تفسير سورة النور وأحكامها/ ص ٢٨.

(٥) الزحيلي، د. وهبه/ الفقه الإسلامي وأدلته/ دار الفكر/ ط ٣/ ١٩٨٩م/ م/ ٦/ ص ٧٧.

ثانياً: الشروط الواجب توافرها في المقذوف:

١. أن يكون المقذوف محصناً لقوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾^(١) والإحصان هنا

يعني: "البلوغ والعقل والحرية والإسلام والعفة عن الزنا".

٢. أن يكون المقذوف معلوماً: فإن كان مجهولاً لا يجب الحد كما إذا قذف جماعة أو قال لهم

"ليس فيكم زان إلا واحد".^(٢)

ثالثاً: شروط استيفاء حد القذف:

١. أن يطالب المقذوف بالحد .. بناءً على أنه حق له.

٢. نكول القاذف عن البينة.

٣. أن يتمتع عن اللعان إذا كان القاذف زوجاً.^(٣)

٤. أن لا يكون القاذف أباً للمقذوف ولا جده وإن علا ولا أمه ولا جدته وإن علت.

٥. يشترط أن يكون القذف صريحاً بالزنا. وجعل مالك التعريض فيه كالتصريح في وجوب

الحد، والتعريض كقوله: أنا ما زنيت فجعله بمثابة قوله أنك زنيت.^(٤)

٦. أن يكون القذف علناً على مسمع من غيره.^(٥)

(١) سورة النور آية رقم (٤).

(٢) أبو زهرة، محمد/ الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي/ دار الفكر العربي - القاهرة/ ص ١١٨. وانظر: الشوكاني (فتح القدير/ ٤/ ص ١٩١).

(٣) الغامدي، علي سعيد/ اختيارات ابن قدامة الفقهية في أشهر المسائل الخلافية/ دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض / ط ١/ ١٤١٨هـ/ ٤/ ص ١٥٢.

(٤) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري/ الأحكام السلطانية والولايات الدينية/ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان/ ص ٢٨٦.

(٥) بهنسي، د. أحمد فتحي/ الجرائم في الفقه الإسلامي/ ص ١٥٢.

المطلب الرابع: مسقطات عقوبة القذف

تسقط عقوبة القذف بما يأتي: -

١. أن يعترف القاذف بقذفه ويستشهد على صحة الواقعة المقذوف بها بأربعة شهود.
٢. أن يصدق المقذوف القاذف فيما قذفه به.
٣. أن يكون القاذف زوجاً فله أن يلاعن زوجته إذا لم تقر الزوجة بصحة قذف زوجها لها.^(١)
٤. بطلان أهلية الشهود للشهادة بعد القضاء وقبل التنفيذ لعدة أسباب كالفسق والجنون والعمى والخرس.

٥. رجوع الشهود عن شهادتهم بعد القضاء وقبل التنفيذ.

٦. العفو عن القاذف وفيه آراء:-

الأول: ليس للمقذوف حق العفو مطلقاً لأن الحد حق لله تعالى.

الثاني: ليس للمقذوف حق العفو إذا رفع الأمر للحاكم.

الثالث: للمقذوف حق العفو سواء رفع الأمر للحاكم أم لم يرفعه.^(٢)

المطلب الخامس: اللعان

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَكَمْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ

أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ *

(١) الكاساني/ بدائع الصنائع/ ٩م/ ص ٢١٧-٢٢٧، القاضي، عبد الله محمد/ أحكام حد القذف في الشريعة الإسلامية وأثر

تطبيقه في حماية الأعراض/ ص ٢٠٨. واصل، د. نصر فريد محمد/ الوسيط في جريمة الزنا والقذف/ ص ١٣٣.

(٢) طوالبه، علي حسن/ جريمة القذف دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، ص ١٣٠.

وَيَذُرُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ * وَتَوَكَّلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحِمْتُهُ وَأَنْ اللَّهُ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾

واللعان لغة: مصدر مأخوذ من اللعن، يقال لعنت الكلب أو الذئب. طردته. ويقال لعن نفسه وفلاناً، أي سبّه وأخزاه. (٢)

واللعان اصطلاحاً: مشتق من اللعن لأن كل واحد من الزوجين يلعن نفسه في الخامسة إن كان كاذباً. (٣) وقال ابن الهمام: هو اسم لما يجري بين الزوجين من الشهادات بالألفاظ المعروفة، وسمي بذلك لوجود لفظ اللعن في الخامسة من تسمية الكل باسم الجزء ولأنه في كلام الزوج وهو أسبق والسبق من أسباب الترجيح. (٤) وقال القاضي عياض: سمي بذلك لأن الزوجين لا ينفكان من أن يكون أحدهما كاذباً فتحصل اللعنة عليه وهي الطرد والإبعاد. (٥)

سبب نزول آيات اللعان:

اختلفت الروايات في تحديد سبب نزول آيات اللعان هل كانت في شأن هلال بن أمية أم أنها نزلت في عويمر العجلاني وزوجته خولة بنت عاصم. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن (هلال بن أمية) قذف امرأته عند النبي ﷺ "بشريك بن سحماء" فقال النبي ﷺ "البينة وإلا حدّ في ظهرك" فقال يا رسول الله: إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: "البينة وإلا حدّ في ظهرك"، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحدّ، فأنزل الله "والذين يرمون أزواجهم... إلى قوله إن كان من الصادقين" فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليهما فجاء هلال فشهد، والنبي ﷺ يقول "الله يعلم إن أحدكما لكاذب

(١) سورة النور آية (١-٦).

(٢) إبراهيم أنيس ورفاعة/ المعجم الوسيط/ ص ٨٢٩.

(٣) ابن قدامة/ المغني/ ج ٧/ ص ٣٩١، أبو إسحاق الحنبلي/ المبدع شرح المقنع/ م ٧/ ص ٤١.

(٤) القاضي، عبد الله محمد/ أحكام حد القذف في الشريعة الإسلامية وأثر تطبيقه في حماية الأعراض/ ص ٣١١.

(٥) ابن قدامة/ المغني/ ج ٧/ ص ٣٩١.

فهل منكما تائب؟" ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقَّوها وقالوا: إنها موجبة فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت: لا أفصح قومي سائر اليوم فمضت ... فقال النبي ﷺ أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الأليتين، خدلج^(١) الساقين فهو لشريك بن سحماء، فجاءت به كذلك. فقال النبي ﷺ: لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن".^(٢) ويتضح أن آيات اللعان فيها فرجٌ للأزواج وزيادة مخرج، إذ أنها نزلت لمثل هذه الحالات الخاصة من القذف وإنما اعتبر الشرع اللعان في الزوجات دون الأجنبية "لأن المتعارف عليه من أحوال الرجل مع امرأته أنه لا يقصدها بالقذف إلا عن حقيقة. فإذا رماها بنفس الرمي يشهد بكونه صادقاً إلا أن شهادة الحال ليست بكاملة فضم إليها ما يقويها من الأيمان".^(٣)

المعنى الإجمالي لآيات اللعان :-

يخبر المولى عز وجل أن من قذف زوجته بالزنا ولم يتمكن من إحضار الشهود أو يقيم البينة التي تثبت صدق دعواه فإن شهادته بصدق قوله تقوم مقام الشهود الأربعة بتكرارها أربع مرات ليدفع عن نفسه حد القذف ثم يحلف في الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين .. وإذا أرادت المرأة أن تدرأ عن نفسها "حدّ الزنا" فعليها أن تشهد أربع مرات إنه لمن الكاذبين، وفي الخامسة: تحلف بغضب الله عليها إن كان زوجها صادقاً فيما رماها به من الزنا وكيفية اللعان "أن يبدأ الزوج أولاً لدرء الحدّ عنه ونفي النسب منه، لقوله عليه الصلاة والسلام: "البينة وإلا حدّ في ظهرك" ولو بُدئ بالمرأة قبله لم يجز لأنه عكس ما رتبته الله تعالى، وقال أبو حنيفة "يجزئ" ، وهذا باطل لأنه خلاف القرآن ليس له أصل يردّه إليه ولا معنى يقوى به،

(١) خدلج الساقين: ممتلى لحما.

(٢) البخاري/ كتاب التفسير/ باب ويرو عنها العذاب أن تشهد/ ج٤/ ١٧٧٢/ رقم ٤٤٧٠.

(٣) تفسير الفخر الرازي ج٢٣ ص١٦٦.

لأن المرأة إذا بدأت باللعان فتتفي ما لم يثبت وهذا لا وجه له".^(١) وقد خصّص الله سبحانه "اللّعة" بجانب الرجل وخصّص "الغضب" بجانب المرأة "للتغليظ عليها لكونها أصل الفجور ومادته، ولأن النساء يكثرن اللعن في العادة، فمع استكثارهن منه لا يكون له في قلوبهن كبير موقع بخلاف الغضب".^(٢) ثم ختم الله تعالى الآيات الكريمة: بأن هذا التشريع الحكيم فيه ستر عظيم على عباده إذ يقول "ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم". أي لولا هذا التشريع الذي تفضل الله عليكم ورحمكم به "لهلكتم أو لعاجلكم بعقابه أو لفضحكم".^(٣) فلو لم يكن اللعان مشروعاً لما استطاع الزوج درء حد القذف عن نفسه - ولو اكتفى بشهادته لما استطاعت المرأة أن تدرأ عن نفسها حد الزنا ... فتجلت حكمة الله سبحانه وعظم فضله بعباده في مشروعية اللعان.

ما يترتب على اللعان من أحكام: -

قال الإمام الشافعي: يتعلق بلعان الزوج خمسة أحكام:- (درء الحد، ونفي الولد، والفرقة، والتحریم المؤبد، وجوب الحد عليها) وكلها تثبت بمجرد لعانه ولا تحتاج إلى حكم الحاكم.^(٤) وبذلك نجد أن عقوبة القذف تقوم مقام الحارس على أعراض الناس من أن تُمس زوراً، والحارس على ألسنة الناس من أن تتطرق فحشاً، والحارس على المستوى الأخلاقي في المجتمع الإسلامي حتى ينهج الناس في حياتهم وصلاتهم وعلاقاتهم في رضاهم وسخطهم، في هدوئهم وفورتهم .. منهجاً معتدلاً سليماً يُرضي الله ويُرضي رسوله ﷺ ...^(٥)

(١) القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ م/ ٦/ ج١٢/ ص١٢٧-١٢٨.

(٢) الشوكاني/ فتح القدير/ م/ ٤/ ص١٠.

(٣) الصابوني، محمد علي/ روائع البيان تفسير آيات الأحكام/ دار إحياء التراث العربي/ ط٣/ ١٤٠١هـ/ م/ ٢/ ص٨٢.

(٤) الفيروز آبادي/ المهذب في فقه الإمام الشافعي/ ج٣/ ص٣٥٠.

(٥) حسين، جمال محمد أحمد/ التربية الإيمانية وأمن المجتمع/ ط١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م/ ص١٠١.

المبحث الثالث: التعزير

المطلب الأول: التعزير لغة واصطلاحاً

التعزير في اللغة: بمعنى التعظيم والإعانة والتقوية والنصر.^(١) وهو كلمة من الأضداد فيأتي

بمعنى التأديب والإهانة، والتوقير والعون قال تعالى: ﴿وتعزروه وتوقروه﴾.^(٢) (٣)

وفي الاصطلاح: هو العقوبة المشروعة على جنابة لا حدّ فيها لم يرد نص من الشارع ببيان

مقدارها وترك تقديرها لولي الأمر أو القاضي المجتهد.^(٤) ويختلف حكمه باختلاف حاله وأحوال

فاعله فيوافق الحدود من وجه أنه تأديب وإصلاح وزجر، ويخالف الحدود من وجهين: -

أحدهما: أن تأديب ذي الهيئة من أهل الصيانة أخف من تأديب أهل البذاء والسفاهة عن عائشة

رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم".^(٥)

ثانياً: أن الحد لا يجوز العفو عنه ولا تسوغ الشفاعة فيه، أما التعزير فإن تعلق بحق آدمي وعفا

عن حقه جاز عفوّه.^(٦) وبما أن الجرائم لا يمكن حصرها بسهولة - فقد نصت الشريعة على

عقوبة أمهات الجرائم وتركت لولي الأمر العادل الذي يُنَاط به حفظ الدين والأخلاق وحماية

مصالح الإسلام وضرورات الحياة للأفراد والمجتمع أن يسن من النظم ويختار من العقوبات ما

يكون فيه حماية لما حمته الشريعة وحرصت على صيانتّه.

(١) الرازي، الطاهر أحمد/ مختار القاموس/ الدار العربية للكتاب/ ليبيا - تونس/ حرف العين/ ص ٤٢٠.

(٢) سورة الفتح آية (٩).

(٣) المعلمي، يحيى عبد الله/ كلمات قرآنية أو مفردات قرآنية/ دار المعلمي للنشر/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م/ ص ٢٤٧.

(٤) ابن قدامة/ المغني/ ١٢/ ص ٥٢٣، الكاساني/ بدائع الصنائع/ م ٩/ ص ٢٧٠.

(٥) صحيح ابن حبان/ كتاب العلم/ ذكر الأمر باقالة زلات أهل الهيئة/ ج ١/ ص ٢٩٦/ رقم (٩٤).

(٦) أبو يعلى الفراء الحنبلي، محمد بن الحسين/ الأحكام السلطانية/ دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت لبنان /

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م/ ص ٣١٧.

وهو مشروع في الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾^(١) وعن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال "من أعطى زكاة ماله مؤتجراً فله أجرها ومن منعها فإننا آخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا ليس لآل محمد منها شيء"^(٢) وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به"^(٣) كما ضرب علي بن أبي طالب بريرة جارية عاتشة لتقر بما عندها في واقعة الإفك وكان هذا الضرب بحضرة رسول الله ﷺ وأقره على ذلك، وكذلك اجتهد أبي بكر في قتال ما نعي الزكاة ولم يرد بذلك نص، وفعل علي مع المرأة التي أخفت كتاب حاطب بن أبي بلعثة إذ هددها وأرهبها بما لا يجوز شرعاً من كشف سترها حتى أخرجت الكتاب وهذه الوسيلة في كشف الحق من السياسة الشرعية^(٤) ومن الأئمة من يرى التعزير بالقتل كأبي حنيفة ومالك للمصلحة كقتل المكثر من اللواط وقتل القاتل بالمتقل، ويرى مالك قتل الجاسوس المسلم تعزيراً^(٥) كما يكون التعزير بالحبس أو بالصنع أو بتعريك الأذن وقد يكون بالكلام العنيف أو الضرب أو بنظر القاضي إليه بوجه عبوس وليس فيه شيء مقدر إنما هو مفوض إلى رأي الإمام على ما تقتضي جنائتهم^(٦) إن هذه الصلاحيات الواسعة التي منحها الشارع الحكيم لولي أمر المسلمين في اختيار العقوبة المناسبة كقيلة بحفظ أمن المجتمع والحد من انتشار الفاحشة فيه.

(١) سورة النساء آية (٣٤).

(٢) أبو داود/ كتاب الزكاة/ باب في زكاة السائمة/ ج ٢/ ص ١٠١/ رقم ١٥٧٥.

(٣) رواه الترمذي/ باب ما جاء في حد اللوطي/ ج ٤/ ص ٥٧/ رقم ١٤٥٦.

(٤) ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر/ الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية/ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان/ ط ١/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م/ ص ١٣-١٤.

(٥) ابن قيم الجوزية/ الطرق الحكيمة/ ص ٢٠٧.

(٦) الزيلعي/ تبين الحقائق شرح كنز الدقائق/ ص ٢٠٨.

كما أن نظام التعزير في الإسلام "لا يُعرف له نظير في الأنظمة الوضعية حديثها وقديمتها التي تتقيد القضاة بنصوص جامدة دون مراعاة للظروف والمصالح ودواعي الأمن وسعادة المجتمع، وبهذا التشريع يُدعم سلطان الدولة وتُفرض هيبتها في أنظار المجرمين والمنحرفين".^(١) إذ أنه لا يزال هناك من الناس من لا ينفع معهم وازع العقل! ولا وازع الضمير! ولا وازع الترهيب والترغيب! ولا وازع الضغط بنقمة الرأي في المجتمع! فكان لا بد من وازع أعظم! هو وازع السلطان الذي قيل فيه "إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".^(٢) وكلما تقدم الزمن وتوسّع الناس في مجال الاتصالات وضعف سلطان الدين في النفوس تجرأ الناس على أنواع جديدة من المعاصي وهذا ما جعل الإسلام يشرع العقوبة التعزيرية ليوكب جميع العصور وليضرب بيد من حديد على يد الجناة الذين يحدثون في كل يوم فجوراً جديداً، ومما لا شك فيه أن التلويع بالعقوبة وممارستها وتطبيقها بالفعل على كل من يستحقها هو نوع من التربية الراقية "التربية بالترهيب" فالعقوبة تُحدث إيلاً جسدياً ومعنوياً، وهذا ملاحظ في البلاد العربية أن مستوى الجريمة والإرهاب أقل فيها بكثير من بقية دول الغرب التي تطبق القوانين الوضعية.^(٣) ففي تطبيق العقوبة التعزيرية حماية للأفراد من الانزلاق في المعاصي التي لا حد فيها ولا كفارة وحماية للقيم الإسلامية بالعدل الذي هو حق في الشرع الإسلامي.

(١) كرزون، أحمد حسن/ الهداية الربانية إلى الصواب الأمنية في القرآن الكريم/ دار ابن حزم للطباعة/ بيروت - لبنان/

ط١/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م/ ص٢٥٦.

(٢) الشيباني، عمر محمد التومي/ فلسفة التربية الإسلامية/ ليبيا/ ١٣٩٤هـ - ١٩٨٥م/ ط٥/ ص٢٦٤.

(٣) حسين، جمال محمد أحمد/ التربية الإيمانية وأمن المجتمع/ ط١/ ٢٠٠١م/ ١٤٢١هـ/ ص١٢٥.

المطلب الثاني: ما هي الجرائم التي تطبق فيها العقوبة التعزيرية؟

لا تخرج المعاصي التي تندرج تحت هذا الصنف عن أحد هذه الأنواع: -

نوع شرع في جنسه الحد ولكن لا حد فيه. كالشروع في مقدمات الزنا.

ونوع شرع فيه الحد ولكن امتنع الحد فيه لوجود شبهة. كوطء الزوجة في دبرها.

ونوع لم يشرع فيه ولا في جنسه الحد كتطيف المكيال، وأكل الميتة وأكل الربا.. (١)

ومن الجرائم التي لم يشرع فيها حد ولا كفارة وعلى الإمام تطبيق العقوبة التعزيرية فيها جرائم اللواط، والسحاق، وإتيان البهائم، والاستمنااء.

المطلب الثالث: اللواط

اللواط لغة: أصله لاوط: أي عمل عمل قوم لوط، واللواط: الشيء اللازق، واللوطي من عمل

عمل قوم لوط. (٢)

اللواط اصطلاحاً: إدخال الحشفة في دبر ذكر. (٣)

وفي القرآن الكريم: أطلق على اللواط اسم الفاحشة، قال تعالى: ﴿ ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون

الفاحشة وأنتم تبصرون. أننكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون﴾. (٤)

ونلاحظ من الآية الكريمة دقة التعريف القرآني للواط: فاللواط: هو الرجل الذي يأتي الرجال

شهوة من دون النساء.

(١) عودة، عبد القادر/ التشريع الجنائي الإسلامي/ م١/ص١٤٩.

(٢) إبراهيم أنيس ورفاقه/ المعجم الوسيط/ ج٢/ص٨٤٩.

(٣) ابن عرفة الدسوقي/ الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي/ م٦/ص٣٠٢.

(٤) سورة النمل آية (٥٤-٥٥).

حكم اللواط وعقوبته: -

حرّم الإسلام اللواط تحريماً قطعياً، وعذب الله قوم لوط حين عملوا هذه الفاحشة ما لم يعذب به أحداً، لما أصابت فطرتهم الانحراف والشذوذ وسرت هذه العادة الخبيثة في مجتمعهم.

وقد اختلف العلماء في عقوبة مرتكب فاحشة اللواط على ثلاثة أقوال:

القول الأول: قتل الفاعل والمفعول به. (إذا كان راضياً) سواء كانا محصنين أو بكرين أو أحدهما محصناً والآخر بكرأ واختلفوا في كيفية القتل فقال بعضهم: - يقتل بالسيف، وقال آخرون: يرمج بالحجارة، وقال غيرهم: يحرق بالنار، وهناك من خالفهم فقال: يرفع على أعلى بناء في البلد فيرمى منه منكساً ويتبع بالحجارة - وذهب إلى ذلك الإمام مالك وهو أحد قولي الشافعي وأحدى الروایتين عن أحمد^(١) واستدلوا بما رواه ابن عباس أن النبي ﷺ قال "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به"^(٢)

القول الثاني: أن اللواط زنى فيجلد مرتكبه مائة إن كان بكرأ ويغرب سنة، ويرجم إن كان محصناً وقال بهذا أبو يوسف ومحمد والشافعي^(٣) إذ في اللواط معنى الزنا لأن فيه قضاء الشهوة بسفح الماء في محل مشتبه.

القول الثالث: أن اللواط لا يقتل ولا يحد حد الزنا، وإنما يعزر بالضرب والسجن ونحو ذلك، وهذا قول أبي حنيفة. واحتج أصحاب هذا القول: بأن اختلاف الصحابة في عقوبته يدل على أنه ليس فيه نص صحيح، وأنه من مسائل الاجتهاد، والحدود تدرأ بالشبهات. كما أنه لا يُسمى زنى

(١) تبين المسالك/ ص ٤٩١. المهذب في فقه الشافعي/ ص ٣٣٩.

(٢) سبق تخريجه ص ١٥٧.

(٣) الزيلعي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق/ ٣/ ص ٥٧٧.

لوجود الفارق بينهما إذ لكل منهما اسم خاص، ولأن الزنا يفضي إلى الاشتباه في النسب بخلاف اللواط.^(١)

المطلب الرابع: السحاق

معنى السحاق: هو العلاقة الجنسية بين امرأتين.^(٢) أو هو فعل النساء بعضهم ببعض، وكذلك فعل الم محبوب بالمرأة يسمى سحاقاً^(٣) ويقال امرأة سحاقة أي نعت سوء لها.^(٤) وهو محرم لأن فيه هتك للستر، وكشف للعورة، ومخالفة لأمر الله بحفظ الفرج، قال تعالى في معرض الثناء على المؤمنين: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فاتهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾.^(٥) فمن ابتغى وراء الزوجات وملك اليمين فقد تعدى الدائرة المباحة، ووقع في الحرمات، واعتدى على الأعراض. عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: "لا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد."^(٦) وهذا الحديث صريح في تحريم السحاق أيضاً. ولا حد في المساحقة. قال الباجي: ليس في عقوبتها حد وذلك يرجع إلى اجتهاد الإمام فيلزم فيه التعزير.^(٧)

(١) الشنقيطي/ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ م٢/ص٢٧. وللإستزادة في تفصيل أقوال الفقهاء في اللواط انظر

كحالة، عمر رضا/ الزنا ومكافحته/ مؤسسة الرسالة/ ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م/ ص١٥٧-١٦٠.

(٢) المجدوب، أحمد علي/ العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية/ ص٣٤٢.

(٣) الشرح الكبير مع حاشية التسوقي/ م٦/ ص٣٠٦.

(٤) الفيروز أبادي/ القاموس المحيط/ ص٢٥٢.

(٥) سورة المؤمنون (٥-٧).

(٦) رواه مسلم/ كتاب الحيض/ باب تحريم النظر إلى المورات/ ج١/ ص٢٦٦/ رقم ٣٣٨.

(٧) ابن فرحون المالكي/ تبصرة الحكام/ م٢/ ص١٧٤.

المطلب الخامس: إتيان البهيمة

ليس في القرآن الكريم إشارة إلى مثل هذا النوع من الشذوذ الجنسي، ولكنه محرم، ففيه عدوان، وتجاوز لما أحل الله من الزوجات وملك اليمين قال تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾^(١) ولأن وطء البهيمة من الشذوذ إذ لا يميل إليه الطبع. وذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يُعزَّر، ولا تُقتل البهيمة، وإن قتلت جاز أكلها والانتفاع بها. وذهب الإمام أحمد رحمه الله: إلى أنه يعزر وتقتل البهيمة ويحرم أكلها ويضمنها^(٢) والراجح: ما ذهب إليه الأئمة الأربعة بأن فيه التعزير إذ لم يرد نص صحيح يثبت عقوبته ولأن مثل هذا الفعل شذوذ تأباه الطباع السليمة وتعاف منه.

المطلب السادس: الاستمناء

الاستمناء أو ظاهرة العادة السرية تدخل في عموم قوله تعالى: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾^(٣) فيشملها حكم الحرمة والتعدي وتجاوز الحلال الذي أباحه الله من إتيان الزوجات وملك اليمين إلى ما حرّمه الله مما لا فائدة فيه ومما يجلب الضرر على الفرد والجماعة. عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: "لا ضرر ولا ضرار"^(٤) وقد قرر العلماء النفسيون والأطباء الأضرار البالغة التي تنشأ عن مزاولة هذه العادة كخفقان القلب

(١) سورة المؤمنون آية (٥-٧).

(٢) الزيلعي/ تبيين الحقائق/ ج ٣/ ص ٥٧٩-٥٨٠، الإحصائي، عبد العزيز آل مبارك/ تبيين المسالك/ ص ٤٩٠، الزحيلي، وهبة/ الفقه الإسلامي وأدلته/ ج ٦/ ص ٣٧. الماوردي/ الأحكام السلطانية والولايات الدينية/ ص ٢٩٠، ابن فرحون/ تبصرة الحكام/ ص ١٧٥.

(٣) سورة المؤمنون آية (٧).

(٤) الحاكم/ كتاب البيوع/ ج ٢/ ص ٦٦/ رقم ٢٣٤٥.

وضعف البصر والذاكرة، وإصابة الرئتين بالالتهابات التي تؤدي إلى السل في أغلب الأحيان، ومرض العنة^(١) والذهول والنسيان والميل إلى العزلة والشعور بالخوف والكسل ... الخ^(٢) وكل ما يسبب الضرر فإن اجتنابه واجب وفعله محرم..

أما عقوبة المستمني بيده فهي التعزير. "قال الجرجاني: إن المستمني بيده يعزر إلا إذا كان هناك باعث على فعله كأن تكون الشهوة تمكنت منه ولم يمكنه دفعها إلا بهذه الطريقة خوفاً من الوقوع في جريمة الزنا"^(٣). وقد ذهب الإمام أحمد بن حنبل: إلى جواز ذلك مقيداً ذلك بأمرين:

الأول: خشية الوقوع في الزنا. الثاني: عدم استطاعة الزواج.

ويمكن أن نأخذ برأي الإمام أحمد في حالات ثوران الغريزة إذ أن الاستمناء أهون من ضرر الوقوع في الزنا إذ ينجم عنه اختلاط الأنساب وإراقة الدماء، وإثارة الضغائن والأحقاد.^(٤) ولهذا قال الفقهاء: "إن الاستمناء باليد حرام إذا كان لجلب الشهوة وإثارتها وهي هادئة، أما إذا غلبت الشهوة بحيث شغلت البال، وأقلقت خاطر وأوقفت على باب الفاحشة، يصير الأمر جائزاً ومكافئاً بعضه بعضاً، وينجو صاحبه رأساً برأس أي لا أجر عليه ولا وزر، فلا يثاب ولا يعاقب"^(٥). وبما أن المثيرات التي تساعد على انتشار هذه الظاهرة في الوقت الحالي كثيرة، إذ يعيش الشباب والشابات في أوساط الفتنة ومظاهر الإغراء متعددة لا حد لها. وفي ظل غياب الدولة الإسلامية لا تطبق الحدود ولا العقوبات، فإن المسؤولية مُلقاة على الآباء والمربين لاستئصال هذه الظاهرة والتحذير من عواقبها الواضحة ولفت أنظار الشباب إلى النافع المفيد

(١) العنة: عدم قدرة الشاب على الزواج.

(٢) انظر: بالتفصيل أضرار الاستمناء من كتاب علوان، عبد الله ناصح/ تربية الأولاد في الإسلام/ ج ١/ ص ٢٢٩-٢٣١.

(٣) كحالة، عمر رضا/ الزنا ومكافحته/ مؤسسة الرسالة/ ١٩٧٧م - ١٣٩٧هـ/ ص ١٧٠.

(٤) القرضاوي، د. يوسف/ الحلال والحرام في الإسلام/ المكتب الإسلامي/ ط ١٥/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م/ ص ١٦١.

(٥) الحامد، محمد/ رنود على أباطيل نقلاً عن علوان، عبد الله ناصح/ تربية الأولاد في الإسلام/ ج ١/ ص ٢٣٢.

الذي يصرفهم عن الوقوع فيها كالزواج في سن مبكرة، والابتعاد عن تلك وحثهم على قضاء الوقت في النافع المفيد كحفظ القرآن والقراءة والمطالعة والرياضة وتعلم الحرف والفنون، والأخذ بالدواء النافع الذي وصفه المصطفى ﷺ بقوله "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"^(١)(٢) فكل هذه الأمور توطد دعائم التربية الإسلامية التي من شأنها تحصين الشباب من الجرائم التي تمس بصون الأعراض والأخلاق.

(١) وجاء: أصله الغمز، ومنه وجاء في عنقه إذا غمزه دافعا له، وجاء بالسيف إذا طعنه به - وقال البعض: وجاء هو الإخصاء، فاطلاق وجاء على الصيام من مجاز المشابهة . انظر فتح الباري/ م٩/ ص١٣٦ .
(٢) صحيح البخاري/ كتاب النكاح/ باب قول النبي ﷺ من لم يستطع منكم الباءة فليصم/ ج٥/ ص١٩٥٠/ رقم ٤٧٧٩ . صحيح مسلم/ كتاب النكاح/ باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم/ ج٢/ ص١٠١٩/ رقم ١٤٠٠ .

الفصل الثالث

نماذج قرآنية لأعراض افتري عليها وبرأها القرآن الكريم

المبحث الأول: مريم عليها السلام

المبحث الثاني: يوسف عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: عائشة عليها السلام

المبحث الأول: مريم ابنت عمران

لا خلاف أن مريم عليها السلام من سلالة داود عليه السلام، ويتدبر سورة آل عمران في القرآن الكريم، نجد أن اصطفاء الله كان لأسرة آل عمران كاملة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١).

ويتضح أن الإيمان كان يعمر قلوب هذه الأسرة جميعها، حيث نذرت امرأة عمران أن تجعل ما في بطنها خالص العبادة والتبذل لله تعالى ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢) ولشرف مكانة السيدة مريم وشرف أسرتها. سمى الله سورة آل عمران باسم أهلها وسورة مريم باسمها، وفي هاتين السورتين عرضت قصة مريم عليها السلام وابنها وأهلها - كما أن الآيات الكريمات خلّدت تلك المعجزة الباهرة الدالة على قدرة الله تعالى التي لا تتقضي، وفيها البراهين الساطعة الدالة على براءة مريم عليها السلام بإنطاق الله الوليد وهو في المهد بكلام يتجلى فيه الإعجاز. قال الزمخشري: "لقد برأ الله أربعة بأربعة: برأ يوسف بلسان الشاهد (وشهد شاهد من أهلها) وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه"^(٣)، وبرأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها (إني عبد الله) وبرأ عائشة بالآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر"^(٤) ولما وضعتها أمها

(١) سورة آل عمران آية (٣٣).

(٢) سورة آل عمران آية (٣٥).

(٣) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى سواة بعض، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده، فقالوا: والله! ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أتر - الأتر: عظيم الخصيتين - ، قال: فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، قال: فجمع موسى بأثره يقول: ثوبي. حجر! ثوبي حجر! حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سواة موسى عليه السلام فقالوا: والله! ما بموسى من بأس. فقام الحجر بعد، حتى نُظر إليه، قال: فأخذ ثوبه فطقق بالحجر ضرباً) - مسلم/ كتاب الفضائل/ باب من فضائل موسى عليه السلام/ ج ١٥/ ص ١٢٤/ رقم (٦٠٩٨).

(٤) الزمخشري/ الكشاف/ ج ٣/ ص ٢٢٣.

دعت الله أن يجبرها هي وذريتها من الشيطان. قال تعالى: ﴿ فلما وضعتها قالت ربّ إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾. (١)

وقد استجاب الله تعالى لها دعائها كما تقبل نذرها. قال تعالى: ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبأها نبأاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾. (٢)

إن هذه الكرامة لمريم عليها السلام، إشارة إلى أنها ستكون محطاً لاصطفاء الله تعالى لها، لتكون أما لآية الله المعجزة الخالدة سيدنا عيسى عليه السلام. ويشهد الله تعالى لها بالبراءة والعهدة المطلقة في قوله: ﴿ وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين. يا مريم اقتنى لربك واسجدي واركعي مع الراكعين. ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إن يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾. (٣) وقوله: ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً. فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ﴾. (٤) أما الاصطفاء الذي حظيت به مريم عليها السلام كان في أمور هي: -

١. تقبل الله تعالى لها لتكون عابدة قديسة خادمة لبيت المقدس.
٢. كفلها زكريا عليه السلام وكان أميناً عليها بعدما تسابق سدنة الهيكل لكفالتها.
٣. تولى الله رزقها صيفاً وشتاءً.

(١) سورة آل عمران آية (٣٦).

(٢) سورة آل عمران آية (٣٧).

(٣) سورة آل عمران آية (٤٢-٤٤).

(٤) سورة مريم آية (١٦-١٧).

٤. استجاب الله دعوة أمها حين أعادتها بالله وذريتها من الشيطان الرجيم، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إلا مريم وابنها)^(١) ثم يقول أبو هريرة قرأوا إن شئتم: (وإني أعيذا بك وذريتها من الشيطان الرجيم).

٥. "اختارها الله من دون نساء الأرض لتلقي النفخة مباشرة، كما تلقاها أول هذه الخليقة آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً﴾ " أي تحنت عنهم واعتزلتهم منفردة مما يلي شرقي بيت المقدس أو شرقي دارها منشغلة بالعبادة".^(٢) ثم تُفاجأ في هذا المكان الذي اعتادت الخلوة فيه بوجود رجلا وهو في الحقيقة الملك "جبريل عليه السلام" تمثّل بصورة رجل. قال تعالى: ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً﴾.^(٣) والروح هو جبريل عليه السلام. وقال تعالى: ﴿إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾.^(٤) وكلا الآيتين المبشّر فيهما جبريل عليه السلام، ولكن القرآن الكريم عبر عن الفرد بلفظ الجمع في آل عمران لأن في ذلك تفضيل وتعظيم لجبريل عليه السلام لأنه أفضل الملائكة. أما في اسناد الهبة إلى جبريل عليه السلام "ليكون سبباً في هبة الغلام بالنفخ في الدرع الذي وصل إلى الفرج".^(٥) وهذا التفسير لا ينافي قوله تعالى: ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾.^(٦) وقوله: ﴿والتي أحصنت فرجها

(١) البخاري/ كتاب التفسير/ باب قوله (واذكر في الكتاب مريم) // ج٣/ ١٢٦٥/ رقم ٣٢٤٨. مسلم/ كتاب الفضائل/ باب فضائل عيسى عليه السلام/ ج٤/ ص١٨٣٨/ رقم ٢٣٦٦.

(٢) تفسير الرازي/ ج١١/ ص١٩٧.

(٣) سورة مريم آية (١٧).

(٤) سورة مريم آية (١٩).

(٥) الشنقيطي/ أضواء البيان/ م٢/ ص٤٥٩.

(٦) سورة التحريم آية (١٢).

ففنخنا فيها من روحنا»^(١) لأن النفخ وصل إلى الفرج عن طريق الردع ... إلا أن مريم عليها السلام تلجأ إلى الله تعالى تستعيز وتستجد به وتتكبر هذا الرجل بتقوى الله تعالى وخشيته وفي هذا دلالة مطلقة على ورعها وعفافها. ثم ذكر الملك صفات هذا الغلام الزكي الطاهر من الذنوب والمعاصي، كثير البركات، صاحب الوجاهة والمنزلة في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين. ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين﴾^(٢) ففي قوله (بكلمة منه): - (من) ابتداء الغاية وذلك لأن في حق عيسى عليه السلام لما لم تكن واسطة الأب موجودة، صار تأثير كلمة الله في تكوينه وتخليقه أكمل وأظهر. (اسمه المسيح عيسى) قدم الله لقبه على اسمه ليفيد أنه شريفاً رفيع الدرجة، ونسبه إلى أمه: ليكون ذلك إعلماً لها بأنه محدث بغير أب فكان ذلك سبباً لزيادة فضله وعلو درجته.^(٣) وفي ذلك نفي لما أضافه إليه النصارى الكافرون حيث جعلوه ابناً لله تعالى فهو ابن مريم وليس ابناً لله.^(٤)

أما لفظه (المسيح): فهي مشتقة وفي معناها وجوه: -

قال ابن عباس: سُمي مسيحاً لأنه كان يمسح الأرض، وقيل: أنه كان يمسح رأس اليتامى لله، وقيل: لأنه مُسح من الأوزار والآثام، وقيل: لأنه ممسوح التدمين فلم يكن فيهما خمص.^(٥) وقيل:

(١) سورة الأنبياء آية (٩١).

(٢) سورة آل عمران آية (٤٥-٤٦).

(٣) الرازي/ م/ ٤/ ج/ ٨/ ص ٥٢.

(٤) الطبري/ ج/ ٢/ ص ٢٦٩.

(٥) الرازي/ م/ ٤/ ج/ ٨/ ص ٥٣.

لأن الله مسح بالبركة ومسحه فطهره من الذنوب. ^(١) (وجيهاً في الدنيا والآخرة) - الوجيه: ذو الجاه والشرف والقدر. - وللمفسرين أقوال: -

١. أنه كان وجيهاً في الدنيا بسبب النبوة وفي الآخرة بسبب علوا المنزلة عند الله.
٢. أنه وجيه في الدنيا لأنه كان مبرراً من العيوب التي وصفه اليهود بها، ووجيه في الآخرة بسبب كثرة ثوابه وعلو درجته عند الله.
٣. أنه وجيه في الدنيا لأنه يستجاب دعاؤه ويحي الموتى ويبرئ الأكمة والأبرص. وفي الآخرة: وجيه لأنه يجعله مقبول الشفاعة في أمته المحقين. ^(٢)

وقال: ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جنتكم بأية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمة والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴾. ^(٣)

قال تعالى: ﴿ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ﴾ ^(٤) ، واستنكرت بشرى الغلام فهي الطاهرة العفيفة ولم تتزوج بعد ولم تك بغياً فهي من أسرة طاهرة معروفة بالورع والدين والعفة. كما أنها متبلة منقطعة للعبادة وفي تفسير تعوذها وجوه: -

أحدها: أرادت إن كان يُرجى منك أن تتقي الله ويحصل ذلك بالاستعاذة به فإني عائذة به منك، لأنها علمت أن الاستعاذة لا تؤثر إلا في التقى.

وثانيها: - أن معناه ما كنت تقياً حيث استحللت النظر إليّ وخلوت بي. ^(٥)

^(١) الطبري/ م ٢/ ص ٢٧٠.

^(٢) الرازي/ م ٤/ ج ٨/ ص ٥٦-٥٧.

^(٣) سورة آل عمران آية (٤٨-٤٩).

^(٤) سورة مريم آية (١٨).

^(٥) تفسير الرازي/ م ١١/ ج ٢١/ ص ١٩٩.

وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ وَلَمْ أَكْ بِغَيًّا ﴾^(١) وقال:

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ ﴾^(٢) وبعد هذا التساؤل الذي يَنُمُّ عن الحيرة والدهشة والقلق بوجود طفل بلا أب! يبين لها جبريل عليه السلام: أن هذا الأمر الخارق هين على الله تعالى. ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيُّ هَيْنَ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾^(٣) وقال: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾^(٤)

وأن هذا الطفل سيكون آية وعلامة دالة على كمال قدرة الله تعالى وستكون أمه آية أيضاً في العفة والطهارة ومضرب المثل في الإيمان قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾^(٥) وقال: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾^(٦) وضرب الله بها المثل في الإيمان بقوله: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَتَبْنَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَائِمِينَ ﴾^(٧) و(أحصنت) أي عن الفواحش لأنها قذفت بالزنا وقيل (أحصنت) تكلفت في عفتها. وضرب المثل بمريم عليها السلام فيه إشارة إلى أن إحصان المرأة وعفتها مفيدة غاية الإفادة - كما أفاد مريم عليها السلام. ^(٨) وخلق عيسى عليه السلام بلا أب أمرٌ قد قدره الله تعالى وجف به القلم قال تعالى: ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾^(٩)

^(١) سورة مريم آية (٢٠).

^(٢) سورة آل عمران آية (٤٧).

^(٣) سورة مريم آية (٢١).

^(٤) سورة آل عمران آية (٤٧).

^(٥) سورة الأنبياء آية (٩١).

^(٦) سورة المؤمنون آية (٥٠).

^(٧) سورة التحريم آية (١٢).

^(٨) الرازي/م ١٥٠ / ج ٣٠ / ص ٥١.

^(٩) سورة مريم آية (٢١).

وبعد ولادتها لعيسى وعند مواجهتها القوم بابنها حدث ما توقعته مريم عليها السلام من التقرع واللوم والاستهزاء المرير. قال تعالى: ﴿ فَأَنْتَ بِهِ قَوْمًا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾^(١) قال أبو عبيده: الفري:- العجيب النادر وقال مجاهد: الفري:- العظيم^(٢) أما براءة مريم ابنت عمران تظهر عندما أشارت إلى الوليد ليتكلم مدافعاً عنها قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبِرَأٍ بَوَالِدَيْهِ وَمَا كُنْتُ بِشَاقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾^(٣)

وهذا الأمر الخارق للعادة:- تَكَلَّمَ عيسى عليه السلام في المهد - دليل صادق على أن حمل مريم عليها السلام من غير زوج هو أمر حدث بقدرة الله تعالى التي لا يحدها شيء، وبذلك تستحق مريم العابدة القديسة أن تكون أهلاً للاصطفاء والاختيار وأماً لعيسى عليه السلام وتستحق أن تكون خير نساء الأرض ومضرب للمثل في الإيمان. عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله ﷺ: " خير نساءها مريم بنت عمران، وخير نساءها خديجة بنت خويلد^(٤) وعن أبي موسى الأشعري قال قال ﷺ: "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران . وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام".^(٥)

(١) سورة مريم آية (٢٧-٢٨).

(٢) الشوكاني/ فتح القدير/ م٣/ ص ٣٣١.

(٣) سورة مريم آية (٢٩-٣٣).

(٤) البخاري/ كتاب مناقب الأنصار/ باب تزويج النبي ﷺ خديجة رضى الله عنها/ ج٣/ ص١٣٨٨/ رقم ٣٦٠٤ .

(٥) البخاري/ كتاب الأنبياء/ باب قوله تعالى "وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون/ ج٣/ ص١٢٦٥/ رقم ٣٢٤٩.

مسلم/ كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل خديجة رضى الله عنها/ ج٤/ ص١٨٨٦/ رقم ٢٤٣٠.

المبحث الثاني: يوسف عليه الصلاة والسلام

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، قال فيه رسول الله ﷺ "إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم".^(١) وعن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ (أي الناس أكرم؟ قال: أكرمهم عند الله أتقاهم.. ، قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: "أكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله ... الحديث"^(٢) وأثنى رسول الله ﷺ على صبر يوسف عليه السلام حيث قال "نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: (رب أرني كيف تحيي الموتى) ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي"^(٣) ففي قوله (نحن أحق بالشك من إبراهيم) معنيان:

أحدهما: أنه خرج مخرج العادة في الخطاب. فإن من أراد المدافعة عن إنسان قال للمتكلم فيه: ما كنت قاتلاً لفلان أو فاعلاً معه من مكروه فقله لي وافعله معي، ومقصودة لا نقل ذلك فيه.

والثاني: معناه أن هذا الذي تظنونه شكاً أنا أولى به فإنه ليس بشك وإنما هو طلب لمزيد اليقين.

١. وقوله (ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد) الركن الشديد: هو الله تعالى، فإنه أشد الأركان وأقواها وأمنعها والمراد: أن لوطاً عليه الصلاة والسلام لما خاف على أضيافه ولم

(١) البخاري/ كتاب المناقب/ باب من انتسب إلى أبائه في الإسلام والجاهلية/ ج٣/ ص١٢٩٨/ رقم ٣٣٣٥.

(٢) البخاري/ كتاب التفسير/ باب لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين/ ج٤/ ص١٧٢٩/ رقم ٤٤١٢.

(٣) البخاري/ كتاب التفسير/ باب قوله فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك/ ج٤/ ص١٧٣١/ رقم ٤٤١٧. مسلم/ كتاب

الفضائل/ باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام/ ج٤/ ص١٨٣٩/ رقم ١٥١.

تكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين، ضاق ذرعه واشتد حزنه، فقال لهم: لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسي أو أوي إلى عشيرة تمنعكم لمنعتكم. وقصد لوط بذلك: إظهار العذر عند أضيافه، وتطبيب قلوبهم. (ولو لبثت في السجن ..) هو ثناء على يوسف عليه السلام، وبيان لصبره وتأنيبه، فلم يخرج مبادراً إلى الراحة ومفارقة السجن، بل تثبت وراسل الملك في كشف أمره الذي سجن بسببه. وقال النبي ﷺ ما قاله: تواضعاً وإيثاراً للإبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف عليه الصلاة والسلام.^(١) لقد اختار الله نبيه يوسف عليه السلام للنبوة وأكرمه بها، وميزه بشخصية موهوبة وصفات جليلة كالجمال، والعلم، والملك، والعفة والنزاهة، والصدق.

والذي يهمننا من قصة يوسف عليه السلام في هذا البحث جانب الابتلاء الذي تعرض له في قصر العزيز .. وهو إرادة النيل من شرفة وإيقاعه في الفاحشة. وإبراز ولكنه عليه الصلاة والسلام رسخ كالجبال الرواسي على الإيمان ومبدأ النزاهة والعفة. فقد جاء في السنة أن من السبعة الذين يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله "رجل دعت امرأته ذات منصب وجمال. فقال: إني أخاف الله".^(٢) ويوسف في هذا الموطن الخطير أحق من يخاف الله.

وبدأ القرآن الكريم بسرد القصة في قوله تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ...﴾^(٣) والمراد أنها دبرت الموضوع بدهاء واحتيال حيث غلقت الأبواب وعرضت نفسها لسيدنا يوسف عليه السلام صراحة - وهذه خطوة لم تقدم عليها إلا وأنها تعتبر نهاية المطاف بالنسبة لها ولا بد أن يكون سبقها الدعوة بالتلميح وخاصة أنهما في

(١) النووي/ شرح صحيح مسلم/ ج ٢/ ص ٣٦١-٣٦٢.

(٢) البخاري/ كتاب الزكاة/ باب الصدقة باليمين/ ج ٢/ ص ٥١٧/ رقم الحديث (١٣٥٧). البخاري/ كتاب الأذان/ باب من جلس ينتظر الصلاة وفضل المساجد/ ج ١/ ص ٢٣٤/ رقم ٦٢٩. مسلم/ كتاب الزكاة/ باب فضل إخفاء الصدقة/ ج ٢/ ص ٧١٥/ رقم ١٠٣١.

(٣) سورة يوسف آية (٢٣).

منزل واحد وهذه البيئة المترفة التي تعيش فيها وهذا الزوج قليل الغيرة لم يكونا ليوقعا في نفسها أدنى تأثير بأن تخجل من موقفها أو تخشى عقاباً من زوجها أو مجتمعها إضافة إلى أن الفارق في المستوى الاجتماعي والمادي بينها وبين يوسف عليه السلام واضح فهي السيدة الأمرة وهو العبد المأمور - وكأنها تعتقد (أن هذا تفضُّلٌ منها عليه ولا بد أن يطيع بل هي فرصة لم يكن يتوقعها أبداً).^(١)

١. إلا أن رد يوسف عليه السلام جاء مناسباً لصراحتها الوقحة المخلة بحدود الحياء والأدب الخارجة عن إطار ما تتحلى به النساء من الحياء وفي هذه الأمور خاصة . ثم إن رد يوسف عليه السلام يُعبّر بشكل واضح عما في داخله من إيمان عميق ومبدأ راسخ لا يلين.. لأنه لم يفكر ولم يعرض الموضوع على عواطفه! فهو ليس بحاجة إلى دراسة. (قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثوأي إنه لا يفلح الظالمون) ففي قوله (معاذ الله) استجارة واستغاثة والتجاء إلى الله ليعصمه من الزلل. وفي قوله (إنه ربي أحسن مثوأي) اعتراف بفضل زوجها عليه وتذكير لتلك المرأة بحق زوجها عليها بحفظ عرضها وعدم خيانتها في نفسها، أو اعتراف بفضل الله عليه ونعمه، وأن الرب المعبود يستحق الثناء إزاء نعمه والتقوى والخشية بفعل الطاعات وترك المعاصي. وفي قوله (إنه لا يفلح الظالمون) تذكير لها بأن الفلاح والنور والنجاة من عذاب الله في الدنيا والآخرة لا يكون إلا بفعل الطاعات، ومراعاة حدود الله بعدم انتهاك حرمانه. وقد ظنت أنها بإغلاق الأبواب سترغمه على الموافقة والاستسلام، ولكن هذا مالا يمكن أن يحصل. قال القشيري في اللطائف: " لما غلقت عليه أبواب المسكن فتح الله عليه باب العصمة فلم يضره ما أغلق بعد اكرامه بما فتَّح".^(٢)

(١) نوفل، د. أحمد نوفل/ سورة يوسف (دراسة تحليلية) // دار الفرقان - عمان الأردن/ ط١/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م/ ص٣٣٨.

(٢) المصدر السابق/ ص٣٣٨.

وقد ذهب علماء التفسير في تفسير قوله تعالى ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رءا برهان ربه ﴾ على النحو التالي:-

١. ذهب جمهور المفسرين على أنها همت به هم الفعل، وهم بها هم النفس ثم تجلّى له برهان ربه فترك أي أن الهم الذي كان من يوسف عليه السلام هو خطرات حديث النفس.^(١) واستشهدوا لذلك بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " يقول الله تعالى: ﴿ إذا همّ عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة. فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها وإن همّ بسينة فلم يعملها فاكتبوها حسنة. فإنما تركها من جرّائي. فإن عملها فاكتبوها بمثلها ﴾. ^(٢)
٢. وذهب الشيخ رشيد رضا وأبو بكر الجزائري في تفسيرهما إلى أنها همت بضربه نتيجة إبانته وإهانته لها وهي السيدة الأمّرة، وهم سيدنا يوسف عليه السلام برد الاعتداء، ولكنه أثر الهرب فلحقت به وقّدت قميصه من دبر. ^(٣) وردّ سيد قطب على تفسير الشيخ رشيد رضا بأن تفسير الهم بالضرب أمر لا دليل عليه وفيه تكلف وإبعاد عن مدلول النص - ولكن الآية هي تصوير واقعي صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة والضعف. ثم الاعتصام بالله في النهاية والنجاة. ^(٤)

(١) قطب، سيد/ في ظلال القرآن/ م٤/ج١٢/ ص١٩٨١. ابن كثير/ مختصر تفسير ابن كثير/ تحقيق محمد علي الصابوني/ ج٢ / ص٢٤٣. البيضاوي/ تفسير البيضاوي (أنوار التزيل وأسرار التأويل)/ م٣/ ص٢٨٢، النسفي/ تفسير النسفي/ م٢/ ص٧٦١.

(٢) صحيح مسلم/ كتاب الإيمان/ باب إذا همّ العبد بحسنة كتب وإذا هم بسينته لم تكتب/ ج١/ ص١١٧/ رقم الحديث ١٢٩.
(٣) رضا، محمد رشيد/ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار/ دار المعرفة، بيروت - لبنان / ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م/ م١٢/ ص٢٧٩ الجزائري، أبو بكر جابر/ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير/ مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة/ ط١/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م/ م٢/ ص٦٠٥.

(٤) قطب، سيد/ في ظلال القرآن/ م٤/ ج١٢/ ص١٩٨١.

٣. واختار أبو حيان والصابوني والشنقيطي أن الهم لم يقع من يوسف عليه الصلاة والسلام البتة بل هو منفي لوجود رؤية البرهان فانتهى الهم كما تقول: قارفت الذنب لولا أن عصمك الله. (١) كما أن شهادة الشهود دلالة على براءة يوسف عليه السلام مما نسب إليه. فالهم الذي كان من يوسف عليه الصلاة والسلام لا يعدو أن يكون حديث نفس، دون أن يكون هناك أي نية للإقدام على الفعل فهو مجرد تفكير في هذا الإغراء، ثم عصم نفسه بالالتجاء إلى الله تعالى إذ به يرتقي الإنسان على حيل الشيطان وتزيينه للباطل، أما الأقوال التي نقرأها في بعض كتب التفسير ممن نسبوا المعصية والهم القبيح ليوسف عليه الصلاة والسلام معتمدين في ذلك على الإسرائيليات فهو مرفوض البتة إذا أن كل الدلائل والعلامات تشهد ببراءة يوسف عليه الصلاة والسلام، (٢) وفي قصة يوسف عليه الصلاة والسلام فوائد جمة ومن أهم هذه الفوائد في نطاق موضوعنا: -

إن العفة والأمانة والاستقامة مصدر الخير كله للرجال والنساء على حد سواء وأن الاستمسك بالدين والفضيلة مصدر الاحترام وحسن السمعة.

كما إن مثار الفتنة هو خلوة الرجل بالمرأة لذا حرمها الإسلام.

وأن الإيمان بالمبدأ، وصلابة الاعتقاد سبيل لتخطي الصعاب والترفع عن الدنايا، وذلك هو الذي جعل ليوسف نفساً كريمة وروحاً طاهرة وعزيمة لا تلين أمام الشهوات والمغريات.

(١) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف/ تفسير البحر المحيط/ دراسة وتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض/ تقرّظ الدكتور: عبد الحي الفرماوي/ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان/ ط١/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م/ ص ٢٩٥.

(٢) للاستزادة من هذه الأقوال والرد عليها انظر: تفسير الرازي/ ج ٩/ ص ١٢٢-١٢٣.

المبحث الثالث: عائشة زوج رسول الله ﷺ

نسبها: - هي عائشة بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي،^(١) أمها: أم رومان بنت عمير بن عامر بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة.^(٢) تميزت السيدة عائشة رضي الله عنها بسرعة بديحتها وشدة ذكائها وجرأتها في الحق وكانت على جانب كبير من الحكمة والبلاغة، كما تميزت بشدة الحياء حيث إنها كانت تدخل البيت الذي دُفن فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه وهي واضعة ثوبها، وتقول "إنما هو زوجي وأبي" ، فلما دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه معها، كانت لا تدخله إلا مشدودة عليها ثيابها حياة من عمر. وقد كانت رضي الله عنها من الزهد والورع والعبادة بمكان كبير يقول (عروة بن الزبير) - ابن أختها أسماء - واصفاً مظهرها من عبادتها: كنت إذا غدوت أبداً ببيت عائشة رضي الله عنها: فأسلم عليها فغدوت يوماً. فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ، وتدعو، وتبكي، فقامت حتى أطلت القيام فذهبت إلى السوق لحاجتي ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي. وعن صومها، قال القاسم بن محمد: " كانت عائشة أم المؤمنين تصوم وتصلي حتى يتعبها الصوم".^(٣) أما عن علمها: فقد اشتهرت بالبلاغة ورواية الشعر ورواية الحديث والفقه، يقول الأحنف بن قيس عن بلاغتها: سمعت خطبة أبي بكر وعثمان وعمر وعلي .. وهلم جرا إلى يومي هذا فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه

(١) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري/ الطبقات الكبرى/ دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان/ ط١/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م/ ج٨/ ص٤٦.

(٢) ابن سعد/ الطبقات الكبرى/ م٨/ ص٤٦.

(٣) أبو نعيم الاصفهاني، أحمد بن عبد الله/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت، لبنان/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م/ م٢/ ص٤٧.

في في عائشة^(١) وكانت تتباهي رضي الله عنها بقولها: فضلت على نساء النبي ﷺ بعشر قيل: ما هن يا أم المؤمنين؟ قالت: لم ينكح بكرة قط غيري، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري، وأنزل الله براءتي من السماء، وجاء جبريل بصورتني من السماء في حريرة. وقال: تزوجها، فإنها لمرأتك فكننت أغتسل أنا وهو من إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري، وكان ينزل عليه الوحي وهو معي ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيري، وقبض الله نفسه وهو بين سحري ونحري، ومات في الليلة التي كان يدور عليّ فيها ودفن في بيتي".^(٢) توفيت رضي الله عنها في شهر رمضان ليلة السابعة عشرة. سنة ثمان وخمسين للهجرة ولها من العمر ست وستون سنة، ودفنت في البقيع ليلاً بعد صلاة الوتر رحمها الله ورضي عنها.^(٣) ومع كل هذه الصفات والمناقب العظيمة لم تسلم رضي الله عنها من السنة المفترين الذين لفقوا لها حادثة الإفك المشينة وقالوا في حقها تلك المقولة الخبيثة الشريرة الأثمة.

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل ودنونا من المدينة قافلين، أذن ليلة بالرحيل، فقامت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقد لي من جزع ظفار^(٤) قد انقطع، فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه،

(١) المصدر السابق / م / ٢ / ص ٤٨.

(٢) ابن سعد / الطبقات / ٨ / ص ٥١.

(٣) ابن سعد / الطبقات / ٨ / ص ٦١.

(٤) جزع ظفار: جزع، خرز معروف صلب جداً في سواده بياض كالعروق. وظفار: مدينة باليمن، وقيل جبل سميت به المدينة، فاطلقت على عندها جزعا لحسن نظمه. انظر فتح الباري / ج ٨ / ص ٥٨٦.

وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحطوه على بعيري الذي كنت ركبتُ، وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يتقلهن اللحم، إنما تأكل العلقة^(١) من الطعام، فلم يستكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فأمتت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش، فأدلج^(٢) فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رأيته، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمّرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أتاخ راحلته فوطأ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين^(٣) في نحر الظهيرة^(٤)، فهلك من هلك - وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يُريبنني في وجعي أنني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف، فذاك الذي يريبنني ولا أشعر، حتى خرجت بعدما نقيت فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف^(٥) قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا

(١) العلقة: الشيء القليل الذي يسكن الرحق. وقال ابن بطال: أصلها شجر يبقى في الشتاء تتبلغ به الإبل حتى يدخل زمن الربيع. انظر فتح الباري/ ج ٨/ ص ٥٨٨.

(٢) فادلج: سار في آخر الليل. فتح الباري/ ج ٨/ ص ٥٩٠.

(٣) موغرين: أي نازلين في وقت الوغرة وهي شدة الحر، لما تكون الشمس في كبد السماء. فتح الباري/ ج ٨/ ص ٥٩٣.

(٤) نحر الظهيرة: أولها وهو وقت شدة الحر، ونحر كل شيء أوله. فتح الباري/ ج ٨/ ص ٥٩٣.

(٥) الكنف: اكتنف القوم: اتخذوا كنيفاً (مكان قضاء الحاجة)/ المعجم الوسيط/ ص ٨٠١.

فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رُهم بن عبد مناف. وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة. فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها^(١)، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بنس ما قلت، أتسيبن رجلاً شهد بدرًا؟ قالت: أي هنتاه^(٢) أو لم تسمعي ما قال؟ ا قلت وما قال؟! فأخبرتني بقول أهل الإفك؟ فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي ودخل رسول الله ﷺ، تعني سلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن استيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمّاه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنيّه هوني عليك، فوالله لقلّما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، قالت: فقلت: سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى لا يرقأ لي دمع، ولا اكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي يستأمرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الودّ، فقال: يا رسول الله أهلك، وما نعلم إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيّق الله عليك، والنساء سواها كثيرٌ وإن تسأل الجارية تصدّقك، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بربيرة، فقال: أي بربيرة، هل رأيت من شيء يربيك؟ قالت بربيرة: - لا والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها امرأة أغمصه^(٣) عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي سلول، قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: - يا معشر المسلمين من

(١) مرطها: المرط: كساء تتلفع به المرأة. انظر المعجم الوسيط/ص ٨٦٤.

(٢) أي هنتاه: حرف نداء للبعيد وقد يستعمل للقريب. ونسبت أم مسطح عائشة إلى الغفلة لإنكارها سب مسطح فخاطبتها خطاب البعيد، وقيل معنى هنتاه، امرأة وقيل: بلهي - كأنها نسبتها إلى قلة المعرفة بمكائد الناس. انظر فتح الباري/ج ٨/ص ٥٩٧.

(٣) أغمصه: أعيبه. انظر فتح الباري/ج ٨/ص ٦٠١.

يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي (وفي رواية: قد بلغني عنه أذاه في أهلي) فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أعذك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج - وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية - فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتناور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت. قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً، لا أكتحل بنوم، ولا يرقأ لي دمع يظنان أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي. قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: أما بعد: يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبروك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب إلى الله تاب الله عليه. قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقاله قلص دمعني حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيبني رسول الله ﷺ. قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن إني والله لقد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، والله يعلم أنني بريئة، لا تصدقوني بذلك، ولئن

اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أنني منه بريئة لتصدقني، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا حينئذ أعلم أنني بريئة، وأن الله مبرئني ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيأ يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمرٍ يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحدٌ من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء^(١)، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق^(٢)، وهو في يومٍ شاتٍ، من ثقل القول الذي ينزل عليه قالت: فلما سُرّي عن رسول الله ﷺ، سُرّي عنه وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها: يا عائشة أمّا الله عز وجل فقد برأك. فقالت أُمّي: قومي إليه، قالت: فقلت والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله عز وجل،^(٣) وأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...﴾^(٤) الخ العشر آيات. وقد أرادوا بهذا الحديث المفترى النيل والمساس بعرضها وعرض سيدنا محمد ﷺ القائم على صيانة الحرمات .. ولخطورة الأمر، وعظم تأثيره على النفوس، وعلى أمن المجتمع الإسلامي، وعلى صميم الأخلاق، إذ كيف يُرمى بيت النبوة ومنبع الشرف والطهارة بالفاحشة؟! ... فلم يكتف القرآن الكريم أن تدرج هذه الحادثة تحت آيات القذف والتهجم على الأعراض. بل خصهم الله تعالى بقرآن يتلى إلى يوم القيامة لأن هذا البلاء العظيم

(١) البرحاء: الشدة. ومنه برحاء الحمى/ وقيل شدة الكرب، ومنه برح بي الهم إذا بلغ مني غايته. وقال اسحاق بن راشد:

هو العرق، والمعاني متلازمة لأن البرحاء: شدة العرب ويكون عنده العرق غالباً. انظر فتح الباري/ ج٨/ ص٦١١.

(٢) (مثل الجمان من العرق) - الجمان: اللؤلؤ، وقيل حب يعمل من الفضة كاللؤلؤ فشبهت قطرات عرق الرسول ﷺ

بالجمان لمشابتها في الصفات والحسن. انظر فتح الباري/ ج٨/ ص٦١١.

(٣) صحيح البخاري/ كتاب التفسير/ باب لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون/ م٤/ ص١٧٧٤/ رقم ٤٤٧٣. صحيح مسلم/

كتاب التوبة/ باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله/ م٤/ ص٢١٣٠/ رقم ٢٧٦٩.

(٤) سورة النور آية (١١-٢٠).

الذي نزل ببيت النبوة لم يكن له إلا ما ينزل من رحمة الله من الآيات البينات حتى تُرد للنفوس الطاهرة اعتبارها ويخفف عنها من مصابها، ولتظل هذه الآيات تُتلى لتؤكد فيها براءة السيدة عائشة رضي الله عنها ولتبين عظم ذنب من رماها بهذا البهتان والزور ولتلقن الأمة دروساً تنفعهم في دينهم ودنياهم ومنها: -

- وجوب حسن الظن في المسلمين والمسلمات وتطبيق حد التذف على من خاضوا في أعراض المسلمين دون شهود أربعة عدول.
- ينبغي للمسلم أن يتحقق من صحة الأخبار والأحاديث التي يسمعها قبل تصديقها أو اشاعتها، وأن يُحسن الظن بالمؤمنين والمؤمنات، فالسلوك والسيرة الحسنة وخاصة تلك المنبثقة من بيت النبوة منبع الرسالة لهي البرهان الساطع لتكذيب الافتراءات التي تُتسح للإغارة على سياج الشرف والأخلاق والعفة التي تحيط ببيت النبوة والمجتمع الإسلامي وكما قال سيد قطب " إن هذه الحادثة لم تكن رمية للسيدة عائشة رضي الله عنها وحدها وإنما رمية للعقيدة في شخص نبيها وبانيها، ومن أجل ذلك أنزل الله القرآن ليفصل في تلك القضية المبتدعة ويرد المكيدة المدبرة، ويتولى المعركة الدائرة ضد الإسلام ورسوله"^(١) ولو أن المسلم الملتزم بمنهج الإسلام استشار قلبه هل يصدق مثل هذا القول على نفسه وأهل بيته ومن يثق بهم لمج مثل هذه الأباطيل، فمن باب الأولى أن تكون ابنة الصديق والصحابي الجليل صفوان بن المعطل موضع هذه الثقة، وما علينا إلا أن نتنبه لمثل هذه الغارات والإشاعات التي يُراد بها ضرب الإسلام وسياجه الخلقى المتين وأن لا يغيب عن أذهاننا قول المولى عز وجل ﴿لولا

(١) قطب، سيد/ في ظلال القرآن/ م٤/ ص ٢٥٠٠.

إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفاك ميبين ﴿١﴾ وفي هذه الآية الكريمة إرشاد إلى أمور هامة: -

أ. الإشارة إلى الرابطة القوية الوثيقة التي تربط بين المؤمنين بعضهم ببعض حيث يكون ما يعرض لأحدهم من عارض يمسه في دينه أو نفسه أو مقامه أو مجتمعه هو مصاب يصاب به المجتمع المؤمن كله.

ب. إن المؤمن من شأنه أن يكون ميراً من التهم بعيداً عن مواطن الشبهات ولذا فكل كلمة سوء تقال فيه هي إثم كبير وبهتان عظيم. (٢) ويتجلى دور الإيمان في تهذيب وتربية النفوس في موقف أبي أيوب الأنصاري وزوجته رضي الله عنهما، إذ قالت لزوجها: يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها. قال نعم وذلك الكذب. أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله. قال فعائشة والله خير منك (٣) - وفي قوله تعالى: ﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ...﴾ (٤) سر التعبير بـ "لولا" للتعجيز وليست للتخصيص. لأنه لا يمكن أن يأتي أربعة شهداء يشهدون على هذا المنكر وإن أمكن ذلك زوراً فإن أقوالهم ستنتفضح وتتغاير وسيقول كل واحد حسب ما تمليه عليه أوهامه وخيالاته. ولذلك قال (فاذا لم يأتوا بالشهداء) إشارة إلى أنهم لم ولن يأتوا بهم - لقد احتسبها الله للجماعة المسلمة الناشئة درساً قاسياً فأدركهم بفضلهم ورحمته ولم يمسه بعقابه وعذابه إذ أنها فعلة تستحق العذاب الذي يتناسب مع العذاب الذي سببوه لرسول الله ﷺ ولزوجه البريئة ولصديقه وصاحبه الذي لا يعلم عليه إلا خيراً. (٥)

(١) سورة النور آية (١٢).

(٢) الخطيب، عبد الكريم/ التفسير القرآني للقرآن/ دار الفكر العربي/ ج٩/ ص١٢٤٤-١٢٤١.

(٣) تفسير القرطبي/ ج١٢/ ص٢٠٢.

(٤) سورة النور آية (١٣).

(٥) قطب، سيد/ في ظلال القرآن/ م٤/ ص٢٥٠٢.

الفصل الرابع

أثر صون الأعراض على مستوى الأفراد والجماعات

المبحث الأول: أثر صون الأعراض على مستوى الأفراد ويشمل المطالب التالية:

المطلب الأول:- سلامة الأفراد من الناحية الصحية والنفسية

والمادية والاجتماعية.

المطلب الثاني: الفوز برضوان الله تعالى والنجاة من العذاب

المبحث الثاني: أثر صون الأعراض على مستوى الجماعات ويشمل المطالب

التالية:

الأثر الأول: انتشار الأمن والطمأنينة في المجتمع.

الأثر الثاني: قوة المجتمع من خلال إرساء قاعدة العفة والطهارة.

الأثر الثالث: حفظ النسل والأسر.

الأثر الرابع: تقدم وازدهار المجتمع.

المبحث الأول: أثر صون الأعراض على مستوى الأفراد

المطلب الأول: سلامة الأفراد من الناحية الصحية والنفسية والمادية والاجتماعية

أولاً: الناحية الصحية

قال تعالى ﴿ ولنذيقهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ﴾^(١) يعني نذيقهم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة. وإن كان لا نسبة له إلى عذاب الآخرة لأن عذاب الدنيا لا يكون شديداً ولا مديداً. إلا أن الحكمة مقابلة الأدنى بالأكبر لأن القرب في عذاب الدنيا هو الذي يصلح للتخويف به وإن كان قليلاً - وأما في عذاب الآخرة: فالذي يصلح للتخويف به أنه عظيم وكبير لا أنه بعيد. وفي قوله: (لعلهم يرجعون) أي يرجعون بسببه إلى الله.^(٢) ويستيقظوا ويعودوا لجادة الحق. وحينما يصون الفرد عرضه يسام من الأمراض الجنسية الفتاكة، فهناك ما يقرب من سبعين مرضاً وعارضاً مرضياً بدءاً بالالتهابات والانتانات وانتهاءً بمختلف أنواع السرطان المتسببة عن طريق ممارسة العلاقات الجنسية المحرمة ومن أخطر هذه الأمراض: -

مرض الزهري المعروف بالسفلس .. ومن آثاره الشلل والعمى وتصلب الشرايين

والذبحة الصدرية، وسرطان اللسان،

ومرض السيلان: التي يسبب التهاباً حاداً في الأجهزة التناسلية مما يؤدي إلى العقم

والتهاب المفاصل.

والقرحة اللينة: المسببة لتضخم الغدد اللمفاوية.

والالتهاب البلغمي الحبيبي، والهربس: المؤثر على جهاز المناعة.

(١) سورة السجدة آية (٢١).

(٢) الرازي/م/١٣ج/٢٥/١٨٤ - ١٨٥.

والإيدز: وهو مرض فقدان المناعة.

فهذه الأمراض المنتقلة بوساطة الشذوذ الجنسي والعلاقات المحرمة هي من ضمن العذاب الدنيوي لهؤلاء الذين ضلوا السبيل، إذ أنها لم تنتشر إلا في المجتمعات التي يمارس أفرادها العلاقات الآثمة دونما حساب ولا رقيب، فعن عبد الله بن عمر قال قال الرسول ﷺ: "يا معشر المهاجرين: خمس خصال إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركون ... وعدد منها ولم تظهر الفاحشة في قوم قط يعمل بها علانية إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم".^(١) وقد صرح أطباء الغرب بذلك .. إذ يقول أستاذ الأمراض السرطانية في جامعة باريس (جورج ماتيه) .. (الإباحة الجنسية تكلفنا غالباً ، فلقد أثبتت الإحصائيات أن سرطان عنق الرحم هو بنسبة متزايدة عند اللواتي يمارسن الجنس دون رقيب مع رفقاء عدة)^(٢) وجاء في إحصائيات دائرة المعارف البريطانية (أنه يعالج في المستشفيات الرسمية مائتا ألف مريض بالزهري، ومائة وستون ألف مصاب بالسيلان البني في كل سنة)^(٣) إن هذه الإحصائيات تلقي الضوء على مدى التدهور الأخلاقي بالنسبة للمجتمعات الغربية فالجزء من جنس العمل وقد اختاروا لأنفسهم ما هم فيه قال تعالى ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ﴾.^(٤)

ثانياً: الناحية النفسية

لا يخفى على أحد أن الفرق شاسع بين نفسية الأبوين ونفسية الزانيين - ونفسية الأبناء الشرعيين والأبناء اللقطاء. فكل من ابتغى الراحة النفسية في غير ما أباح الله فلن يجدها ولن يحصد إلا القلق النفسي، ولذا نجد المجتمعات الغربية التي حادت عن طريق الشرع هي أكثر

(١) سنن ابن ماجه/ كتاب الفتن/ باب العقوبات/ ج٢/ ص١٣٣٢/ رقم ٤٠١٩. الحاكم/ كتاب الفتن والملاحم/ ج٤/ ص٥٨٣/ رقم ٨٦٢٣.

(٢) الشريف، د. عننان/ من علم النفس القرآني/ دار العلم للملايين/ بيروت - لبنان/ ط١/ ١٩٨٧م/ ص١٩٢.

(٣) المصدر السابق. ص٢٣٧.

(٤) سورة الزخرف آية (٧٦).

المجتمعات التي ينتاب أبناءها القلق والاضطراب النفسي بالرغم من وصولها إلى أعلى درجات التقدم الحضاري، فقد تبين في آخر الإحصائيات أن نسبة الانتحار هي الأعلى في بلدان أوروبا الشمالية وهي الأرقى من الناحية المادية وقد قدمت لأفرادها كل أسباب الرفاهية المادية إلاّ السعادة، فعلى سبيل المثال (ثبت أن فرنسا استهلكت مائة وخمسة وعشرين مليون علبة منوم ومهدئ أعصاب في عام ١٩٨٢م، كما يحصل فيها سنوياً خمسة عشر ألف محاولة انتحار عند المراهقين).^(١) (وفي الولايات المتحدة الأمريكية تبين أن كل وصفة طبية من أربعة هي وصفة مهدي أعصاب، ومن كل مائة مريض يدخل عيادة الطب العام ٧٠% هم مرضى نفسيون عصبيون).^(٢) (فالشذوذ الجنسي يفسد نفسية الشباب ويزرع السلبية فيهم ولا يشبع عواطفهم وأغلب من يمارسه يتعاطى المخدرات أو الخمر لخلق جو وهمي من المتعة بداخله وهذا يجره إلى مزيد من العدائية والدمار).^(٣) إن هؤلاء الذين يسرون في مسلك الإباحية الجنسية لا يمكن أن يكونوا أصحاب نفسياً، بل يُفسر تصرفهم الإباحي هذا كتصرف تعويضي لإخفاء محاولة الشفاء من الشقاء النفسي المعنوي الذي قد يكون أحد مسبباته العجز الجنسي أو الإطلاع على بعض العلاقات الجنسية من سن الطفولة ..^(٤) وكذلك الزنا .. فهو مجرد تصريف للشهوة في حالة ضعف من الإنسان وسطوة من الشيطان سيطر فيها على عقل الزاني ووجدانه وجعل قضاء غريزته نصب عينيه وهي الهم الأكبر لديه ، لتكون المحرك الوحيد لعواطفه وتصرفاته، وبعد انقضاء الشهوة يبدأ الحصاد من القلق النفسي والتعرض للعقاب الدنيوي. أما الزانية فيضاف لها من العذاب النفسي التفكير بالطريقة التي تتخلص بها من الجنين إما بالإجهاض أو

(١) الشريف، د. عدنان/ من علم النفس القرآني/ ص ١٩٤.

(٢) المصدر السابق . ص ١٩٤.

(٣) آق بيق/ آيات قرآنية/ م ٢/ ص ١٥٨.

(٤) الشريف، د. عدنان/ من علم النفس القرآني/ ص ١٠٢-١٠٣.

القتل بعد الولادة أو تركه في المستشفى أو على قارعة الطريق وكل هذه مسببات للقلق والفرع وعدم الاستقرار فقد ثبت طبياً "أن كل إجهاض إرادي هو جرح في جسد المرأة ونفسيتها ويصعب شفاؤه تماماً دون أن يترك أثراً".^(١)

ثالثاً: الناحية المادية

قال تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾^(٢) والمراد من هذه الآية:- أن الشيطان يثير في نفوس الناس الحرص والشح والتكالب على أمور الدنيا ويأمر بالفحشاء وارتكاب المعاصي.^(٣) فمن صان عرضه وسعى لرضوان الله تعالى فإنه سيضع خشية الله ورضوانه نصب عينيه في كل أموره. ومنها كسب المال وانفاقه، فلن يكسب إلا من حلال ولن ينفق إلا في حلال .. وسيوَجِر بنفقته إن كانت في وجوه البر وعلى أهل بيته عن أبي مسعود البدرى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحسبها فهي له صدقة).^(٤) إن الذين يسعون لتحقيق رغباتهم وشهواتهم الجنسية بالطرق المحرمة يشكلون خطراً اقتصادياً على أنفسهم ومجتمعاتهم ويبرز هذا الانهيار في أمور منها: -

١. ضعف القوى: حيث يكون منهك القوى منهار العزيمة.

٢. قلة الإنتاج: لأنه سيبدد أمواله في طريق الشهوات.

(١) الشريف، د. عنان/ من علم الطب القرآني/ ص ١٨٩.

(٢) سورة البقرة آية (٢٦٨).

(٣) الطبري/ ج ٢/ ص ١٥٣.

(٤) البخاري/ كتاب النفقات/ باب فضل النفقة على الأهل/ ج ٥/ ص ٢٠٤٧/ رقم ٥٠٣٦.

٣. اتخاذ الكسب غير المشروع: لأن الماغن الوضع يريد أن يحصل على المال لإشباع نهمه المادي من أي طريق كان سواء بالمتاجرة بالأعراض أو بالأفلام الخليعة أو بالمخدرات أو ببيع كتب الفاحشة والتخصص الغرامية ... الخ.^(١)

رابعاً: الناحية الاجتماعية

عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله ﷺ: (ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء)^(٢) " لم يبيح الإسلام تصريف الشهوة الجنسية في سبل الحرام مطلقاً حتى ولو كان ذلك بالتراضي كما هو الحال في القوانين الوضعية. وإنما دعا الإسلام إلى التعفف عند عدم القدرة على الزواج في قوله: ﴿ وليستغف الذين لا يجدون نكاحاً ﴾^(٣) وفي ذلك إشارة إلى خطر الجرائم التي تنتهك بها الأعراض على الأفراد والمجتمعات. والخير في أن يصون المرء عرضه ولا يتعدى على أعراض الآخرين. إن من جملة هذه المنافع التي تتحقق على المستوى الاجتماعي في صون العرض:

- المحافظة على النسب قال تعالى: ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾^(٤) وقال عز وجل ﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾^(٥) فهذا التعارف لا يكون إلا بالمحافظة على الأنساب فتظهر البنوة والأخوة والعمومة والقرباة ولا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا كان تصريف الشهوة عن طريق حلال لا يخشى معه المرء أن ينسب الطفل لنفسه ولا يتهرب من تبعات النفقة والتربية، وحينما تُوثق الروابط الاجتماعية

(١) علوان، عبد الله ناصح/ تربية الأولاد في الإسلام/ ج٢/ ص٥٤٤-٥٤٥.

(٢) البخاري/ كتاب النكاح/ باب ما يُنتقى من شؤم المرأة/ ج٥/ ص١٩٥٩/ رقم ٤٨٠٨. مسلم/ كتاب الذكر والدعاء/ باب أكثر أهل الجنة الفقراء/ ج٤/ ص٢٠٩٧/ رقم ٢٧٤٠.

(٣) سورة النور آية (٣٣).

(٤) سورة النحل آية (٦٧).

(٥) سورة الحجرات آية (١٣).

بين الأفراد والأسر تظهر الروابط بين الآباء والأبناء والأقارب وآثارها من تعاطف وتراحم ومودة وإيثار وبذل وصلة وتضحية .. وبضياعها لا تعرف الأرحام وتضيع الأنساب ...

- وبالمحافظة على النسب تتم المحافظة على سلامة توزيع الميراث: حيث أن اختلاط الأنساب يُظهِر لنا الخطر العظيم والظلم الواضح حينما يستولي على المال غير مستحقه . ولذا كان عقاب المرأة التي تدخل على زوجها من الأبناء ما ليس منه عقاب عظيم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال الرسول ﷺ: (أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء، ولن يدخلها جنته، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله تعالى منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين يوم القيامة).^(١) كما أن الحرص على أن تبقى أعراض الناس مصونة بعدم التعرض لها بالقذف، أمر يرسخ العلاقات الاجتماعية بين الناس، ويحفظ للفرد دينه من ارتكاب جرائم الحدود، ويحفظ له قدره ومركزه واحترام الناس له. فقد ذكر الله تعالى حفظ الفرج عطفاً على الإعراض عن اللغو في قوله عز وجل ﴿والذين هم عن اللغو معرضون* والذين هم للزكاة فاعلون* والذين هم لفروجهم حافظون﴾.^(٢) "لأن زلة الصالح قد تأتيه من انفلات أحد هذين العضوين من جهة ما أودع في الجبلة من شهوة استعمالهما، فلذلك ضببطت الشريعة استعمالها بأن يكون في الأمور الصالحة التي أرشدت إليها الديانة".^(٣) وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ: " من يضمن لي ما بين لحيية وما بين رجليه أضمن له الجنة".^(٤)

(١) سنن أبي داود/ كتاب النكاح/ باب في التغليب في الانتفاء/ ج٢/ ص٢٧٩/ رقم ٢٢٦٣. صحيح ابن حبان/ كتاب النكاح/ باب ثبوت النسب وما جاء في القائف/ ج٩/ ص٤١٨/ رقم ٤١٠٨.

(٢) سورة المؤمنون آية (٣-٥).

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر/ التحرير والتنوير/ دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس/ م٩/ ج١٨/ ص١٤.

(٤) سنن أبي داود/ كتاب الرقاق/ باب حفظ اللسان/ ج٥/ ص٢٣٧٦/ رقم ٦١٠٩.

المطلب الثاني: الفوز برضوان الله تعالى والنجاة من العذاب

قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) فهذا الأجر والثواب والمكانة الرفيعة تنتظر كل من عفا نفسه عن الفواحش واعتصم بالله تعالى يقول الرسول ﷺ: "سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .. وعدّ منهم .. ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله".^(٢)

إن من يصون عرضه عن الفواحش ولا يتعدى على أعراض الناس سينجو من تطبيق الحد عليه في الدنيا. وسينجو من عذاب الآخرة فقد توعد الله تعالى الزناة بالعذاب المضاعف قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا. يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا .. إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾^(٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر).^(٤) وفي حديث منام النبي ﷺ الذي رواه سمرة بن جندب وفيه أنه ﷺ جاءه جبريل وميكائيل قال: فانطلقنا فأتينا على مثل التتور أعلاه ضيق وأسفله واسع فيه لغط وأصوات. قال: فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا - أي صاحوا من شدة الحر - فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الزناة والزواني - يعني الرجال والنساء فهذا عذابهم إلى يوم القيامة.^(٥)

(١) سورة يوسف آية (٩٠).

(٢) سبق تخريجه ص ٧٤

(٣) سورة الفرقان (٦٨-٧٠).

(٤) رواه مسلم/ كتاب الإيمان/ باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزلة .. وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة/ ج ١/ ص ١٠٢/ رقم ١٠٧.

(٥) رواه البخاري/ كتاب الوحي/ باب تبشير الرؤيا بعد صلاة الصبح/ ج ١/ ص ٢٥٨٤/ رقم ٦٦٤٠.

المبحث الثاني: أثر صون الأعراض على مستوى الجماعات

الأثر الأول: انتشار الأمن والطمأنينة في المجتمع

إن في المحافظة على سلامة الأعراض محافظة على أمن الأفراد وبالتالي على أمن المجتمع الذي يعيشون فيه، فبتطبيق تعاليم الله تعالى من غض للبصر، واستئذان، وحجاب، وإقامة عقوباتي الزنا والقذف حماية لأمن المجتمع من هؤلاء الذين يقدمون شهواتهم الآثمة على أمن أفراد المجتمع. إن الإيمان الخالص بالله تعالى والرضى بتشريعات الإسلام والحكم بها وعدم قبول أي بديل من القوانين الوضعية أساس في نشر الأمن والخير والرخاء والنصر في المجتمع. فما هو المجتمع الذي عاش فيه الرسول الكريم ﷺ كان نبزاً ونموذجاً للمجتمع المسلم الذي يشعر أبنائه بالأمن والاستقرار والطمأنينة .. فحوادث الزنا التي سُجلت فيه لا تكاد تذكر بعد أن كان الزنا (قبل الإسلام) أمراً لا حرمة ولا غرابة فيه.

فالأمن نعمة عظيمة يمن الله بها على من التزم بتشريعاته وخشي من بطشه وعقابه حيث قال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾^(١) وبالمقابل توعد الله تعالى الذين يحيدون عن شرعه ويتمادون في طريق الغي بالعقاب قال تعالى: ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾^(٢) فالغزب يعاني من مستوى انتشار الجريمة التي تفقد تلك المجتمعات أمنها وطمأنيتها من قتل وتعذيب واغتصاب .. وهذا القلق من جراء فقدان الأمن صار يجبر الناس على التسلح أو الرحيل أو الاحتماء بالبيت ففي أمريكا تبين أن نصف نساءها وخمس رجالها

(١) سورة الأنعام آية (٨٢).

(٢) سورة النمل آية (٤٥).

يخشون الخروج وحدهم ليلاً وتنتني ثلث العائلات الأمريكية بنادق في بيوتها، بينما يحاول أكثر سكان المدن الرحيل بعيداً إلى الريف هرباً من كابوس جرائم المدن المخيف.^(١)

الأثر الثاني: قوة المجتمع من خلال إرساء قاعدة العفة والطهارة

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝ ﴾^(٢) إن سبب زوال الإمبراطوريات اليونانية والرومانية والفارسية واندثار معالم حضارتها استبداد الشهوات بالأفراد حتى صاروا معاول هدم لمجتمعاتهم. وهذا الحال سينتاب الدول الأوروبية .. إذ تبدو لنا في قمة الفتوة والحضارة إلا أن داء الفساد الخلقي قد أصابها. (فالمرض لا تظهر أبعاد خطورته إلا بعد أن يكون قد غرس جذوره في الجسم وعزّز نفسه وبنى حصوناً وقلاعاً على أنقاض خلايا الجسم ويبدأ بعد ذلك أثار الهدم الداخلي الذي يستحيل معه أي مصل أو مضاد).^(٣) إن هذه الفوضى الجنسية والتدهور الأخلاقي جعل فرنسا تدفع الثمن إذ نراها تركع على أقدامها في كل حرب خاضتها منذ ١٨٧٠م إلى اليوم. (إن عدد الجنود الذين اضطرت الحكومة الفرنسية إلى أن تعفيهم عن العمل وتبعث بهم إلى المستشفيات في السنتين الأوليين من الحرب العالمية الأولى لإصابتهم بمرض الزهري خمسة وسبعون ألفاً).^(٤)

الأثر الثالث: حفظ النسل والأسر

النسل أحد الضروريات الخمس التي سعى الإسلام بتشريعاته لحفظه وصونه من كل

(١) رمزون، عبد الباقي/ خطر التبرج والاختلاط/ ص ١٤٠-١٤١.

(٢) سورة الإسراء آية (١٦).

(٣) نياض، أحمد/ نظرات في التشريع الأخلاقي في سورة النور/ ص ٧.

(٤) أحمد فائز/ دستور الأسرة في الإسلام/ ص ٢٠٩.

اعتداء، فشرع حد القذف وحد الزنا لصون العِرْض، وحرّم قتل الأولاد لأي سبب كان حفاظاً على نفوسهم البرينة وحث على الزواج الشرعي الذي يضمن الحقوق لكل فرد. ويحافظ على النسل البشري من الانقراض ليقوم بدوره في عمارة الأرض قال تعالى: ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾^(١) فلا يُتصور من أصحاب تلك العلاقات الشاذة الرغبة في النسل. كما أن العلاقات الأئمة بين الزناة لا يكون الهدف منها الإنجاب وإنما قضاء الشهوة فقط دون النظر إلى المسؤولية الملقاة على عاتقهم في النفع والإنتاج والحفاظ على عفتهم وعفة الأفراد. وقد وصف الله تعالى في كتابه الكريم أمثال هؤلاء المنحرفين وما يسعون إليه في المجتمع بقوله: ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾^(٢) وهذا الذي يحاول القضاء على النسل البشري ويعبث بسلامة الأنساب هو مفسد يعبث في ضروريات الحياة، ويقوّض أسس وأمن واستقرار المجتمع وهذا نموذج لبعض الإحصائيات في بلاد الغرب تبين عدم اكتراثهم بالنسل وقتل الأجنة دون الشعور بأي ذنب. ففي أمريكا يقول القاضي لندسي: يسقط مليون حمل في كل سنة ويُقتل آلاف الأطفال من فور ولادتهم!^(٣) وفي إنكلترا نشرت جريدة (التايمز) اللندنية صرخات بشأن الإجهاض إذ وقتت الجمعية الطبية البريطانية مذهولة إزاء أرقام الإجهاض في الربع الأول من سنة ١٩٧١م حيث بلغت (٢٢٨٠٨) حادثة!^(٤) وفي (المجر): - أعلن أن عدد حالات الإجهاض التي تحدث في العالم أصبحت تبلغ ٣٠ مليون حالة سنوياً أي ما يعادل حالة إجهاض واحدة كل ثانية.^(٥) إن مثل هذه الأرقام المذهلة تبين الحالة المتردية التي وصلت إليها البلاد الغربية جرّاء هتك العرض

(١) سورة يونس آية (١٤).

(٢) سورة البقرة آية (٢٠٥).

(٣) المودودي، الحجاب/ص ١١٢.

(٤) رمضون، عبد الباقي/ خطر التبرج والاختلاط/ص ١٤٣.

(٥) المصدر السابق/ص ١٤٢.

والاستهانة بالقيم وضياع النسل هو احدى هذه المفاصد التي يجنيها المجتمع من الانحلال الخلقي والتمادي في استباحة الفواحش والخروج عن دائرة الحلال.

الأثر الرابع: تقدم وازدهار المجتمع

إن سلامة المجتمع من الفواحش والفوضى الجنسية المؤدية إلى الانحلال الخلقي وتدمير الأسر وضياع الأطفال يؤدي إلى إنتاج نوع إنساني مميز سليم من الناحية الخلقية والجسمية والنفسية والصحية. فيكون كل فرد عضواً صالحاً بنأء في المجتمع. ولذلك حث الرسول الله ﷺ كل راغب في الزواج أن يكون انتقاؤه على أساس الصلاح فعن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً قال رسول الله ﷺ "تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء".^(١) ولعل السر في ذلك "حتى ينجب الرجل أولاداً مطهورين على معالي الأمور ومتطبعين بعبادات أصيلة وأخلاق إسلامية قيّمة يرضعون منها لبان المكارم والفضائل ويكتسبون خصال الخير ومكارم الأخلاق".^(٢) إن تقدم وازدهار المجتمعات مرتبط بشكل وثيق بنوعية أفرادها، ومدى التزامهم بمبادئ وقيم وتشريعات الإسلام والمحافظة عليها. فهذا المجتمع الإسلامي في الصدر الأول بعد أن خالط الإيمان بشاشة قلوب أفرادها وارتقى بعقولهم وعواطفهم إلى أعلى الدرجات صاروا دعاة فاتحين وجابوا أقطار الأرض لينشروا تقدمهم الفكري الأخلاقي - بعد أن كانوا يعيشون تحت وطأة العادات الجاهلية القبيحة التي تستبيح الأعراض وتهدر الكرامات وتهضم حقوق المرأة.

(١) ابن ماجة/ كتاب النكاح/ باب الأكفاء/ ج ١/ ص ٦٣٣/ رقم ١٩٦٨. المستدرک علی الصحیحین/ کتاب النکاح/ ج ٢/ ص ١٧٦/ رقم ٢٦٨٧.

(٢) علوان، د. عبد الله ناصح/ تربية الأولاد في الإسلام/ ج ١/ ص ٤٣.

الخاتمة

بعد أن شخصت هذه الرسالة في النور، وقد سخر الله لنا خيراً كثيراً ونعماً لا تحصى، استطعنا أن نتحقق من أمور متعددة هي: -

١. ركز الإسلام في جانب التشريعات الوقائية على الأمور التي من شأنها تقوية خشية الإنسان لله، وإغلاق كل السبل التي قد تساعد على انتشار الجريمة.
٢. يعدّ الإسلام الحنيف الزواج " الطريق الفطري" الذي يحقق للطاقة الجنسية هدفها الإنساني وهو الغاية الكبرى لهذه الميول الجنسية الفطرية كما أنه الطريق السوي لتكوين الأسرة وتنشئة النسل.
٣. وضعت الشريعة الإسلامية عقوبة الجلد للزنا على أساس من طبيعة الإنسان وفهم لفسيفسائه وعقليته إذ دفعت العوامل النفسية الداعية للزنا بعوامل نفسية مضادة تصرفه عن الزنا. فالدافع إلى الزنا هو اشتهاؤ اللذة والدافع الذي يصرف الإنسان عن اللذة هو الألم وليس هناك أنجع من عقوبة الجلد للقضاء على هذه الجريمة .
٤. شدّد الله سبحانه وتعالى في عقوبة القذف إلى حدّ قريب يصل إلى عقوبة الزنا وذلك لجسامة المخالفة وعواقبها في إفساد الأسرة والمجتمع، فالمرأة التي تلتزم الجادة ثم يساء إلى نفسها بكلمة جارحة من حقها أن ينتقم لها الإسلام على قدر ما أصابها من مكروه.
٥. في تشريع الإسلام لقضية اللعان فرج للأزواج إذ أن المتعارف عليه أن الرجل لا يقصد امرأته بالقذف حرصاً على صيانة سمعته وسمعة أهله وحفظاً لكيان أسرته من التمزق والتشتت، كما أتاح الفرصة للمرأة أن تدرأ عن نفسها الحد إن كان في هذا القذف افتراء عليها.

٦. نظام التعزير في الإسلام نظام لا يعرف له نظير في الأنظمة التي تقيد القضاة بنصوص جامدة دون مراعاة للظروف والمصالح و دواعي الأمن وسعادة المجتمع، حيث تركت الشريعة لولي الأمر العادل الذي يناط به حفظ الدين والأخلاق اختيار العقوبة التي تتناسب مع حال الجريمة ومرتكبيها.
٧. وجود أفراد يسارعون إلى الخوض في أعراض الناس دون دليل ظاهر تكاد تكون موجودة في كل زمان ومكان وحتى في الجيل القرآني الفريد كما حصل في حادثة الإفك الأثيمة، كما أن هؤلاء المفترين لا يتورعون عن التشكيك في طهارة المصطفين الأخيار بتهم وافتراءات باطلة، ولذا حرص القرآن الكريم على تبرئة هؤلاء الأطهار مما يقوله المفترون بآيات قرآنية تتلى إلى قيام الساعة.
٨. في صون العرض الفوائد الجمة التي تعود على الأفراد والمجتمعات ومنها تحقيق السلامة الصحية والنفسية والمادية والاجتماعية، والنجاة من العذاب، وانتشار الأمن والطمأنينة، وازدهار ورقي المجتمعات.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

مسلسل	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
. ١	﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر﴾	١٥٣	البقرة	٤٤، ٤٣
. ٢	﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾	١٨٣	البقرة	٤٤
. ٣	﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾	١٨٥	البقرة	٧٠
. ٤	﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى﴾	١٢٠	البقرة	٩٧
. ٥	﴿ومن الناس من يُعجبك قوله﴾	٢٠٤- ٢٠٥	البقرة	١٩٦
. ٦	﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾	٢٦٨	البقرة	١٩٠
. ٧	﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾	٢٣	آل عمران	١٤٢
. ٨	﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم﴾	٣٣	آل عمران	١٦٦
. ٩	﴿إذ قالت امرأة عمران رب إنني نذرت لك﴾	٣٥-٣٧	آل عمران	١٦٦، ١٦٧
. ١٠	﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفىك﴾	٤٢-٤٤	آل عمران	١٦٧
. ١١	﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك﴾	٤٥	آل عمران	١٦٩
. ١٢	﴿ويكلم الناس في المهد وكهلاً﴾	٤٦	آل عمران	١٦٩
. ١٣	﴿قالت ربّ أنى يكون لي ولد ولم يمسنى﴾	٤٧	آل عمران	١٧١
. ١٤	﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾	٤٨-٤٩	آل عمران	١٧٠
. ١٥	﴿وإن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى﴾	٣	النساء	١١٧
. ١٦	﴿فإن أنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم﴾	٦	النساء	٥١
. ١٧	﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾	١٥-١٦	النساء	١٣٥، ١٣٦
. ١٨	﴿والمحصنات من النساء﴾	٢٤	النساء	١٤٧
. ١٩	﴿ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح﴾	٢٥	النساء	١١٤
. ٢٠	﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن﴾	٣٤	النساء	١٥٧
. ٢١	﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم﴾	١٥	المائدة	١٤٢
. ٢٢	﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾	٤٤	المائدة	١٧
. ٢٣	﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾	٨٢	الأنعام	١٩٤

مستسل	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
٢٤.	﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾	١٥١	الأنعام	٤٦
٢٥.	﴿ لست منهم في شيء ﴾	١٥٩	الأنعام	٩٧
٢٦.	﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباساً ﴾	٢٦-٢٧	الأعراف	٨١
٢٧.	﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها ﴾	٣٣	الأعراف	س
٢٨.	﴿ ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾	١٥٧	الأعراف	س
٢٩.	﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان ﴾	٢٠١	الأعراف	٤١
٣٠.	﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم ﴾	٢٩	الأنفال	٤١
٣١.	﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر ﴾	١٢٢	التوبة	١٤٣
٣٢.	﴿ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم ﴾	١٤	يونس	١٩٦
٣٣.	﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ﴾	١١٤	هود	١٣٥
٣٤.	﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ﴾	٢٣	يوسف	١٧٤
٣٥.	﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع ﴾	٩٠	يوسف	١٩٣
٣٦.	﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم ﴾	٣٨	الرعد	١١٤
٣٧.	﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله ﴾	٤٥	النمل	١٩٤
٣٨.	﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾	٧٢	النحل	١١٤
٣٩.	﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا ﴾	١٦-١٧	الإسراء الإسراء	١٩٥
٤٠.	﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾	٣٢	الإسراء	٤٥، ٢١ ١٣٣
٤١.	﴿ واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها ﴾	١٦-١٧	مريم	١٦٧
٤٢.	﴿ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ﴾	١٨	مريم	١٧٠
٤٣.	﴿ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً ﴾	١٩	مريم	١٦٨
٤٤.	﴿ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ﴾	٢٠	مريم	١٧١
٤٥.	﴿ فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد ﴾	٢٧-٢٨	مريم	١٧٢
٤٦.	﴿ فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان ﴾	٢٩-٣٣	مريم	١٧٢
٤٧.	﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ﴾	٥٩	مريم	٣١

مستسل	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.٤٨	﴿ إذ رءا ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ﴾	١٠	طه	٥١
.٤٩	﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾	١٢٣	طه	٧٣
.٥٠	﴿ والتي أحصنت فرجها فنفضنا فيها من روحنا ﴾	٩١	الأنبياء	١٦٩، ١٧١
.٥١	﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله ﴾	٧٨	الحج	٧٠
.٥٢	﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾	٥-٣	المؤمنون	١٩٢
.٥٣	﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾	٧-٥	المؤمنون	٢٧، ٢١، ١٦١
.٥٤	﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴾	٥٠	المؤمنون	١٧١
.٥٥	﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ﴾	٢	النور	١٣٧
.٥٦	﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة ﴾	٤	النور	١٤٨، ١٥١
.٥٧	﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء ﴾	١٠-٦	النور	١٥٣
.٥٨	﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات ﴾	١٢	النور	١٨٥
.٥٩	﴿ لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ﴾	١٣	النور	١٨٥
.٦٠	﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة ﴾	١٩	النور	١٢٤، ٣٤، ١٤٦
.٦١	﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً ﴾	٢٩-٢٧	النور	٥٠، ٤٩، ٦٠، ٥٢
.٦٢	﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾	٣٠	النور	٦١، ٤٥، ٨٩، ٧٢
.٦٣	﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ﴾	٣١	النور	٦٧، ٦١، ١١٢، ٨٤
.٦٤	﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين ﴾	٣٢	النور	١١٤
.٦٥	﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً ﴾	٣٣	النور	٤٠، ٣٩، ١٢١، ٤٥، ١٩١
.٦٦	﴿ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ﴾	٥٩-٥٨	النور	٥٦، ٣١

مستسل	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.٦٧	﴿ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً ﴾	٦٠	النور	٨٦، ٧٦
.٦٨	﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول ﴾	٢٧-٢٩	الفرقان	٣٥
.٦٩	﴿ وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا ﴾	٣٠	الفرقان	ش، ٣٥
.٧٠	﴿ وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً ﴾	٥٤	الفرقان	٢٠
.٧١	﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ﴾	٦٨	الفرقان	١٩٣، ٢١
.٧٢	﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل ﴾	٧٢	النحل	١٩١
.٧٣	﴿ ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ﴾	٥٤-٥٥	النمل	١٢٤، ١٥٩
.٧٤	﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء ﴾	٢٥	القصص	٣٣
.٧٥	﴿ ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ﴾	٢٨-٣٠	العنكبوت	١٣٥
.٧٦	﴿ اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة ﴾	٤٥	العنكبوت	٤٣، ٣٠، ٤٤
.٧٧	﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾	٢١	الروم	١١٤
.٧٨	﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴾	١٣	لقمان	٢٦
.٧٩	﴿ يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل ﴾	١٦	لقمان	٢٦
.٨٠	﴿ ولا تصعر خدك للناس ﴾	١٧-١٩	لقمان	٦٢، ٢٦
.٨١	﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى ﴾	٢١	السجدة	١٨٧
.٨٢	﴿ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ﴾	٣٢	الأحزاب	٧٦
.٨٣	﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية ﴾	٣٣	الأحزاب	١١٠، ٧٦
.٨٤	﴿ وإذا سألتهمون متاعاً فسألوهن من وراء حجاب ﴾	٥٣	الأحزاب	٨٢، ٥٠، ٨٨، ٨٦، ١٠٠، ١٠٦
.٨٥	﴿ لا جناح عليهن في آباءهن ولا أبناهن ﴾	٥٥	الأحزاب	٨٩
.٨٦	﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ﴾	٥٨	الأحزاب	٢١
.٨٧	﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ﴾	٥٩	الأحزاب	٨٣، ٨٢، ٨٩، ٨٥
.٨٨	﴿ قال قائل منهم إنني كان لى قرين ﴾	٥٠-٥٧	الصفات	٣٥

مسلل	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.٨٩	﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾	٥٢	الشورى	س
.٩٠	﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ﴾	٧٦	الزخرف	١٨٨
.٩١	﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه ﴾	٩	الفتح	١٥٦
.٩٢	﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾	١٣	الحجرات	١٩١
.٩٣	﴿ قال قرينه ربنا ما أطغيته ﴾	٢٧	ق	٣٥
.٩٤	﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾	٥٥	الذاريات	ش
.٩٥	﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾	٦٠	الرحمن	٧٣
.٩٦	﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾	٧	الحشر	٨٠
.٩٧	﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾	٦	التحريم	٢٥
.٩٨	﴿ ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها ﴾	١٢	التحريم	١٦٨، ١٧١
.٩٩	﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس ﴾	٤٠-٤١	النازعات	٤٧

(فهرس الأحاديث النبوية الشريفة)

ممسلسل	أطراف الحديث	المصدر	الصفحة
١.	(أستأذن على أمي؟ قال :نعم.قال:أستأذن)	مالك، البيهقي	٥٧
٢.	(أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين)	البخاري	١٥٤
٣.	(أتى رجل من بني عامر يستأذن على رسول الله)	مسند أحمد، البيهقي	٥٤
٤.	(أذكرون ما أربي الربا عند الله..... الحديث)	البيهقي	٢١
٥.	(أتى رسول الله بيهودي ويهودية قد أحدثا)	البخاري	١٤٠
٦.	(أتيت النبي ﷺ في ذنن كان على أبي ...)	البخاري	٥٥
٧.	(اجتنبوا السبع الموبقات ،قالوا:يا رسول الله)	البخاري، ومسلم	١٤٧
٨.	(احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت)	الترمذي وأبو داود	٦٨
٩.	(أدبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم)	ابن ماجه	٢٥
١٠.	(إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء)	أبو داود	٥٧
١١.	(إذا أحدكم أعجبه المرأة فوقع في قلبه)	مسلم	٩٢
١٢.	(إذا هم عبدي بحسنة...)	مسلم	١٧٦
١٣.	(إذا سلم سلم ثلاثا وإذا تكلم أعادها ثلاثا)	البخاري ومسلم	٥٣
١٤.	(إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تطيب تلك)	مسلم	٩٥
١٥.	(إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحسبها فهي له)	البخاري	١٩٠
١٦.	(استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق)	أبو داود	١٠٧
١٧.	(اصرف بصرك)	أحمد وأبو داود	٦٨
١٨.	(اضمنوا لي ستا من أنفسكم اضمن لكم الجنة...)	أحمد	٧٣
١٩.	(اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء)	البخاري	٩٣
٢٠.	(اعتدي عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى)	مسلم	٦٦
٢١.	(أفعمياوان أنتما؟ أستمأ تبصرانه)	الترمذي وأبو داود	٦٥
٢٢.	(أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم)	ابن حبان	١٥٦
٢٣.	(ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب إلا أن يكون)	مسلم والبيهقي	١٠٢
٢٤.	(ألا لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافر إلا)	مسلم	٦٩
٢٥.	(ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه)	ابن حبان	١٥٤

مستلسل	أطراف الحديث	المصدر	الصفحة
٢٦.	(أما أنك لولم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة)	سنن ابو داود	٢٨
٢٧.	(إن ابا موسى استأذن على عمر ثلاثاً)	البخاري ومسلم	٥٤
٢٨.	(انتظروا حتى ندخل عشاء حتى تمتشط الشعثة)	مسلم	٥٧
٢٩.	(أنه جلد شراحة يوم الخميس...)	الحاكم	١٤٠
٣٠.	(إن الرجل ليلبغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم)	الحاكم	٢٧
٣١.	(أن رجلاً من أسلم أتى رسول الله فحدثه أنه زنى ...)	البخاري	١٤٠
٣٢.	(أن رسول الله غزا خيبر فركب نبي الله ...)	البخاري ومسلم	٦٨
٣٣.	(أن سبيعة بنت الحارث كانت تحت سعد بن)	البخاري ومسلم	٩١
٣٤.	(انظر إليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما)	أحمد والترمذي وابن ماجة والنسائي	٦٩
٣٥.	(أنظرت إليها ؟ قال: لا. قال: فانظر إليها)	مسلم	٦٩
٣٦.	(إني عالجت امرأة)	مسلم	١٣٥
٣٧.	(إن الغامدية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم)	مسلم	١٤٠
٣٨.	(إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف...)	البخاري	١٧٣
٣٩.	(إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء)	ابن ماجة	٣٣
٤٠.	(إن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب..)	مسلم	١٣٩
٤١.	(إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا)	مسلم	٦٤، ٤٦
٤٢.	(إن امرأة مرت بأبي هريرة تعصف ريحها)	البيهقي	٩٥
٤٣.	(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)	البيهقي	٢٧
٤٤.	(إنما جعل الاستئذان من أجل البصر)	البخاري ومسلم	٧١، ٥٥
٤٥.	(إن مما أدرك الناس من كلام النبوة)	البخاري	٣٢
٤٦.	(إن النساء في عهد رسول الله صلى الله عليه)	البخاري	١٠٨
٤٧.	(اياكم والجلوس في الطرقات، قالوا: يا رسول الله)	البخاري ومسلم	٧٢
٤٨.	(اياكم والدخول على النساء)	البخاري ومسلم	١٠١
٤٩.	(اياكم ولبوس الرهبان، فانه من تزيا)	المعجم الأوسط	٩٩

مستسل	أطراف الحديث	المصدر	الصفحة
٥٠.	(أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم)	أبو داود وابن حبان	١٩٢
٥١.	(أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم)	ابن حبان وابن خزيمة	٩٥
٥٢.	(أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء)	مسلم	٩٥
٥٣.	(أي الناس أكرم؟ قال: أكرمهم)	البخاري	١٧٣
٥٤.	(تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء)	ابن ماجة والحاكم	١٩٧
٥٥.	(تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)	ابن حبان	١١٥
٥٦.	(ثلاثة حق على الله عونهم)	الترمذي والنسائي	١١٥، ٤٢
٥٧.	(ثلاثة لا ترى النار أعينهم يوم القيامة... الحديث)	المعجم الأوسط	٧٤
٥٨.	(ثلاثة لا تسأل عنهم، رجل فارق)	الحاكم	٧٩
٥٩.	(ثلاثة لا يدخلون الجنة... العاق لوالديه)	الحاكم	٩٦
٦٠.	(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم)	مسلم	١٩٣، ٢١
٦١.	(جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله)	أحمد	٧٩
٦٢.	(جاء ثلاثة نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه)	البخاري ومسلم	١١٥
٦٣.	(حديث الإفك)	مسلم	١٧٩- ١٨٣
٦٤.	(خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً اللب اللب بالثيب)	مسلم	١٤٠
٦٥.	(خير نسائها مريم ابنت عمران...)	البخاري	١٧٢
٦٦.	(خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها)	مسلم	١٠٨
٦٧.	(دعه فإن الحياء من الإيمان)	البخاري	٣٣
٦٨.	(دونكم يا بني إرفده لتعلم اليهود أن في ديننا)	البخاري ومسلم	٣٨
٦٩.	(رأى النبي ﷺ عليّ ثوبين معصفرين...)	مسلم	٩٨
٧٠.	(رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه...)	البخاري ومسلم	٦٥
٧١.	(رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ)	ابن خزيمة	١٣٦
٧٢.	(زارنا رسول الله ﷺ في منزلنا فقال "السلام)	أبو داود	٥٤
٧٣.	(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...)	البخاري ومسلم	١٧٤، ٧٤

مستلسل	أطراف الحديث	المصدر	الصفحة
٧٤.	(ستفتح عليكم أرض العجم وستجدون فيها)	ابن ماجة وأبو داود	٦٧
٧٥.	(سمعت رسول الله ﷺ يقول "الشيخ والشيخة ...)	أحمد	١٣٩
٧٦.	(سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات ..)	مسلم	٩٣
٧٧.	(شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد فبدأ)	مسلم	٩٠
٧٨.	(صنفان من أهل النار لم أرهما نساء كاسيات...)	مسلم	٧٧
٧٩.	(صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود)	أحمد	٩٨
٨٠.	(الصيام جنة)	البخاري ومسلم	٤٣
٨١.	(علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه أدب)	المعجم الأوسط	١٣٠
٨٢.	(عم الرجل صنو أبيه)	مسلم وابن حبان	٦٨
٨٣.	(عن أم سلمة أنها أستاذت رسول الله ﷺ)	مسلم	٧٠
٨٤.	(غط فخذيك فإن الفخذ عورة)	البخاري	٦٤
٨٥.	(غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود)	الترمذي	٩٨
٨٦.	(فانطلقنا فأتينا على مثل التتور ... الحديث)	البخاري	١٩٣
٨٧.	(فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب)	مسلم	٩٨
٨٨.	(قدم رسول الله ﷺ المدينة نهراً فأناخ ...)	البخاري ومسلم	٥٧
٨٩.	(كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل)	أبو داود	٥٥
٩٠.	(كان بنوا إسرائيل يغتسلون عراة)	مسلم	١٦٦
٩١.	(كان رسول الله ﷺ يصنف عبد الله وعبيد الله)	أحمد	٣٨
٩٢.	(كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات)	أبو داود والبيهقي	٩٢، ٨٦
٩٣.	(كان عبد الله بن مسعود إذا جاء من حاجة)	أحمد	٥٧
٩٤.	(كان الفضل رديف رسول الله فجاعت امرأة)	البخاري	٩٠
٩٥.	(كان النبي ﷺ إذا فرغ من خطبة الرجال يأتي)	البخاري	١٠٨
٩٦.	(كساني رسول الله ﷺ قبطية كثيفة مما أهداها)	أحمد	٩٤
٩٧.	(كل شيء ليس من ذكر الله فيه لغو أو لهو)	البيهقي	٣٨
٩٨.	(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ...)	البخاري ومسلم	٢٥
٩٩.	(كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله)	مسلم وابن ماجة	٢
١٠٠.	(كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء)	البخاري ومسلم	١٧٢

مستلسل	أطراف الحديث	المصدر	الصفحة
١٠١.	(كم تقرؤون سورة الأحزاب؟)	مسند أحمد	١٣٨
١٠٢.	(كنا نغطي وجوهنا من الرجال...)	الحاكم	٨٧
١٠٣.	(لا تباشر المرأة المرأة فتتعتها لزوجها...)	البخاري	٦٧
١٠٤.	(لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلاّ)	الترمذي وابن حبان	٣٦
١٠٥.	(لا تلجوا على الفتيات اللاتي يكون أزواجهن)	الترمذي وأبو داود	١٠٢
١٠٦.	لا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين	البخاري	٨٧
١٠٧.	(لا ضرر ولا ضرار)	الحاكم	١٦٢
١٠٨.	(لا مساعاة في الإسلام)	البخاري	١٢٠
١٠٩.	(لا يحل دم امريء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله)	البخاري ومسلم	١٤١
١١٠.	لا يخلون أحدكم بامرأة إلاّ ومعها ذو محرم)	البخاري ومسلم	١٠٤
١١١.	(لا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما)	أحمد وابن حبان	١٠٣
١١٢.	(لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلاّ)	مسلم	١٠٣
١١٣.	(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ...)	البخاري ومسلم	٢١
١١٤.	(لا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ...)	مسلم	١٦١
١١٥.	(لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنتظر)	مسلم	١٦٣
١١٦.	(الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلاّ فارجع)	مسلم	٥٣
١١٧.	(لأن يودب الرجل ولده خير من أن يتصدق)	الترمذي	٢٥
١١٨.	(لتلبسها أختها من جلبابها)	مسلم	٨٦
١١٩.	(لعن الرسول ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة)	ابن حبان	٩٦
١٢٠.	(لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال)	الترمذي	٩٥
١٢١.	(لعن الله الواشمات والمستوشمات ...)	البخاري ومسلم	٨١
١٢٢.	(اللحد لنا والشق لغيرنا)	ابن ماجه	٩٨
١٢٣.	(لما أتى ماعز بن مالك النبي ﷺ قال له: لعلك قبلت ...)	البخاري	١٤٠
١٢٤.	(لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن فحذفته)	البخاري ومسلم	٥٥
١٢٥.	(ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ...)	أحمد	٩٦
١٢٦.	(ما بين السرة والركبة عورة)	الحاكم	٦٤

مستلسل	أطراف الحديث	المصدر	الصفحة
١٢٧.	(ما تركت بعدي فتنة هي أضرت على الرجال)	البخاري ومسلم	١٠٧، ١٩١
١٢٨.	(ما خلا رجل بامرأة غير ذات رحم محرماً إلا)	أحمد وابن حبان	١٠٠
١٢٩.	(ما كان الفحش في شيء قط إلا شأنه)	الترمذي وابن ماجه	٣٣
١٣٠.	(ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط)	البخاري	١٠٥، ٦٩
١٣١.	(ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد ..)	البخاري ومسلم	١٦٨
١٣٢.	(ما نحل والد ولداً أفضل من وضوء حسن)	الترمذي	٢٥
١٣٣.	(مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل)	مسلم	٣٥
١٣٤.	(المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من)	أبو داود والحاكم	٣٥
١٣٥.	(المرء مع من أحب وله ما اكتسب)	الترمذي	٣٥
١٣٦.	(مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ..)	أبو داود والبيهقي	٣٤، ٣٠
١٣٧.	(من أحب سنتي فليستن بسنتي ومن سنتي)	البيهقي	١١٥
١٣٨.	(من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم)	البخاري	٧١
١٣٩.	(من أعطى زكاة ماله مؤتجراً فله أجرها ومن)	أبو داود	١٥٧
١٤٠.	(من قتل دون دينه فهو شهيد)	الترمذي	٢٢
١٤١.	(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل)	الترمذي	٦٧
١٤٢.	(من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه)	ابن ماجه	٩٩
١٤٣.	(من لبس ثوب شهرة في الدنيا، ألبسه الله ثوب)	ابن ماجه وأبو داود	٩٩
١٤٤.	(من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر)	أبو داود	٥٩
١٤٥.	(من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا)	الترمذي	١٥٧، ١٦٠
١٤٦.	(من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه)	البخاري	١٩٢، ٧٤
١٤٧.	(نحن أحق بالشك من إبراهيم ...)	البخاري	١٧٣
١٤٨.	(نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ...)	البخاري	٣٦
١٤٩.	(نهانا رسول الله ﷺ أن ندخل على النساء بغير)	الترمذي والبيهقي	١٠٣

الصفحة	المصدر	أطراف الحديث	مسلسل
٥٧	البخاري ومسلم	(نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً)	١٥٠.
١٢٠	البخاري	(نهى رسول الله ﷺ عن كسب الإمام)	١٥١.
١٢٠	أبو داود	(نهانا رسول الله ﷺ عن كسب الإمام إلا ما)	١٥٢.
١٢٠	أبو داود	(نهى رسول الله ﷺ عن كسب الأمة حتى يعلم)	١٥٣.
٥٥	أبو داود	(هكذا عنك، فإنما الاستئذان من النظر)	١٥٤.
٢٨	أبو داود	(وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت ...)	١٥٥.
٨٧	أبو داود	(يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض ...)	١٥٦.
٧٩	ابن ماجة	(يا أيها الناس: انهوا نساءكم عن لبس الزينة)	١٥٧.
٢٠	مسلم	(يا رسول الله: إن ابني كان عسيفاً..)	١٥٨.
٩٠	البخاري	(يا رسول الله: جئت لأهب لك نفسي...)	١٥٩.
٧١	الترمذي وأبو داود	(يا علي لا تتبع النظرة النظرة ...)	١٦٠.
٢٩	أحمد والترمذي	(يا غلام إنني أعلمك كلمات ... الحديث)	١٦١.
٢٨	البخاري ومسلم	(يا غلام سمّ الله وكل بيمينك ... الحديث)	١٦٢.
١١٦، ٤٢ ١٦٤	البخاري ومسلم	(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة)	١٦٣.
٣٣	أبو داود	(يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان)	١٦٤.
١٨٨	الحاكم	(يا معشر المهاجرين: خمس خصال إذا ابتليتم)	١٦٥.

فهرس الأعلام

١. ابن الأثير: هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الشافعي، المعروف بابن الأثير الجزري ولد عام ٥٤٤هـ عالم أديب، ناثر، مشارك في الحديث والفقہ توفي عام ٦٠٦هـ. من تصانيفه: النهاية في غريب الحديث، جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ. (١)
٢. الأحنف بن قيس: يكنى أبا بحر وعُرف بالأحنف لأنه وُلد أحنف (الحنف: هو اعوجاج في الرجل إلى داخل دعا له رسول الله ﷺ بقوله (اللهم اغفر للأحنف). عُرف بالخصائل الحميدة حيث كان لا يحسد ولا يمنع حقاً وكان موقفاً للخير ومعصوماً من الشر، وكان أشد الناس على نفسه سلطاناً، كان صديقاً لمصعب بن الزبير، فوفد عليه الكوفة ومصعب واليها يومئذ فتوفي الأحنف عنده، فرُئي مصعب في جنازته يمشي بغير رداء، أسند الأحنف عن عمر وعلي وأبي ذر وغيرهم. (٢)
٣. الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح الهروي اللغوي الإمام المشهور في اللغة - وكان قد رحل وطاف في أرض العرب في طلب اللغة. وكان جامعاً لشتات اللغة مطلعاً على أسرارها ودقائقها، وصنف في اللغة كتاب (التهذيب) وهو من الكتب المختارة يتكون من عشر مجلدات - وله تصنيف في غريب الألفاظ التي تستعملها

(١) الزركلي، خير الدين/ الأعلام/ دار العلم للملايين/ بيروت - لبنان/ ط١٣/ ١٩٩٨م/ ٤م/ ص ٣٣١.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج/ صفة الصفوة/ ضبط: إبراهيم رمضان وسعيد اللحام/ ط١/ دار العلمية - بيروت

- لبنان/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م/ ٢م/ ج٣/ ١٣١-١٣٢.

الفقهاء في مجلد واحد - كانت ولادته سنة اثنتين وثمانين ومائتين. وتوفي سنة سبعين وثلثمائة. (١)

٤. أبو اسحاق الفزاري: إبراهيم بن محمد بن الحارث كان صاحب سنة وغزو، أسند الفزاري عن عبد الملك بن عمير، وإسماعيل بن أبي خالد وعطاء بن السائب والأعمش، وهشام بن عروة وحدث عن الفزاري: سفيان الثوري والأوزاعي. توفي بالمصيصة سنة ثمان وثمانين ومائة. (٢)

٥. الأصمعي: عبد الملك بن قُريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد ولد عام ٧٤٠م راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، نسبته إلى جده أصمع، ومولده ووفاته في البصرة، كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، قال الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي، له تصانيف كثيرة منها: (الإبل) و(الأضداد) و(المترادف) و(الفرق) و(شرح ديوان ذي الرمة) توفي عام ٨٣١م. (٣)

٦. الباجي: علي به محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي، الأندلسي، المالكي (أبو الحسن)، فقيه من آثاره التبصرة في فروع الفقه المالكي. (٤)

٧. بريرة جارية عائشة : اشترتها السيدة عائشة رضي الله عنها وأعتقتها كان لها زوج يُدعى مغيث وكان عبداً لبني المغيرة. (٥)

(١) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ تحقيق د. إحسان عباس/ دار الثقافة/ بيروت - لبنان/ ١٩٧٢م/ ٤م/ ص ٣٣٤-٣٣٥.

(٢) ابن الجوزي/ صفة الصفوة/ ٢م/ ج ٤/ ص ٢١٨.

(٣) الزركلي/ الأعلام/ ٤م/ ص ١٦٢.

(٤) المصدر السابق/ ٤م/ ص ٣٣٤.

(٥) ابن سعد/ الطبقات الكبرى/ ٨م/ ص ٢٠١-٢٠٥.

٨. ابن بطال: علي بن خلف بن عبد الملك، أبو الحسن، عالم بالحديث، من أهل قرطبة له (شرح البخاري) الجزء الأول منه والثالث والرابع في الأثرية. توفي عام ١٠٥٧. (١)

٩. البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، ولد عام ٩٩٤م - من أئمة الحديث ولد في إحدى قرى بيهق رحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وإلى نيسابور. فلم يزل فيها إلى أن مات، ونقل جثمانه إلى بلده. قال الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعة علومه، ومعرفته بالاختلاف، صنف (السنن الكبرى) والترغيب والترهيب) توفي عام ١٠٦٦م. (٢)

١٠. ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله، محدث، حافظ، مفسر، فقيه، مجتهد، ولد في العاشر من ربيع الأول عام ٦٦١هـ، بحرّان - وقد أُوذِيَ مرات عديدة، وحُبِسَ بقلعة القاهرة مرة وبقلعة دمشق مرتين، وتوفي بها في عشرين من ذي القعدة عام ٧٢٨هـ. له مصنفات كثيرة منها: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية والفتاوى (٣٧) مجلد. (٣)

١١. الجرجاني: هو محمد بن يحيى (أبو عبد الله) فقيه، من أعلام الحنفية، من أهل جرجان، سكن بغداد وتفقه على يديه: أبو الحسين القدوري وأحمد بن محمد الناطفي من تصانيفه (القول المنصور في زيارة سيد القبور) وشرح الجامع الكبير للشيباني في فروع الفقه الحنبلي توفي عام ١٠٠٧م. (٤)

(١) الزركلي/الأعلام/م٤/ص٢٨٥.

(٢) المصدر السابق/م١/ص١١٦.

(٣) المصدر السابق/م١/ص١٤٤.

(٤) الزركلي/الأعلام/م٧/ص١٣٦.

١٢. الجصاص: أحمد بن علي الرازي، أبو بكر. فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها. انتهت إليه رئاسة الحنفية وخوطف في أن يلي القضاء فامتنع. وألف كتاب (أحكام القرآن) وكتاباً في (أصول الفقه).^(١)

١٣. أبو الجوزاء الربيعي: أوس بن خالد، كان يُصَفَّرَ لحبته، قيل أنه لم يلحن شيئاً قط ولم يأكل شيئاً لَعَنَ قط - خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقتل في دير الجماجم سنة ٨٣هـ.^(٢)

١٤. ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حماد القرشي التيمي، محدث، حافظ، مفسر، فقيه، واعظ، أديب، مؤرخ، ولد ببغداد سنة ٥١٠هـ ، وتوفي بها سنة ٥٩٧هـ. له مؤلفات كثيرة منها: المغني في علوم القرآن، جامع المسانيد، بستان الواعظين (وصفة الصفة) و(زاد المسير في علم التفسير).^(٣)

١٥. الجوهري: إسماعيل بن حماد، أبو نصر، لغوي أشهر كتبه (الصحاح) وله كتاب في (العروض) ومقدمة في النحو). أول من حاول الطيران ومات في سبيله عام ١٠٠٣م.^(٤)

١٦. ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد الكناني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين)، ومولده بالقاهرة عام ١٣٧٢م ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ كان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه، وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل له تصانيف كثيرة منها (فتح الباري شرح صحيح

(١) المصدر السابق/ م/١ ص ١٧١.

(٢) ابن الجوزي/ صفة الصفة/ م/٢ ج/٣ ص ١٧٢، ١٧٣.

(٣) الزركلي/ الأعلام/ م/٣ ص ٣١٦.

(٤) المصدر السابق/ م/١ ص ٣١٣.

البخاري) و(تقريب التهذيب) و(الإصابة في تمييز الصحابة) و(تهذيب التهذيب) و(بلوغ المرام من أدلة الأحكام) و(القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد) و(التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير) توفي عام ٤٤٩م بالقاهرة. (١)

١٧. الحسن البصري: من سادات التابعين أفتى في زمن الصحابة، بالغ الفصاحة بليغ

المواعظ، كثير العلم بالقرآن ومعانيه، بلغ من العمر ٨٩ عام توفي سنة ١١٠هـ. (٢)

١٨. الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل (أبو عبد الله،

شمس الدين) من تلاميذه ابن تيمية محدث، مؤرخ، ولد بدمشق في ربيع الأول عام

٦٧٣هـ توفي بها في الثالث من ذي القعدة لعام ٧٤٨هـ. له مصنفات كثيرة منها: ميزان

الاعتدال في نقد الرجال، طبقات الحفاظ، تاريخ الإسلام الكبير وسير أعلام النبلاء. (٣)

١٩. زر بن حبيش الأسدي: يكنى أبا مريم، أسند عن عمر وعلي وابن عوف وابن مسعود

وأبي بن كعب وحذيفة قال عنه عاصم بن أبي النجود: أدركت أقواماً كانوا يتخذون هذا

الليل جملاً منهم: زر توفي وهو ابن اثنتين وعشرين ومائة. (٤)

٢٠. زينب الثقفية: بنت أبي معاوية، امرأة عبد الله بن مسعود، أسلمت وبايعت وروت عن

رسول الله ﷺ حديثاً، وهو (إذا خرجت إلى العشاء الآخرة فلا تمسي طيباً). (٥)

٢١. سالم مولى أبي حذيفة: كان مولى لثبتيه بنت يعار الأنصارية، تحت أبي حذيفة بن عتبة،

فأعتقه فتولى أبا حذيفة وتبناه أبو حذيفة. وعن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله

ﷺ ذكر سالم مولى أبي حذيفة، فقال: إن سالمأ شديد الحب لله عز وجل. استشهد باليمامة،

(١) الزركلي/الأعلام/م ١/ص ١٧٨-١٧٩.

(٢) الادنروي/طبقات المفسرين/ص ١٣.

(٣) الزركلي/الأعلام/م ٥/ص ٣٢٦.

(٤) ابن الجوزي/صفة الصفوة/م ٢/ج ٣/ص ١٩-٢٠.

(٥) ابن سعد/الطبقات الكبرى/م ٨/ص ٢٢٦.

أخذ اللواء بيمينه فقطعت، ثم تناولها بشماله فقطعت، ثم اعتنق اللواء وجعل يقرأ (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) (١) إلى أن قُتِل. (٢)

٢٢. سبيعة بنت الحارث الأسلمية - كانت تحت سعد بن خولة فتوفي عنها ونفست بعد وفاته بليال فجاءت رسول الله ﷺ فاستأذنته أن تتكح فأذن لها فنكحت. (٣)

٢٣. السدي الكوفي: أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، كان عالماً بالتفسير وكانت وفاته سنة ١٢٧هـ. (٤)

٢٤. سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل أسلم على يد مصعب بن عمير، وحينما أسلم سعد بن معاذ لم يبق في بني عبد الأشهل أحد إلا أسلم. شهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد وثبت معه حين ولّى الناس، وشهد الخندق، قال رسول الله ﷺ فيه (لقد اهتز العرش لموت سعد). (٥)

٢٥. أم سلمة: هند بنت أبي أمية، أمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك تزوجها أبو سلمة واسمه: عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أصيب زوجها في أحد فمكث شهراً يداوي جرحه ثم مات منه عام ٤هـ ثم تزوجها رسول الله ﷺ وتوفيت سنة ٥٩هـ. (٦)

(١) سورة آل عمران آية (١٤٤).

(٢) ابن الجوزي/ صفة الصفة/ م ٢/ ج ٤/ ص ١٥٣.

(٣) ابن سعد/ الطبقات الكبرى/ م ٨/ ص ٢٢٤.

(٤) الادنروي/ طبقات المفسرين/ ص ١٥.

(٥) ابن سعد/ الطبقات الكبرى / م ٣/ ص ٣٢٠-٣٣٣.

(٦) المصدر السابق/ م ٨/ ص ٦٩.

٢٦. أبو السنابل: بن بعكك بن الحارث بن السَّبَّاق بن عبد الدار بن قُصي، وأمه عمرة بنت

أوس بن أبي عمرو من بني عُدْرة وهو صاحب سبيعة بنت الحارث الإسلامية.^(١)

٢٧. ابن سيرين: أبو بكر محمد بن سيرين البصري تابعي، إمام في التفسير والحديث والفقاه

كان أبوه عبداً لأنس بن مالك رضي الله عنه. وكانت أمه صفيّة مولاة أبي بكر الصديق،

روى عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وأنس بن مالك. وروى عنه

قتادة بن دعامة وخالد الحذاء وأيوب السخيتاني. وهو أحد الفقهاء من أهل البصرة

والمذكور بالورع في وقته، وكانت له اليد الطولى في تعبير الرؤيا. توفي تاسع شوال يوم

الجمعة سنة عشر ومائة بالبصرة بعد الحسن البصري بمائة يوم.^(٢)

٢٨. أبو الشعثاء الماربي: اسمه سُلَيْم بن الأسود روى عن عبد الله وتوفي بالكوفة زمن

الحجاج بن يوسف.^(٣)

٢٩. الضحّاك: بن عبد عمرو بن مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار أمه السميراء

بنت قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل، شهد بدرًا وقتل يوم بئر معونة شهيداً.^(٤)

٣٠. طاووس: بن كيسان، أبو عبد الرحمن اليماني، كان رأساً في العلم والعمل من سادات

التابعين، أدرك خمسين صحابياً، وكان عالماً في الفقه والتفسير، وكان مجاب الدعوة، حج

أربعين حجة وتوفي حاجاً، بمكة قبل التورية بيوم وصلى عليه هشام بن عبد الملك. توفي

سنة ١٠٦هـ.^(٥)

(١) المصدر السابق/م/٦/ص٧.

(٢) ابن خلكان/وفيات الأعيان/م/٤/ص ١٨١-١٨٢. وصفة الصفوة/م/٢/ج٣/ص ١٦١. الأذنوي/طبقات المفسرين/ص ١٤-١٥.

(٣) ابن سعد/الطبقات الكبرى/م/٦/ص ٢٢٩.

(٤) المصدر السابق/م/٣/ص ٣٩٤.

(٥) الأذنوي/طبقات المفسرين/ص ١٢-١٣.

٣١. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماماً في علوم كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ كانت ولادته سنة أربع وعشرين ومائتين بطبرستان. توفي يوم السبت في السادس والعشرين من شوال سنة عشر وتلثمائة ببغداد. (١)

٣٢. عبادة بن الصامت: بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف، يكنى أبا الوليد أمه قرّة العين بنت عبادة بن نضلة، أخی الرسول ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، شهد بدرًا وأحد. كان رجلاً طويلاً جسيماً جميلاً، مات بالرملة في الشام سنة ٣٤هـ - وعمره ٧٢ سنة. (٢)

٣٣. ابن عبد البر: أحمد بن محمد. من موالى بني أمية، أبو عبد الملك مؤرخ من فقهاء قرطبة. توفي في السجن عام ١٩٥٠م. له كتاب يُسمى (فقهاء قرطبة) استعان به ابن القرضي في كتابه (تاريخ علماء الأندلس). (٣)

٣٤. عطاء بن أبي رباح: أسمه أبي رباح أسلم كان يكنى أبا محمد، حبشياً، وكان عطاء من مولدي الجند من مخاليف اليمن، نشأ بمكة وهو مولى آل أبي ميسرة بن أبي خيثم الفهري، كان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث تولى الحلقي في الفتيا بمكة في المسجد الحرام بعد ابن عباس رضي الله عنه. قال عنه الأوزاعي: ما رأيت أحداً أخشع لله من عطاء ولا أطول حزناً من يحيى ابن كثير توفي سنة ١١٥هـ وعمره ثمانين سنة. (٤)

(١) وفيات الأعيان / م ٤ / ص ١٩١-١٩٢.

(٢) ابن سعد / الطبقات الكبرى / م ٣ / ص ٤١٢-٤١٣.

(٣) الزركلي / الأعلام / م ١ / ص ٢٠٧.

(٤) الأندلس / طبقات المفسرين / ص ١٤، ابن سعد / الطبقات الكبرى / م ٦ / ص ٢٠، ابن الجوزي / صفة الصفوة / م ١ / ج ٢ / ص ١٤٣.

٣٥. عطاء بن يسار: مولى ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج رسول الله ﷺ كان ثقة كثير

الحديث، كان يكنى بأبي محمد توفي سنة ١٠٣هـ وعمره ٨٤ سنة. (١)

٣٦. عكرمة مولى ابن عباس: كان عبداً لعبد الله بن عباس فمات رضي الله عنه وورثه ابنه

علي بن عبد الله بن عباس - كان يكنى بأبي عبد الله، عالماً بالقران ومعانيه، توفي سنة

١٠٥هـ. (٢)

٣٧. العلاء بن زياد: بن مطر العدوي، كان له مال ورقيق، فأعتق بعضهم وباع بعضهم، ترك

مجالسة الناس تذلاً لله تعالى، كان يُحبي كل ليلة جمعة. قال عنه قتادة: إنه بكى حتى

عشي بصره، وكان إذا أراد أن يتكلم أو يقرأ جهشه البكاء. أسند العلاء عن عمران بن

حصين وأبي هريرة وتوفي في ولاية الحجاج على العراق. (٣)

٣٨. أم علقمة: هي مولاة السيدة عائشة رضي الله عنها. (٤)

٣٩. الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي المعروف بالغزالي

(زين الدين حجة الإسلام) حكيم، متكلم، فقيه، أصولي، صوفي، شارك في أنواع من

العلوم، ولد بالطابران إحدى قصبتي طوس بخراسان عام ٤٥٠هـ قدم نيسابور وسمع من

إمام الحرمين أبي المعالي الجويني - وتوفي عام ٥٠٥هـ في الطابران. له تصانيف كثيرة

ومنها: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والمستصفي في أصول الفقه و(الوجيز)،

و(الخلاصة) في الفقه. (٥)

(١) ابن سعد/ الطبقات الكبرى/ ج٥/ ١٣٢.

(٢) الادنروي/ طبقات المفسرين/ ص١٢.

(٣) ابن الجوزي/ صفة الصفة/ م٢/ ج٣/ ص١٦٩-١٧٠.

(٤) ابن سعد/ الطبقات/ م٨/ ص٣٥٦.

(٥) ابن خلكان/ وفيات الأعيان/ م٤/ ص٢١٧-٢١٩.

٤٠. الفضيل بن عياض: أبو علي بن مسعود بن بشر التميمي الزاهد المشهور، كان في أول أمره شاطراً يقطع الطريق. وكان سبب توبته: أنه عَشِقَ جارية فبينما هو يرتقي الجدران إليها، سمع تالياً يتلو (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله)،^(١) فقال: يا رب، قد أن، فرجع. ولد بسمرقند قدم الكوفة وسمع الحديث بها، ثم انتقل إلى مكة المكرمة إلى أن مات سنة سبع وثمانين ومائة.^(٢)

٤١. القاضي عياض: هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، محدث. حافظ، مؤرخ، مفسر، فقيه أصولي، عالم بالنحو واللغة أصله من الأندلس ولد عام ٤٩٦هـ. وتوفي في مراكش عام ٥٤٤هـ، له تصانيف كثيرة ومنها: (اللامع في أصول الرواية والسماح) ومشارك الأتوار على صحاح الآثار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم.^(٣)

٤٢. قتادة: أبو الخطاب بن دعامة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس، كان تابعياً وعالمًا كبيراً الدوسي، الأعمى الحافظ أبو الخطاب، أخذ القرآن ومعانيه، روى عن أنس بن مالك وعن غيرهم كان من أنسب الناس، ولد سنة ستين للهجرة توفي سنة سبعة عشر ومائة بواسط.^(٤)

٤٣. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مُفَرَّج ولد عام ٣١٥هـ وتوفي عام ٣٨٠هـ وهو قاضٍ ومحدث.^(٥)

(١) سورة الحديد آية (١٦).

(٢) ابن خلكان/ وفيات الأعيان / م٤ / ص ٤٨-٤٩.

(٣) المصدر السابق/ م٣ / ص ٤٨٣.

(٤) الادنروي/ طبقات المفسرين/ ص ١٤، ابن الجوزي/ صفة الصفوة/ م٢ / ج٣ / ص ١٧٤، ابن خلكان/ وفيات الأعيان/ م٤ / ص ٨٥.

(٥) الزركلي/ الأعلام/ م٣ / ص ٢٠.

٤٤. القسطلاني: هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد بن محمد بن محمد بن حسين بن علي القسطلاني، شافعي، محدث، مؤرخ، فقيه، مقريء، ولد في مصر عام ٨٥١هـ ونشأ بها وتوفي بالقاهرة عام ٩٢٣هـ، له تصانيف كثيرة ومنها: إرشاد الساري على صحيح البخاري، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية.^(١)
٤٥. القشيري: أبو الفضل بكر بن محمد بن العلاء القشيري البصري المالكي فقيه أصولي متكلم ناقد توفي بمصر في ربيع الأول وقد جاوز الثمانين له مؤلفات كثيرة أشهرها: أحكام القرآن، أصول الفقه، الرد على القدرية.^(٢)
٤٦. القفال: أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل، ولد في الشاش وهي مدينة وراء نهر سيحون، انتشر عنه المذهب الشافعي في ما وراء النهر، توفي في الشاش. له تصانيف كثيرة منها: كتاب في أصول الفقه التقريب، شرح الرسالة للشافعي، توفي سنة ست وثلاثين وثلاثمائة.^(٣)
٤٧. الكرماني: محمد بن مكرم بن شعبان أبو منصور، زين الدين، فقيه حنفي، له كتب منها (المسالك في المناسك) تم نسخها سنة ٨٨٣هـ والمستعذب في شرح مختصر القدوري والدلائل الكامنة في سنن السفر. توفي عام ٤٧٨م.^(٤)
٤٨. مجاهد بن جبر: أبو الحجاج مولى السائب المخزومي المكي، صاحب ابن عمر مدة، حدث عنه قتادة والأعمش. قال قتادة (أعلم من بقي بالتفسير مجاهد) توفي سنة ١٠٣هـ.^(٥)

(١) المصدر السابق/ م٣/ ص٩٣.

(٢) المصدر السابق/ م٤/ ص٥٧.

(٣) ابن خلكان/ وفيات الأعيان/ م٤/ ص٢٠٠-٢٠١.

(٤) الرزكلي/ الأعلام/ م٧/ ص١٠٨.

(٥) الادنروي/ طبقات المفسرين/ ص٧.

٤٩. ابن المديني: أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر السعدي حافظ محقق ورئيس المحدثين

وأول من صنف في أسباب النزول له نحو مئتي مصنف، وكان أعلم من الإمام أحمد باختلاف الحديث، ولد بالبصرة عام ٧٧٧م وتوفي في سامراء عام ٨٤٩م - من كتبه: (الأسامي والكني) ثمانية أجزاء، و(الطبقات) عشرة أجزاء، و(قبائل العرب) عشرة أجزاء و(اختلاف الحديث) خمسة أجزاء، و(علل الحديث ومعرفة الرجال).^(١)

٥٠. مسروق: بن الأجدع بن مالك أبو عائشة الهمداني، سُرق وهو صغير ثم وُجد فسُمي

مسروقاً، وقيل: أن عمر بن الخطاب لقيه يوماً فقال له: ما اسمك؟ فقال: مسروق بن الأجدع. فقال: الأجدع شيطان، أنت مسروق بن عبد الرحمن. فثبت ذلك عليه. وعن أنس وابن سيرين: أن امرأة مسروق قالت عنه: كان يصلي حتى تورم قدماءه، فربما جلست خلفه أبكي مما أراه يصنع بنفسه. وعن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم مسروق بن الأجدع وكان علي بن المديني يقول: لا أقدم على مسروق أحداً من أصحاب ابن مسعود. مات في الكوفة سنة ثلاث وستين.^(٢)

٥١. مسطح بن أثاثه: مسطح بن أثاثه بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي ويكنى

أبا عباد، وأمه أم مسطح بنت أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي أخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن المزين، شهد بدرًا وأحد والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ توفي سنة ٣٤هـ - وعمره ٥٦ سنة.^(٣)

٥٢. ابن معين: هو يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن الغطفاني

المري، محدث، حافظ، مؤرخ، عارف بالرجال، أصله من سرخس، ولد بقرية نقياً قرب

(١) الاندروى/ طبقات المفسرين/ ص ٤٣٧، الزركلي/ الأعلام/ م ٤/ ص ٣٠٣.

(٢) ابن الجوزي/ صفة الصفوة/ م ٢/ ج ٢/ ص ١٥-١٦.

(٣) ابن سعد/ الطبقات الكبرى/ م ٣/ ص ٣٩.

الأنبار آخر سنة ١٥٨هـ. كان أبوه على خراج الريّ. خلف له ثروة كبيرة أنفقها في طلب الحديث. حدث عنه أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم، توفي بالمدينة المنورة قبل أن يحج وهو يريد مكة في ذي القعدة توفي سنة ٢٣٣هـ من آثاره (التاريخ والعلل)، و(معرفة الرجال) و(الكنى والأسماء).^(١)

٥٣. مقاتل: بن سليمان الأزدي الخراساني أبو الحسن كان مشهوراً بتفسير كتاب الله تعالى، حكى عن الشافعي أنه قال: كلهم عيال مقاتل بن سليمان في التفسير توفي سنة ١٥٠هـ.^(٢)

٥٤. ابن منظور: هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبة الأنصاري الأفرقي المصري، أديب، لغوي، ناظم، ناثر، ولد في مصر وقيل بطرابلس الغرب عام ٦٣٠هـ خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ثم تولي القضاء في طرابلس ثم عاد إلى مصر وتوفي بها في شعبان عام ٧١١هـ - له آثار كثيرة منها: (لسان العرب)، و(مختار الأغاني في الأخبار والتهاني) و(مختصر مفردات ابن البيطار) و(نثار الأزهار في الليل والنهار).^(٣)

٥٥. ميمون بن مهران: يكنى أبا أيوب، مولى بني نصر، وقيل مولى الأزدي، ولد سنة أربعين للهجرة. أسند عن ابن عمر وعن ابن عباس وغيرهما، توفي سنة سبع عشرة ومائة للهجرة له الكثير من المواعظ والنصائح. منها قوله: لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل تائب، ورجل يعمل في الدرجات.^(٤)

(١) الزركلي/الأعلام/ج٨/ص١٧٣.

(٢) الادنوي/طبقات المفسرين/ص٢٠.

(٣) الزركلي/الأعلام/ج٧/ص١٠٨.

(٤) ابن الجوزي/صفة الصفوة/ج٢/ص١٦٥.

٥٦. النخعي: أبو عمران، إبراهيم بن يزيد بن عمرو بن ربيعة بن مالك بن النخع الفقيه،

الكوفي، النخعي، أحد الأئمة المشاهير، تابعي - نسبته إلى نخع، وهي قبيلة كبيرة من

مذحج باليمن، وقيل له النخعي: لأنه انتخع من قومه أي بعد عنهم.^(١)

٥٧. ابن الهمام: هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد ابن مسعود السواسي، حنفي - عالم

مشارك في الفقه والأصول والتفسير والفرائض والحساب. ولد بالإسكندرية عام ٧٩٠هـ،

وتوفي بالقاهرة عام ٨٦١هـ. له مصنفات كثيرة منها (شرح الهداية في فروع الفقه

الحنفي)، و(التحرير في أصول الفقه)، و(شرح بديع النظام الجامع بين كتابي البزدوي

والأحكام لابن الساعاتي) و(زاد الفقير) مختصر في فروع الحنفية.^(٢)

(١) ابن خلكان/ وفيات الأعيان/ م١/ ص٢٥.

(٢) الزركلي/ الأعلام/ م٦/ ص٢٥٥.

المصادر والمراجع

١. آق بيق، غازي صبحي/ آيات قرآنية (ومضات من القرآن الكريم)/ دار الفكر سوريا - دمشق/ مج ٢.
٢. أبو حفص الدمشقي، عمر بن علي بن عادل/ اللباب في علوم الكتاب/ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض/ منشورات محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م/ ط٣/ مج ٢٠.
٣. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف/ تفسير البحر المحيط/ دراسة وتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض / دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان/ ط١/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م/ مج ٨.
٤. أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث / سنن أبي داود/ تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد/ دار الفكر/ مج ٤.
٥. أبو زعرور، محمد سعيد بن سهو/ جَنَاحُ الأَحْدَاثِ ورعايتهم في دولة الخلافة/ دار البيارق/ ط١/ ١٩٩٦م/ ١٤١٦هـ.
٦. أبو زهرة، محمد / الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي/ دار الفكر العربي - القاهرة.
٧. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ط١/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٠م/ مج ٦.
٨. أبو سمك، أحمد عبد العزيز/ التربية الترويحوية في الإسلام احكامها وضوابطها الشرعية/ دار النفائس - الأردن/ ط١/ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٩. أبو شريح. شاهر ذيب/ اللباس الإسلامي/ دار صفاء للطباعة / عمان/ ط١/ ١٩٩٧.

١٠. أبو مغلي، د. سميح وآخرون/ تربية الطفل في الإسلام/ دار اليازوري العلمية للنشر/
عمان/ ط١ / ٢٠٠١م.
١١. أبو نعيم الاصفهاني، أحمد بن عبد الله/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ دار الفكر/
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٢. الإحساني، عبد العزيز حمد آل مبارك / تبیین المسالك شرح تدريب المسالك إلى أقرب
المسالك/ شرح محمد الشيباني/ دار الغرب الإسلامي/ بيروت/ ١٩٩٥م/ ط٢ / مج٤.
١٣. الأندروى، أحمد بن محمد / طبقات المفسرين/ تحقيق سليمان بن صالح الخزى/ مؤسسة
الرسالة/ مكتبة العلوم والحكم/ المدينة المنورة/ ط١ / ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٤. الألباني، محمد ناصر الدين/ حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة/ المكتب
الإسلامي بيروت - لبنان / ط٥ / ١٣٨٩هـ.
١٥. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم
والسبع المثاني/ صححه: محمد حسين العرب/ دار الفكر / ١٤١٤هـ -
١٩٩٤م/ مج١٦.
١٦. البخاري، محمد بن إسماعيل/ صحيح البخاري/ دار ابن كثير/ اليمامة - بيروت/ تحقيق
د. مصطفى ديب البغا/ ط٣ / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م/ مج٦.
١٧. بدر، عبد الله أبو السعود/ تفسير فتادة رضي الله عنه/ عالم الكتب للنشر/ ١٩٨٠م -
١٤٠٠هـ.
١٨. بركة، عبد المنعم أحمد/ في أساسيات التشريع الجنائي الإسلامي/ مركز إسكندرية
للكتاب.

١٩. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء/ معالم التنزيل/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ط١/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م/ مج٤.
٢٠. البغا، مصطفى، ومستو، محيي الدين / الوافي في شرح الأربعين النووية/ مؤسسة علوم القرآن/ ط٢/ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢١. البقري، أحمد ماهر محمود/ نظرات في سورة النور/ مؤسسة الثقافة الجامية.
٢٢. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الرازي/ تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين/ تحقيق أسعد محمد الطيب/ مكتبة نزار الباز/ ١٤١٧هـ-١٩٩٧م/ ط١/ مج١٧.
٢٣. ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري/ النهاية في غريب الحديث والأثر/ تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي/ دار إحياء الكتب العربية/ مج٥.
٢٤. ابن باز، عبد العزيز /مجموعة رسائل في الحجاب والسفور/ وزارة الشؤون الإسلامية/ ط١١/ ١٤٢٠هـ.
٢٥. ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم/ اقتضاء الصراط المستقیم مخالفة أصحاب الجعیم/ تحقيق صلاح عويضة/ مكتبة الإيكان- المنصور/ ط١/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢٦. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم/ حجاب المرأة ولباسها في الصلاة من مجموعة رسائل في الحجاب والسفور/ الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية- السعودية/ ١٤٠٥هـ.
٢٧. ابن جزّي الكلبی، محمد بن أحمد/ التسهيل لعلوم التنزيل/ دار الكتاب العربي/ بيروت- لبنان/ ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م/ ط٢.

٢٨. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد/ صحيح ابن حبان/ تحقيق: شعيب الأرنؤوط/
مؤسسة الرسالة - بيروت/ ط٢/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م/ مج١٨.
٢٩. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد/ الفصل في الملل والأهواء والنحل - وبهامشه الملل
والنحل للإمام الشهرستاني/ مكتبة الخانجي بالقاهرة/ مج٢.
٣٠. ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني/ مسند أحمد/ مؤسسة قرطبة للنشر -
مصر/ مج٦.
٣١. ابن خزيمة، محمد بن إسحاق/ صحيح ابن خزيمة/ دار المكتب الإسلامي - بيروت/
تحقيق د. مصطفى الأعظمي/ ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م/ مج٤.
٣٢. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر/ وفيات الأعيان زوأنباء
أبناء الزمان/ تحقيق: د. إحسان عباس/ دار الثقافة/ بيروت - لبنان/ ١٩٧٢م/ مج٨.
٣٣. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع/ الطبقات الكبرى/ دراسة وتحقيق محمد عبد القادر
عطا/ دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان/ ط١/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م/ مج٩.
٣٤. ابن عادل الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي/ اللباب في علوم الكتاب/ تحقيق: الشيخ
عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/
١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م/ مج٢٠.
٣٥. ابن عاشور، محمد الطاهر/ التحرير والتنوير/ دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس/
مج١٤.
٣٦. ابن فرحون، برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن محمد/ تبصرة الحكام في أصول الأتقية
ومناهج الأحكام/ بهامشه كتاب " العقد المنظم للحكام" لابن سلمون الكنائي/ دار الكتب
العلمية/ - بيروت - لبنان/ ط١/ مج٢.

٣٧. ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد/ المغني/ مكتبة القاهرة/ ط١/ ١٩٦٩م/ مج ١٦.
٣٨. ابن قيم الجوزية- شمس الدين عبد الله محمد بن أبي بكر/ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي "الداء والدواء"/ دار إحياء الكتب العربية/ بدون سنة طباعة.
٣٩. ابن قيم الجوزية، شمس الدين عبد الله محمد بن أبي بكر/ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية/ دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان/ ط١/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٤٠. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل/ تفسير القرآن العظيم/ مؤسسة الريان للطباعة والنشر ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م/ ط٢/ مج ٣.
٤١. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم/ لسان العرب/ دار صادر - بيروت/ ط١/ ١٩٩٧م/ مج ٤.
٤٢. ابن نصر، أبو محمد بن عبد الوهاب بن علي/ المعونة على مذهب عالم المدينة/ تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م/ ط١/ مج ٢.
٤٣. ابن هشام/ السيرة النبوية/ ضبط مصطفى السقا وآخرين/ الدار الثقافية العربية - بيروت/ مج ٤.
٤٤. بهنسي، د. أحمد فتحي/ الجرائم في الفقه الإسلامي (دراسة فقهية مقارنة)/ دار الشروق/ ط٦/ ١٩٨٨م.
٤٥. البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس/ كشاف القناع عن متن الإقناع/ علق عليه: هلال مصيلحي/ دار الفكر للطباعة والنشر/ بيروت - لبنان/ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م/ مج ٦.

٤٦. البيجاني، محمد سالم حسين الكدادي/ إصلاح المجتمع "شرح مائة حديث مما اتفق عليه البخاري ومسلم/ مكتبة أسامة بن زيد/ بيروت - لبنان/ ط٢/ ١٩٧٢م.
٤٧. اليبضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله أبي عمر بن محمد/ (أنوار التزيل وأسرار التأويل)/ تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة/ دار الفكر للطباعة/ بيروت- لبنان/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م/ مج ٥.
٤٨. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى/ سنن البيهقي الكبرى/ مكتبة دار الباز- مكة المكرمة/ تحقيق: محمد عبد القادر عطا/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م/ مج ١٠.
٤٩. البيهقي، أحمد بن الحسين/ شعب الإيمان/ دار الكتب العلمية - بيروت/ ط١/ ١٤١٠هـ/ تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول/ ج ٥/ ص ٢٩٨/ رقم ٦٧١١.
٥٠. الترابي، حسن/ الإيمان وأثره في حياة الإنسان/ دار القلم- بيروت/ ط٢/ ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م.
٥١. الترمذي، محمد بن عيسى/ سنن الترمذي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت - لبنان/ تحقيق: أحمد محمد شاكر/ مج ٥.
٥٢. تفاع، أحمد زكي/ المرأة والإسلام/ دار الكتاب اللبناني- بيروت/ ط١/ ١٩٧٩م.
٥٣. جاد، د. الحسيني سليمان/ العقوبة البدنية في الفقه الإسلامي دستوريته وعلاقتها بالدفاع الشرعي/ دار الشروق/ ط١/ ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٥٤. جاد المولى، محمد أحمد/ قصص القرآن/ مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع / عمان- الأردن/ ط١/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٥٥. الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف/ التعريفات/ تحقيق: د. عبد المنعم الحنفي/ دار
الرشاد/ ص ٨٩.
٥٦. جريشة، د.علي/ شريعة الله حاكمة ليس بالحدود وحدها/ مكتبة وهبة/
١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
٥٧. الجزائري، أبو بكر جابر/ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير/ مكتبة العلوم والحكم -
المدينة المنورة/ ط ١/ ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م/ مج ٥.
٥٨. الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي/ أحكام القرآن/ تحقيق محمد الصادق
قمحاوي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت - لبنان.
٥٩. جمال، أحمد محمد/ على مائدة القرآن دين ودولة/ دار الكتاب اللبناني/ بيروت / ط ٢/
١٣٩٣هـ.
٦٠. جمال، أحمد محمد/ محاضرات في الثقافة الإسلامية /مؤسسة دار الشعب/ القاهرة/
ط ٣/ ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٦١. ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج/ صفة الصفوة/ دار الكتب العلمية/ بيروت -
لبنان/ ضبط: إبراهيم رمضان وسعيد اللحام/ ط ١/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م/ مج ٢.
٦٢. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله/ المستدرک علی الصحیحین/ تحقيق: مصطفى
عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ ١٤١١هـ - ١٩٩٠م/ ط ١/ مج ٤.
٦٣. حجازي، محمد محمود/ التفسير الواضح/ دار الكتاب العربي/ بيروت - لبنان/ ط ١/
١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م/ ج ٢.
٦٤. حسين، جمال محمد أحمد/ التربية الإيمانية وأمن المجتمع/ ط ١/ ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٦٥. حسين، محمد محمد/ حصوننا مهددة من داخلها/ مؤسسة الرسالة/ ط٧/ ١٩٨٢م،
١٤٠٢هـ.
٦٦. الخطيب، عبد الكريم/ التفسير القرآني للقرآن/ دار الفكر العربي/ بدون ذكر سنة
طباعة/ مج١٦.
٦٧. الخن، مصطفى سعيد الخن وآخرون/ نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام
سيد المرسلين/ مؤسسة الرسالة/ ط٧/ ١٤٠٥، ١٩٨٥م.
٦٨. الخويلدي، حسن مكّي/ ولا تقربوا الزنا/ دار البيان العربي/ ط١/ ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
٦٩. الدامغاني، الحسين بن محمد/ قاموس القرآن المسمى باصلاح الوجوه والنظائر في
القرآن/ تحقيق وترتيب: عبد العزيز سيد الأهل/ دار العلم للملايين/ بيروت / ط٣/
١٩٨٠م.
٧٠. دروزة، محمد عزة/ المرأة في القرآن والسنة/ المكتبة العصرية للطباعة والنشر/
بيروت - صيدا/ ط١/ ١٩٦٧م.
٧١. حسن، درويش مصطفى/ فصل الخطاب في مسألة الحجاب والنقاب/ دار الاعتصام/
بدون ذكر سنة طباعة.
٧٢. الدسوقي، د. عزت مصطفى/ أحكام جريمة الزنا في القانون الوضعي والشريعة
الإسلامية/ المكتب الفني للإصدارات القانونية / ط٢/ ١٩٩٩م.
٧٣. الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة/ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير - لأبي
البركات أحمد بن محمد العدوي/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان / ط١/ ١٤١٧هـ،
١٩٩٦م/ مج٦.
٧٤. الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان/ الكبائر/ مكتبة الرياض الحديثة.

٧٥. ذياب، أحمد/ نظرات في التشريع الأخلاقي في سورة النور/ بيت المقدس/ ط١/ ١٤٠٤هـ.
٧٦. الرازي، محمد ضياء الدين/ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب/ قدم له الشيخ: خليل الميس/ دار الفكر للطباعة/ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م/ مج ١٧.
٧٧. الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل/ معجم مفردات ألفاظ القرآن/ وتخرىج إبراهيم شمس الدين/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ط١/ ١٩٩٧م، ١٤١٨هـ.
٧٨. رضا، محمد رشيد/ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار/ دار المعرفة، بيروت - لبنان / ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م/ مج ١٢.
٧٩. رمضون، عبد الباقي/ خطر التبرج والاختلاط/ مؤسسة الرسالة/ ط١/ ١٩٧٤م.
٨٠. الزاوي، الطاهر أحمد/ مختار القاموس/ الدار العربية للكتاب/ ليبيا - تونس.
٨١. الزحيلي، د. محمد/ حقوق الإنسان في الإسلام/ دار الكلم الطيب / بيروت- لبنان / ط٢/ ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
٨٢. الزحيلي، د. وهبة/ الفقه الإسلامي وأدلته / دار الفكر / ط٣/ ١٩٨٩م/ ج ٨.
٨٣. الزركلي، خير الدين/ الأعلام/ دار العلم للملايين/ بيروت-لبنان/ ط١٣/ ١٩٩٨م/ مج ٨.
٨٤. زكريا الأنصاري/ حاشية الجمل على شرح المنهج/ دار الفكر العربي/ بيروت.
٨٥. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ ضبط: محمد عبد السلام شاهين/ دار الفكر العلمية/ بيروت- لبنان/ ط١/ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م/ مج ٤.

٨٦. الزنداني، عبد الحميد العيد/ فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة/ الدار العربية للكتاب/ ط١/ ١٩٩٣م.
٨٧. زيدان، عبد الكريم/ أصول الدعوة/ مؤسسة الرسالة/ مؤسسة الرسالة/ بدون ذكر طبعة.
٨٨. الزيبي، فخر الدين عثمان بن علي/ تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق/ بهامشه حاشية شهاب الدين أحمد الشلبي/ دار الكتاب الإسلامي/ القاهرة/ ط٢/ مج٦.
٨٩. سابق، السيد/ إسلامنا/ دار الكتاب العربي للنشر/ بيروت- لبنان.
٩٠. سابق، السيد/ فقه السنة/ دار الفكر للطباعة والنشر/ ط٢/ ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م/ مج٣.
٩١. الساييس، محمد علي/ تفسير آيات الأحكام/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ منشورات محمد علي بيضون/ ط١/ ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
٩٢. السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل/ المبسوط/ تحقيق: أبي عبد الله محمد حسن إسماعيل الشافعي/ قدم له: د. كمال عبد المنعم العناني/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ ط١/ ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م/ مج٣٠.
٩٣. السرطاوي، محمود/ شرح قانون الأحوال الشخصية الأردني/ دار العدوي/ عمان - الأردن/ ط١/ ١٤٠٢هـ، ١٩٨١م.
٩٤. السمين الحلبي، شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم/ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/ تحقيق: علي محمد معوض ورفاقه/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ ط١/ ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٩٥. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر/ الإكليل في استنباط التنزيل/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٩٦. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي/ لباب النقول في أسباب النزول/ اعتنى به عبد المجيد طعمة الحلبي/ دار المعرفة/ بيروت - لبنان/ ط١/ ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
٩٧. الشربيني، شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشافعي/ مغنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج/ دراسة وتحقيق: الشيخ: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان / ١٩٩٤م/ مج٦.
٩٨. الشريف، د. عدنان/ من علم الطب القرآني/ دار العلم للملايين/ بيروت- لبنان/ ط١/ ١٩٨٧م.
٩٩. الشريف، د. عدنان/ من علم النفس القرآني/ دار العلم للملايين، بيروت- لبنان/ ط١/ ١٩٨٧م.
١٠٠. شريف، هاشم السعيد/ المرأة المسلمة بين حقيقة الشريعة وزيف الأباطيل. تقديم د. السيد محمد بدوي/ دار المعرفة الجامعية/ الإسكندرية/ ١٩٨٧م.
١٠١. الشعبي، على شواخ إسحاق/ وصايا تربوية قرآنية ونبوية/ دار الراهة - الرياض/ ط١/ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
١٠٢. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار/ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت- لبنان/ ط١/ ١٩٩٦م ، ١٤١٧هـ/ مج٦.
١٠٣. الشوكاني، محمد علي/ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/ دار الفكر للطباعة والنشر/ مج٥.
١٠٤. الصابوني، محمد علي/ روائع البيان تفسير آيات الأحكام/ دار إحياء التراث العربي/ ط٣/ ١٤٠١هـ، ١٩٨١م/ مج٢.

١٠٥. الصابوني، محمد علي/ صفوة التفاسير/ دار إحياء التراث العربي/ القاهرة /بدون طبعة/ مج ٣.
١٠٦. طيارة، عفيف عبد الفتاح/ تفسير سورة النور وأحكامها/ دار العلم للملايين/ ط١/ ١٩٩٣م.
١٠٧. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد/ المعجم الأوسط/ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني/ دار الحرمين - القاهرة/ ١٤١٥هـ.
١٠٨. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير/ جامع البيان في تفسير آي القرآن/ دار المعرفة/ بيروت- لبنان/ ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م/ ط٣/ مج ٣٠.
١٠٩. طوالة، علي حسن/ جريمة القذف دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية/ مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع/ عمان/ ط١/ ١٩٩٨م.
١١٠. الطيبي، عكاشة عبد المنان/ المرأة في ظلال القرآن/ دار النضيلة القاهرة / بدون ذكر سنة طباعة.
١١١. عبد الله، عبد الرحيم صالح / عوامل الإتحراف الجنسي ومنهج الإسلام في الوقاية منها/ دار النفائس/ الأردن - عمان/ ط١.
١١٢. العثيمين، محمد صالح العثيمين وابن باز عبد العزيز/ رسالتان في الحجاب/ دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع/ ط١/ ١٤١٤هـ.
١١٣. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر/ فتح الباريء شرح صحيح البخاري/ تحقيق عبد العزيز بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ ط١/ ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م/ مج ١٣.

١١٤. عقلة، د. محمد/الإسلام مقاصده وخصائصه/ مكتبة الرسالة الحديثة/ ط٢ / ١٩٩١م،
١٤١١هـ.
١١٥. العك- خالد عبد الرحمن/ بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة/ دار المعرفة
بيروت/ ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م/ ط١.
١١٦. العك، خالد عبد الرحمن/ شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة/ دار
المعرفة / بيروت- لبنان/ ط١ / ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
١١٧. علوان، عبد الله ناصح/ تربية الأولاد في الإسلام/ دار السلام للطباعة والنشر/ ط٢١/
١٤١٢هـ، ١٩٩٢م/ مج٢.
١١٨. علي، خالد سيد/ المحرمات على النساء/ دار اليمامة للطباعة والنشر/ مكتبة التراث
والإيمان - الكويت/ ط١ / ١٩٩٧م، ١٤١٨هـ.
١١٩. عمارة، محمود محمد/ الحدود في الإسلام بين الوقاية والعلاج/ مكتبة الإيمان
بالمنصورة للنشر والتوزيع/ ط١ / ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
١٢٠. عودة، عبد القادر/ التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي/ مؤسسة الرسالة
للطباعة والنشر/ بيروت- لبنان/ ط١٤ / ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م/ مج٢.
١٢١. العيني، أبو محمد محمود بن أحمد/ البناية في شرح الهداية/ دار الفكر/ ط٢/
١٤١١هـ، ١٩٩٠م/ مج١٢.
١٢٢. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد/ إحياء علوم الدين/ دار الصابوني.
١٢٣. الغزالي، محمد/ قضايا المرأة بين التقاليد الرائدة والوافدة/ دار الشروق / ط٣/
١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

١٢٤. الغزالي، محمد/ مجموعة رسائل الإمام الغزالي/ دار الفكر للطباعة والنشر/ ط١/
١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
١٢٥. الغامدي، علي سعيد/ اختيارات ابن قدامة الفقهية في أشهر المسائل الخلافية/ دار طيبة
للنشر والتوزيع / الرياض / ط١/ ١٤١٨هـ/مج٤.
١٢٦. فائز، أحمد/ دستور الأسرة في ظلال القرآن/ مؤسسة الرسالة/ ط١/ ١٤٠٠هـ،
١٩٨٠م.
١٢٧. الفراء الحنبلي، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء/ الأحكام السلطانية/ دار الفكر للطباعة
والنشر / بيروت - لبنان / ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
١٢٨. فودة، د. عبد الحكيم/ جرائم العرض في قانون العقوبات/ دار المطبوعات الجامعية/
الإسكندرية/ ١٩٩٧م.
١٢٩. الفيروز أبادي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف / القاموس المحيط / دار الفكر/
١٩٩٥م.
١٣٠. الفيروز أبادي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف/ المهذب في فقه الإمام الشافعي/
وبهامشه النظم المستعذب في شرح غريب المهذب لمحمد أحمد بن بطال الركبي/
تصحيح زكريا عميرات/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ ط١/ ١٩٩٥م،
١٤١٦هـ/مج٣.
١٣١. القاسمي، محمد جمال الدين/ تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل/ دار الفكر/
بيروت - لبنان/ ط٢/ ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م/مج١٧.
١٣٢. القاضي، عبد الله محمد/ أحكام حد القذف في الشريعة الإسلامية وأثر تطبيقه في حماية
الأعراض/ دار الهدى للطباعة/ ١٩٨٤م، ١٤٠٤هـ.

١٣٣. القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي/ شرح صحيح مسلم المسمى (إكمال المعلم بفوائد مسلم)/ تحقيق د. يحيى إسماعيل/ دار الوفاء/ ط١/١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
١٣٤. القرضاوي، د. يوسف/ الحلال والحرام في الإسلام/ المكتب الإسلامي/ ط١٥/ ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
١٣٥. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري/ الجامع لأحكام القرآن/ دار الكتب العلمية - بيروت/ ط٥/ ١٩٩٦م، ١٤١٧هـ.
١٣٦. القسطلاني، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد/ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري/ تصحيح محمد عبد العزيز الخالدي/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ ط١/ ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م/ مج ١٥.
١٣٧. القطان، أحمد/ واجبات الآباء نحو الأبناء/ إعداد محمد الزين/ مكتبة السندس/ ط٢/ ١٩٨٥م.
١٣٨. قطب، سيد/ خذوا الإسلام جملة أو دعوه/ مطبعة دار الأيتام الإسلامية بالقدس/ بدون ذكر سنة طباعة.
١٣٩. قطب، سيد/ في ظلال القرآن/ دار الشروق/ بيروت - لبنان/ ط٢٤/ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م/ مج ٦.
١٤٠. قطب، محمد / جاهلية القرن العشرين/ مكتبة وهبة/ بدون ذكر سنة طباعة.
١٤١. قلعة جي، د. محمد رواس/ الموسوعة الفقهية الميسرة/ دار النفائس/ ط١/ ٢٠٠٠م.
١٤٢. الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود/ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع/ تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ ط١/ ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م/ مج ١٠.

١٤٣. كحالة، عمر رضا/ الزنا ومكافحته/ مؤسسة الرسالة / سوريا/ ١٩٧٧م، ١٣٩٧هـ.
١٤٤. كحيل، عبد الوهاب/ الجريمة والجنس/ مكتبة التراث الإسلامي/ ط١/ ١٤١٢هـ،
١٩٩١م.
١٤٥. كرزون، أحمد حسن/ الهداية الربانية إلى الضوابط الأمنية في القرآن الكريم/ دار ابن
حزم للطباعة/ بيروت - لبنان/ ط١/ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
١٤٦. مالك بن أنس/ المدونة الكبرى/ دار صادر، بيروت/ مج٥.
١٤٧. مالك بن أنس / موطأ مالك/ دار إحياء التراث العربي/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/
مصر/ مج٢.
١٤٨. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب/ الأحكام السلطانية/ دار الفكر للطباعة
والنشر/ بيروت - لبنان/ ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
١٤٩. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد/ أدب الدنيا والدين/ تحقيق: مصطفى السقا/ دار
الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ط٤/ ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
١٥٠. مبيض، محمد سعيد/ إلى غير المحجبات أولاً وإلى المحجبات ثانياً/ مؤسسة الريان
للطباعة والنشر/ بيروت / ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
١٥١. المجدوب، أحمد علي/ العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية/الدار المصرية اللبنانية/
ط١/ ١٩٩١م، ١٤١١هـ.
١٥٢. المجدوب، أحمد علي/ المعالجة القرآنية للجريمة/ الدار المصرية اللبنانية/ ط١/
١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
١٥٣. محمد، صلاح عبد الغني/ وسائل الإسلام في المحافظة على كرامة المرأة/ مكتبة الدار
العربية للكتاب.

١٥٤. محيسن، د. محمد محمد سالم/ فتح الرحمن في أسباب نزول القرآن/ دار الآفاق العربية/ ط١/ ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
١٥٥. مرسي، سيد عبد الحميد/ النفس المطمئنة/ دار التوفيق النموذجية للطباعة/ مكتبة وهبة/ ط١/ ١٩٨٣م، ١٤٠٣هـ.
١٥٦. المرصفي، د. سعد/ شبهات حول أحاديث الرجم وردّها/ مكتبة المنار الإسلامية/ الكويت، مؤسسة الريان - بيروت، لبنان/ ط١/ ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
١٥٧. مسلم، بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري/ صحيح مسلم/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ مج٥.
١٥٨. المصري، عبد السميع / منهج القرآن في الحياة/ مكتبة وهبة/ ط١/ ١٩٩٨.
١٥٩. المصري. محمد أمين/ لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها/ دار الفكر للطباعة والنشر/ ط٤/ ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
١٦٠. مصطفى، إبراهيم مصطفى ورفاقه/ المعجم الوسيط/ المكتبة العلمية - طهران/ مج٢.
١٦١. مطلوب، أحمد / معجم الملابس في لسان العرب/ مكتبة لبنان/ ط١/ ١٩٩٥م.
١٦٢. المعلمي، يحيى عبد الله/ كلمات قرآنية أو مفردات قرآنية/ دار المعلمي للنشر/ ط١/ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
١٦٣. المودودي، أبو الأعلى/ تفسير سورة النور/ دار الفكر/ مؤسسة الرسالة.
١٦٤. المودودي، أبو الأعلى/ الحجاب/ دار الفكر.
١٦٥. النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن/ سنن النسائي/ مكتب المطبوعات الإسلامية/ حلب/ ١٤١٦هـ، ١٩٨٦م/ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة/ ط٢.

١٦٦. النسفي، عبد الله بن أحمد محمود/ تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل/ قدم له قاسم الرفاعي/ مراجعة: إبراهيم محمد رمضان/ دار القلم- بيروت / ط١/ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٩م/ مج٣.
١٦٧. نوفل، د. أحمد/ سورة يوسف دراسة تحليلية/ دار الفرقان/ عمان الأردن/ ط١/ ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
١٦٨. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن حسين بن حزام/ صحيح مسلم بشرح النووي/ تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا /دار المعرفة/ بيروت- لبنان/ ط٢/ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م/ مج١٨.
١٦٩. هارون، نبيل عبد السلام/ المعجم الوجيز لألفاظ القرآن/ دار النشر للجامعات- مصر/ ط١/ ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
١٧٠. الهلالي، أبو أسامة سليم بن عيد/ الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد/ شركة النور للطباعة/ فلسطين - رام الله/ ١٤٠٦هـ.
١٧١. الهلاوي، محمد عبد العزيز/ ولا تقربوا الزنا/ مكتبة القرآن للطبع والنشر/ بدون سنة طباعة.
١٧٢. واصل، د. نصر فريد محمد/ الوسيط في جريمة الزنا والقذف/ المكتبة التوفيقية/ بدون طباعة.
١٧٣. وجدي، محمد فريد/ المرأة المسلمة دراسة نقدية لدعاة تحرير المرأة/ مكتبة أضواء السلف/ ط١/ ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٧٤. يالجن، مقداد/ التربية الأخلاقية الإسلامية/ مكتبة الخانجي بمصر/ ط١/ ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
١٧٥. يكن، فتحي/ الإسلام والجنس/ مؤسسة الرسالة/ ط٢/ ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

Abstract

In the name of Allah, the Compassionate, the Merciful Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and peace be upon his Prophet Mohammed and upon his companions;

All societies fight adultery [Zina] and consider it a sin that leads to evil, and brings destructive consequences on individuals and groups. Adultery is the worst transgression that violates the honor.

The positive laws addressed adultery and determined the appropriate different punishments. The ancients misdealt with adultery, however, the modern laws somehow ignored the punishment by restricting it to rape, or extra-marital sexual relationships considering it a violation of the marital life, while other forms of adultery are considered within the limits of personal freedom.

Islam considers any sexual relationship, save as marriage, a transgression that any person who commits will be liable to punishment. Honor is considered among the five necessities, which Islam seeks to maintain namely religion, life, progeny, properties and mind. They are named the "necessities" because they are substantial for the maintenance of the individual and community. Thus, Islam advocates a number of specific measures to reduce the temptations towards sex outside marriage.

Islam determined the preventative punishments for those who insist on fulfilling their sexual desires ignoring all principles and values. The determined punishment is conforming to the crimes and the danger of such crimes.

Concerning the other sexual crimes, such as sodomy, lesbianism, having sex with animals and masturbation, the punishments determined for such crimes are reprehensive.

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

**Preservation of Honor According to
the Verses of the Holy Quran**

Prepared by:

Balsam Fares Suliman Rabia

Supervised by:

Dr. Khader Abd –Lateef Sawendek

**Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree
of Master of Arts in Usool Ad-Deen, Faculty of Graduate
Studies, at An-Najah National University.**

Nablus / Palestine

1424H. - 2003